جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

السامانيون ودولتهم فيما وراء النهر

رسالة لنيل درجة الدكتوراه بتاريخ العرب والإسلام

إعداد

سميحة أبو الفضل

بإشراف

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

إهداء

إلى ولدي كنان :

الحياة لا ترجع إلى الوراء ، ولا يلذ لها الإقامة في منزل الأمس ، وأي عطاء لا قيمة له إن لم يكن جزءاً من ذاتك ، والعلم بحر بلا قاع مهما مخرنا عبابه على متن فلك البحث والتنقيب ، فليس لنا أمل حتى في الوصول إلى الساحل .

فاتبع طريق العلم ، فالعلم هو الوسيلة الوحيدة لفهم الحياة وما بعدها .

" تنويـــــــــه "

ماكـان لـهـذه الرسـالـة أن تنجـز وتحقـق ماحوتـه مـن محصلات علميـــة لـولا الاشـــراف العلمـي الـذي حظيـت بـه مـن الاستـاذ الدكتـور سهيل زكـــار فلـــه شـــكري وامتنـانــــي .

سميحـــة أبو الفضل

◊◊◊◊◊◊◊

" تقديـــم "

تتناول هذه الرسالة دراسة الدولة السامانية التي نشأت في ظل الخلافة العباسية في الجهة الشرقية منها فوق أقاليم ماوراء النهر وخراسان وسجستان أحيانا مع عددٍ من المناطق والأقاليم الأخرى .

وقد ظهرت هذه الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (٢٦٠ هـ /٨٧٤م) وامتدت نحو ثلاثين سنة إذ سقطت أمام هجمات الترك سنة (٣٨٩ هـ /٩٩٨م) على يد زعيم يعرف بـ(إيلك خان) .

وكان السامانيون من الأسر الحاكمة في إقليم ما وراء النهر قبل الإسلام ،وهم - كما ادعوا - ينتمون إلى بهرام بن جوبين الساساني .

ولما جاء الإسلام ووصلت جيوش الفتح الإسلامي إلى ما وراء النهر أسلم سامان جدهم على يد أسد بن عبدالله القسري ، فأبقاه والياً على منطقته ، وظلت الأمور كذلك إلى أن قام إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان بإنشاء الدولة السامانية في بخارى سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م).

وكان السامانيون في الظاهر تابعين للخلافة العباسية يعلنون ولاءهم وطاعتهم للخليفة في بغداد ، وفي الحقيقة أسسوا دولة مستقلة لها جيشها ونظامها وحضارتها المستقلة.

وتعد الدولة السامانية إحدى الدول المهمة في التاريخ من حيث وجودها ضمن الخلافة أولاً ، ومن حيث كونها مستقلة فعلاً ، وكان لها دورها في إذكاء الروح القومية الفارسية للناس هناك ، كما كان لها أثرها الواضح في مجريات الأمور وفي الحضارة الإنسانية عامة .

ولما كانت الدولة السامانية لم تحظ بعناية الدارسين العرب ، ولم تنل حقها من الدراسة والبحث ، رغبت في أن أخوض غمار الدراسة حول تاريخها وألقي الضوء على جانب مشرق من جوانب تاريخ الخلافة العربية الإسلامية في منطقة بعيدة نائية عن مركز الخلافة ، مع إدراكي لمخاطر البحث ووعورة مسالكه وصعوبة الخوض فيه لأمور كثيرة يأتي في مقدمتها قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن تاريخ هذه الدولة ، ويزيد من صعوبة البحث بعد المنطقة زمنياً وجغرافياً ووقوعها ضمن أقاليم لها تسمياتها الخاصة ولأهلها أسماء خاصة يحتاج الإنسان إلى زمن وجهد حتى يستطيع أن يتأقلم مع تلك الأسماء لغرابتها وجفاء لفظها وغلظتها على غير أهلها.

ولكن ذلك لم يثنني عن المحاولة الطامحة إلى تقديم دراسة وافية لتاريخ السامانيين وأحوال دولتهم من البداية وحتى النهاية ، فكان هذا البحث حصيلة تلك المحاولة.

وقد اقتضت الدراسة أن أجعل الرسالة في ثمانية فصول يسبقها تقديم تناول الحديث عن البحث ومصادره.

ففي الفصل الأول حاولت أن أقوم بعرض جغرافي لبلدان الدولة السامانية فتحدثت عن طبيعة خراسان وبخارى وما وراء النهر وسجستان وغزنة وغيرها ، وذكرت مافيها من مياه وأنهار

وجبال ، ثم ماقيل في هذه الأقاليم من صفات مدح أو ذم جاءت في كتب الجغرافيين الأوائل أمثال المقدسي وابن حوقل والإصطخري وغيرهم .

وحاولت وضع تصور لحدود الدولة ، وواجهتني في ذلك صعوبة كبيرة ولاسيما فيما يتعلق بالحدود الشمالية .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن مراحل الفتح الإسلامي لبلاد ماوراء النهر ، وبينت الغاية من الفتح وبداياته وأساليبه ، والقادة الذين شاركوا في الفتح وماكان من عهود ومصالحات بين الفاتحين والجيوش التي كانت تواجههم حتى استكمال الأعمال العسكرية بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي . وكان لابد من الإشارة إلى بعض الأعمال التي قام بها الفاتحون مثل بناء المساجد والحصون والقلاع ، والعفو عن الناس وتوزيع الغنائم وما إلى ذلك . واستلزم البحث الوقوف عند بعض الخلافات التي كانت تنشأ بين قادة الفتح أحياناً وبين جنودهم أو الولاة وما كان لذلك من أثر في مجريات الأمور . كما استلزم البحث الوقوف عند أهم المعتقدات التي سادت المجتمع والفتن السياسية التي واجهت جيوش الفتح .

أما الفصل الثالث فعقدته للحديث عن أصل الأسرة السامانية وتأسيسها ومراحل تاريخها حتى استقلالها بحكم بلاد ماوراء النهر ، فأشرت إلى انتماء السامانيين إلى الأمير بهرام جوبين الساساني ثم آل الأمر إلى أحفاده سامان وابنه أسد وأحفاده الذين نهضوا بأركان الدولة السامانية طوال وجودها .

ثم عددت الأمراء السامانيين وتحدثت عن أخبارهم وأحوالهم وماجرى في أزمانهم بشيء من التفصيل .

وأما الفصل الرابع فقد عرضت فيه لمراحل التاريخ السياسي للأسرة السامانية والعلاقات التي قامت بينها وبين الصفاريين ، وماجرى من حروب طاحنة ، وبينت الظروف العامة التي أحاطت بنشأة السامانيين والتي أهلت الأمير إسماعيل لإنشاء الدولة. ثم ماجرى من أمور مع الطاهريين والغزنويين والصفاريين ،والأتراك وغيرهم.

وتناولت في هذا الفصل أخطر الثورات لاسيما الشيعية منها التي واجهت الطاهريين وشغلتهم ثم استمرت في زمن السامانيين ومن هذه الثورات حركة الخوارج بسجستان والشيعة بطبرستان .

وجعلت الفصل الخامس للبحث في الجهاز الإداري والتنظيم العسكري للدولة السامانية ، ورأيت أن نظام الدولة ينقسم إلى قسمين : البلاط ، الديوان . فتحدثت عن البلاط ووظائفه وعرفت بترتيب تلك الوظائف بدءاً من الأمير الحاكم المطلق وانتهاء بالجنود وعامة الموظفين . ثم وقفت عند الدواوين التي كانت معروفة وقتها وتحدثت عن أسمائها وأسماء موظفيها ، ومهامها . وتبين أن هناك عدداً من الأسر التي اختصت بمنصب من مناصب الدولة فهناك أسر لاتخرج عنها الوزارة وأسر مختصة بديوان معين وغير ذلك .

وفي الفصل السادس وقفت على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة السامانية ، فتبين أن الزراعة قد ازدهرت في ظل السامانيين ، وكذلك الصناعة والتجارة ، وإن الدولة كانت تنمي وارداتها من الخراج الذي يأتي إليها.

وكان لكل جانب من هذه الجوانب وقفة خاصة تبرز جوانبه وأهميته ، فالزراعة أعان على تطورها وازدهارها وفرة المياه وخصب الأرض ، وكثرة اليد العاملة فيها ، والصناعة وجدت في المعادن المتوفرة مجالاً رحباً ، وكذلك في المنتجات الزراعية والحيوانية ، وهذا ماجعل الصناعة تتسم بهذه المواد وادى ازدهار الزراعة والصناعة إلى نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية .

وكان الفصل السابع للحديث عن العلاقات الخارجية للدولة السامانية ، واستوجب هذا الفصل أن يفرد قسم للحديث عن علاقة السامانيين بمن جاورهم من الطاهريين والصفاريين ، وماكان بينهم من حروب طاحنة أدت في النهاية إلى سقوط الدولة الصفارية على يد السامانيين ، وقسم لعلاقة السامانيين مع الصين والهند . التي اتسمت بالهدوء والبعد عن التعارض والحروب ، ونشأت بينهم علاقة تجارية جيدة .

أما الفصل الثامن فخصص للحديث عن أهم العطاءات الحضارية والفكرية للدولة السامانية ، بينت من خلاله ازدهار الحركة الثقافية في ظل الدولة السامانية وتشجيع الأمراء السامانيين للعلماء والأدباء والشعراء ، وحثهم على العلم وطلبه مما أدى إلى ظهور عدد من العلماء والأطباء والفلاسفة والفقهاء واللغويين والنحويين وغيرهم ممن ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم في أرجاء المعمورة وأثروا في مجريات الحضارة العالمية قاطبة ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الشيخ الرئيس ابن سينا ، والخوارزمي ، والفردوسي ، والبلخي وابو القاسم الإسكافي النيسابوري وأبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني ،وغيرهم.

وكان لابد من التنويه بالحركة العمرانية التي رافقت الدولة الدولة السامانية والتي دلت على مدى الرقي العمراني والحضاري لتلك الدولة .

ثم ختمت البحث بتلخيص موجز لأهم خطوات الدراسة ونتائجها. وصنفت فهارس فنية للدراسة .

وبعد فإنني أشرت منذ البداية إلى أنني سأحاول خوض غمار هذا البحث ، وأعترف أنني ما ادخرت جهداً أستطيعه ، ولاتوانيت في العمل على صعوبته ووعورة مسالكه ، فقد بذلت كل ما أستطيع من جهد عسى أن أستطيع تقديم دراسة وافية وشاملة ودقيقة لتاريخ الدولة السامانية ، فإن حققت ذلك فهو جهد متواضع يضاف إلى غيره في مسيرة التاريخ والبحث فيه ، وإن قصرت فعذري أنني أخلصت النية وبذلت المستطاع ولم أدخر جهداً في البحث ، ولي في آراء لجنة الحكم معين على استكمال البحث والارتقاء به.

ولابد في هذا المقام من العرفان بالجميل والامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور سهيل زكار ، الذي حباني برعايته وخصني بالكثير من وقته يعلمني ويرشدني ويقوم البحث حتى خرج على صورته هذه ، فله الشكر أجزله وأوفره وأبقاه الله ذخراً للعلم والعلماء .

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

" مصادر البحث ومراجعه "

لم يحظ تاريخ الدولة السامانية بعناية كبيرة لدى المؤرخين القدماء والمحدثين ، وكل ماورد عن هذه الدولة أخبار متناثرة في بطون الكتب يجد الباحث صعوبة كبيرة في جمعها والتوفيق بين الروايات واستخلاص النتائج .

ولذلك كان لزاما علي أن أبحث في كتب التاريخ والجغرافيا وغيرها لجمع شتات الأخبار ، وقد أحوجني البحث إلى العودة إلى كثير من الكتب التي لم تذكر في المصادر والمراجع لعدم وجود مايفيد فيها ، أما باقي المصادر والمراجع فقد أثبتها في نهاية البحث ، ولكن لابد من الحديث عن أبرز المصادر التي اتكا عليها البحث اتكاءً كبيراً ، مع موجز عنها وعن مدى الفائدة المأخوذة منها.

فإذا بدأنا بالحديث عن المصادر التاريخية العامة فإن كتاب الطبري (تاريخ الرسل والملوك) يأتي في مقدمة هذه الكتب لعدة أمور منها أن الطبري معاصر للدولة السامانية ، وهو ثقة في مروياته ، ويجمع أكثر من رواية للخبر دون أن يتدخل في كثير من الأحيان .

إلا أن الفائدة منه ظلت ناقصة لأنه يتوقف في التاريخ عند سنة (٣٠٢) للهجرة أي أن شطراً كبيراً من تاريخ الدولة السامانية لم يرد في هذا الكتاب .

أما الكتاب الثاني فهو كتاب أحمد بن أعثم الكندي الكوفي وقد أفدت من كتابه في أخبار الفتنة الكبرى ، وأخبار الفتوحات في منطقة ماوراء النهر وخراسان ، وأخبار بعض الثورات الشيعية ولاسيما أنه رجل شيعي لذلك اهتم بإيراد أخبار تلك الحركات .

والمصدر الثالث هو كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠هـ ، ففيه أخبار كثيرة عن الدولة السامانية وملوكها ، وعن الدولة الصفارية ، إضافة إلى الحركات الشيعية التي قامت في تلك المناطق .

ويتميز كتاب الكامل عن تاريخ الطبري بأنه أشمل من سابقه ، إذ أتى على أخبار الدولة السامانية كلها ، لأن مؤلفه توقف عند سنة (٦٢٨هـ) ، كذلك فان ابن الأثير كان يتدخل في إعطاء بعض الأحكام أو التفسيرات أو الآراء ، مع زيادة واستقصاء للأخبار ، وكذلك فهو ثقة فيما يرويه .

ثم يأتي كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون بعد الكامل في الأهمية ، وتكمن أهمية الكتاب في شموله أولاً ، وفي استقصائه لأخبار وأحداث الدويلات الشرقية حتى أصبح مرجعاً أساسياً لأخبار تلك الدول .

وقد ذكر ابن خلدون في الجزء الرابع من كتابه خاصة أخبار السامانيين ومن جاورهم من الصفاريين ، وأخبار الحركات التي قامت عصرئذٍ .

وهناك أيضا كتاب التاريخ لليعقوبي الذي يتميز بأنه فصّل في بعض الأخبار والأحداث ، واعتمد على المدائني في مروياته ، وكان المدائني أحد المصادر الأساسية للطبري أيضاً ، إلا أن هذا الكتاب ككتاب الطبري لايغطي من أخبار الدولة السامانية إلا البداية فقط ، وتبقى الفائدة الأكبر منه في أخبار الفتوحات الإسلامية .

ويمكن الباحث أن يفيد من كتب المسعودي ولاسيما كتابه التنبيه والإشراف ، وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر .

وهناك طائفة من الكتب التي خصت مدينة من المدن بالتأريخ ويأتي في مقدمتها كتاب النرشخي (تاريخ بخارى) فقد اعتمدت عليه في البحث اعتماداً كبيراً لأنه يبحث في أحوال بخارى التي كانت عاصمة

للسامانيين ، وفضائلها ، ومحاسنها . ويذكر الأحداث والأمراء الذين حكموا بخارى وجلّ حديثه في هذا الكتاب كان عن السامانيين بشيء من التفصيل .

والكتاب في أصله مكتوب بالفارسية ثم ترجم إلى العربية واختصر في أثناء الترجمة لذلك جاءت بعض الأخبار مختصرة غير وافية ، ويبدو أنه لم يكن مدققا في رواياته لذلك اختلطت بعض الأخبار بالأساطير التي تبتعد عن الحقيقة .

ومن المصنفات أيضا كتاب (زين الأخبار) لعبد الحي بن الضحاك الكرديزي الذي كتبه بالفارسية ثم نشر مترجماً إلى العربية ،والكتاب يشمل أخبار الدولة السامانية كلها ، ويبدو أنه كان يأخذ كثيراً عن المصادر التي أخذ عنها أيضاً ابن الأثير ،وتميز عن كتاب الكامل أنه فصل في أخبار الفترة الواقعة بين ٣٤٤ هـ -٣٦٥ على حين إن ابن الأثير لايكاد يذكر عنها شيئا .

ويعد كتاب سياسة نامة لنظام الملك مرجعاً مهماً للبحث عن النظام الإداري للدولة السامانية ، وقد أفدت من أخباره فائدة جليلة .

وكذلك كانت هناك فائدة كبيرة من القسم الأخير في كتاب سياسة نامة الذي جعله المؤلف للحديث عن الإسماعيلية ورجالها حتى عصره ، وفي هذا القسم إشارة إلى أن الأمير نصر بن أحمد الساماني كان أحد أعلام الإسماعيلية .

وفي القرن الحادي عشر الميلادي ظهرت طائفة من المؤلفات التي تتناول عقائد المجتمع والمذاهب التي انتشرت فيه ، والحركات الدينية التي ظهرت ، وقد تحدث ابن النديم في كتابه الفهرست عن هذه الكتب .

وكان لكتب أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى (١٠٤٨م) فائدة كبيرة في أخبار خوارزم وتاريخها ولاسيما في كتابه تاريخ خوارزم " ، وصحيح أن هذا الكتاب لم يصل إلينا ، ولكن الكتب نقلت عنه كثيراً من الأخبار التي وردت فيه ، فأدت فائدة لايستهان بها.

كذلك وصل إلينا كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) وفيه مادة قيمة عن تاريخ خوارزم وغيرها أسهمت في إغناء البحث وكشف بعض الجوانب من تاريخ الدولة السامانية ومن جاورها.

وإلى جانب كتب التاريخ التي كان المعول عليها في لم شتات الأخبار المتعلقة بالدولة السامانية ، كان للكتب الجغرافية والبلدان فائدة مهمة في البحث من حيث الحديث عن طبيعة البلاد ومناخها ومياهها . إضافة إلى مايرد فيها من أخبار تاريخية وأقوال في البلاد وأهلها ومميزات شعبها وغير ذلك .

ومن أوائل الكتب الجغرافية التي أفدت منها كتاب عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة المتوفي في حدود سنة (٣٠٠ هـ) وقد غطى كتابه جزءاً من تاريخ الدولة السامانية ، إضافة إلى أن الكتاب في الجغرافية فهو يتحدث عن طبيعة المناطق والمسافات بينها ، وهذا مما لايتغير.

وهناك كتاب (الأعلاق النفيسة) لأبي علي أحمد بن عمر بن رسته ، وكتاب (مختصر البلدان) لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، وهذان الكتابان يقدمان معلومات جغرافية تعين في تحديد المناطق والأقاليم والمسافات والمناخ وما إلى ذلك .

ويعد كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل من المصادر المهمة التي تناولت بلاد ماوراء النهر وخراسان ،من حيث الطبيعة والسكان والمناخ .

وكذلك كتاب (المسالك والممالك) لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري هو من أبرز المصادر الجغرافية التي أغنت البحث في الحديث عن طبيعة بلاد السامانيين ومدنها والمسافات بينها ، وخصائص السكان .

ومن الكتب الجغرافية التي لم يستغن عنها البحث أيضا كتاب الإدريسي محمد بن محمد (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ففيه أيضاً إيضاحات جغرافية وبعض الزيادات إضافة إلى أن مقارنة ما ورد فيه بغيره يعين على إعطاء صورة أوضح لطبيعة بلاد السامانيين.

أما كتاب ياقوت (معجم البلدان) فكانت له فوائد متعددة إضافة إلى ما فيه من معلومات جغرافية . فياقوت لم يكتف بالعرض الجغرافي للمدن والأقاليم ، بل كان يشير إلى فتوح البلدان وكيف كان فتحها عنوةً أو صلحاً ، كذلك يتحدث عن مميزات السكان وخصائصهم ، وماقيل فيهم مدحاً أو ذماً ، وعن المناخ والمياه وأثره في طبيعة البلاد والسكان ، ثم يشير إلى بعض الحوادث التاريخية التي جرت ،ويترجم للعلماء البارزين الذين ينتمون إلى هذه المدينة أو تلك في شتى المعارف والعلوم ، ولذلك كانت لهذا الكتاب فوائد متنوعة أغنت البحث وأعانت على تقديم صورة أكثر وضوحا ودقة ، ولاسيمافي ضبط أسماء البلدان وإزالة اللبس الذي يحتمل أن يكون من حيث التصحيف أو التحريف .

كذلك اتكأ البحث على كتاب (الروض المعطار) للحميري الذي أراد أن يكون كتابه معجماً جغرافياً مرتباً على حروف المعجم يتناول المكان المشهور ، ويذكر مايتصل به من قصة أو حكمة أو خبر طريف ومستغرب ، ولهذا كان للكتاب مزية جغرافية وأخرى تاريخية .

ومن الكتب الجغرافية التي أفادت البحث في الكثير من المعلومات الجغرافية والسكانية كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسي الذي كان يتحدث أحياناً عن أمور شاهدها بنفسه ، كحديثه عن كتاب الجيهاني حيث قال : " ورأيت كتابه في سبع مجلدات في خزائن عضد الدولة (٩٧٥- ٩٨٣م) ، وهو غير مترجم ، وقيل : هو لابن خرداذبة ، ورأيت مختصرين بنيسابور مترجمين أحدهما للجيهاني والآخر لابن خرداذبة ، تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً(١)" .

وبما أورده المقدسي يستطيع الباحث الاستدلال على أن الجيهاني قد وضع مصنفه اعتماداً على مدونات قيدها بنفسه مع الاستفادة من كتب غيره .

ويبدو أن الأدب الجغرافي قد حظي بعناية كبيرة في الدولة السامانية أكثر مما حظي به التاريخ . ففي رحاب دولتهم أيضاً ، وفي مدينة بلخ عاش أبو زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفي(٩٣٤م) والذي تمتع برعاية وزير السامانيين أبي عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني .

وهناك نوع من الكتب والمؤلفات كان له فائدة في إغناء هذا البحث ليس من حيث الطبيعة والتاريخ ، بل من حيث تراجم العلماء والشعراء والأدباء وما إلى ذلك . ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) للثعالبي ، فقد تحدث فيه المؤلف المتوفي (٤٣٠ هـ) أبرز شعراء وأدباء القرن الرابع الهجري ، وظهر

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣-٤

اهتمامه بشعراء خراسان وما وراء النهر ، واستطاع الثعالبي أن يقدم تفاصيل مهمة لاتفيد في معرفة الشاعر أو الأديب وحياته فحسب ، بل تعين على إعطاء صورة واضحة للحياة الاجتماعية والثقافية في ظل الدولة السامانية ، ومن ذلك مثلا قوله عن بخارى " كانت مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ،وموسم فضلاء الدهر " .

كذلك تحدث الثعالبي عن خزانة كتب السامانيين في عهد نوح بن منصور الساماني من خلال ترجمته لابن سينا ، وذلك في قوله " قد دخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد . وطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه ، ورأيت من الكتب مالم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما رأيته قبل ، ولارأيته أيضا من بعد ، فقرأت تلك الكتب ، وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه [١] " .

أما الكتاب الآخر فهو كتاب (مفاتيح العلوم) لمحمد بن أحمد الخوارزمي المتوفى (٣٨٧ هـ) أحد أعلام الدولة السامانية في الأدب والمعرفة المتنوعة ، وقدم الكتاب معلومات لابأس بها وإن كانت مقتضبة وغير مفصلة .

---

(١)- راجع : القفطي : تاريخ الحكماء :٤١٦ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٣٠٨ .

وثمة كتب أخرى أغنت البحث في جانب أو أكثر من جوانبه مثل كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، و(الشاه نامة) للفردوسي، (وقصة الحضارة) وغيرها لايتسع المجال للحديث عنها في هذا التقديم.

كما أن هناك كتباً كثيرةً اضطررت أن أعود إليها وأبحث في ثناياها عما له صلة بالدولة السامانية أو رجالها وعلمائها وأدبائها ولم أجد فيها شيئاً يغني البحث ، ولم أذكر هذه المصادر أو المراجع في مصادر البحث مع أنها استوجبت جهداً كبيراً ووقتاً ليس بالقليل.

ومما لاشك فيه أن هناك بعض المصادر أو المراجع التي كان يمكن أن تفيد البحث لم أستطع الرجوع إليها إما لعدم وجودها وإما لندرة طبعاتها ، أو لكونها بلغات اخرى لم يتيسر لي أن أقف عليها ، وسأعمل جاهدة على الحصول عليها أو الإطلاع على مافيها في قابل الأيام لعلها تضيف شيئاً جديداً إلى البحث مع إدراكي أن ماجمعته من المصادر الكثيرة والمتنوعة قد أدى الغرض المطلوب وقدم معلومات كافية يستطيع الباحث أن يركن إليها ويطمئن إلى مافيها.

وهذا لايعني أنني أهملت هذا الجانب من الكتب ، فقد وقفت عند عدد من الكتب الأجنبية التي تناولت الدولة السامانية أو ما يتعلق بها سواء ماترجم منها أو مالم يترجم.

من ذلك كتاب (تاريخ بخارى) لأرمينوس فامبري الذي ترجمه (أحمد محمود الساداتي) ، وكان هذا الكتاب رافداً مهماً في الحديث عن تاريخ الدولة السامانية التي جعلت من بخارى مركزاً لها.

وكتاب (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي) ليفاسيلي فلاديمير وفتش (بارتولد) وقد نقله من الروسية إلى العربية

صلاح الدين عثمان هاشم ، وكان لهذا الكتاب فوائد في توضيح بعض الظواهر التاريخية والاجتماعية والجغرافية .

وكذلك كتاب (الدولة الغزنوية في شرق إيران) وكتاب (الأمبراطورية الصينية) وكلاهما باللغة الانكليزية .

وتبقى الأخبار والآراء الواردة في هذه الدراسة رهينة بالمصادر والمراجع التي وقفت عليها والتي أرجو أن أكون قد وفقت في الإفادة منها .

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

" الفصل الاول "

عرض جغرافي - خراسان - ماوراء النهر- سجستان مع عرض جغرافي مميزات وسكان كل إقليم ومايحويه من ثروات - زراعة - صناعة تجارة - موارد مائية ....إلى غير ذلك .

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

لابد للباحث في تاريخ الدولة السامانية من الوقوف عند تحديد موقعها الجغرافي وتوضيح مواضعها والحديث عن مدنها حتى ينتقل بعد ذلك إلى الحديث المفصل عن تاريخ هذه الدولة التي ظهرت في المنطقة الشرقية من بلاد فارس ثم استمرت حتى أواخر القرن الرابع الهجري ضمن الخلافة العربية الإسلامية.

وقد توضعت هذه الدولة في فترة قوتها في ثلاث مناطق أساسية هي : خراسان ، وسجستان ،وماوراء النهر.

أما خراسان فقد ورد أسمها بالفارسية القديمة وتسمى (البلاد الشرقية) وهي كذلك في الشرق وتشتمل على مناطق كبيرة ومدن كثيرة يحيط بها من الشرق نواحي سجستان وبلاد الهند ،ومن الغرب مفازة الفزية ونواحي جرجان ، ومن الشمال ماوراء النهر وقسم من بلاد الترك بمحاذاة ظهر الختل ،ومن الجنوب مفازة فارس وقومس التي ضمت إليها نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وقزوين ومايتصل بها ، وجعلت جميعا إقليما واحداً[1] أما الختل فضمت إلى ماوراء النهر لأنها أقرب إلى بخارى منها إلى خراسان ولخراسان بشكل عام خاصرة من الشرق تقع بين مفازة فارس وبين هراة والغور وغزنة ،وأخرى تبدأ من حد قومس إلى أن تتصل بنواحي فيروزاة وهاتان الخاصرتان تقتصران عن تربيع سائر خراسان .

ومما يذكر في حدود هذا الإقليم أنهم يجعلون قومسا على العمارة من حد جرجان وبحر الخزر إلى خوارزم[2].

---

(١)- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : مكتبة الثقافة الدينية ٢٥٦ بدر سعيد :مج٢،ج٧ ص ٦٨٣.
- الإصطخري : (أبو اسحق ابراهيم بن محمد) : المسالك والممالك ،ط. القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي : ص ١٤٥.
- ابن حوقل : صورة الأرض ،ط دار مكتبة الحياة ،بيروت : ص ٣٢٨،٣٤٧،٣٥٨.
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ط ،بيروت - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م : ج٢ ،ص ٣٥٨ .

(٢) - ابن خرداذبة : المسالك والممالك ،مكتبة المثنى ،بغداد : ص ٢٩٣.

وقد أشار ياقوت الحموي إلى اختلاف العلماء في سبب تسمية (خراسان) وعرفها بقوله : " خراسان بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جُوَيْن وبَيْهَق ، وآخر حدودها مما يلي الهند : طخارستان وغزنة وسجتان وكرمان ، وليس ذلك منها ، إنما هو أطراف حدودها ، وتشتمل على أمهات من البلاد ، منها نَيْسابور ، وهَرَاة ، ومَرْو وهي كانت قصبتها ، وبلخ وطالقان ، ونَسَا ، وأبِيوَرْد ، وسَرْخَس ، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون .

ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ، ويعد ماوراء النهر منها ، وليس الامْر كذلك "(١).

كما وجعل ابن خرداذبة خراسان : تسع كور وثماني نواح : حيث يقول : " وقد جعلنا خراسان تسع كور وثماني نواح ورتبناهن في هذا الفصل على المقادير ، وعند الوصف على التخوم وأولها من قبل جيحون بلخ وفي المقادير نَيْسَابُور وأما النواحي فاجلُها قدرا بوشَنْج ثم بَاذْغِيس ثم غَرْجِسْتَان ثم مَرْو الرُّوذ ثم طُخارِسْتَان ، ثم بَامِيَان ثم كَنْج رستاق ثم أسْفِزَار وقد جعلنا طوس وأضحيتها خزائن لنيسابور وجعلنا سرخس من المنفردات عن الكور(٢).

وقال البلاذري : " خراسان أربعة أرباع فالربع الأوّل إيران شهر وهي نيسابور وقهستان والطبَسَان وهُراة وبوُشَنج وباذغيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني ، مرو الشاهجان وسرخس ونسا وآبيورد ومروالروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون ، والربع الثالث غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ والفارياب والجوزجان وطخارستان العليا وخس وآندرابه وباميان وبغلان ووالج ، وهي مدينة مزاحم بن بسطام ، ورستاق بيل وبذخشان مدخل الناس إلى التبت ومن أندرابه مدخل الناس إلى كابل والترمذ ، وهو في شرق بلخ والصغانيان وطخارستان السفلى وخُلْم وسمنجان ، والربع الرابع ماوراء النهر بخارى والشاش والطُّرَانْبَذْ والصغد ... الخ"(٣).

---

(١)- ياقوت الحموي ، معجم البلدان : مج٢ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ ، والحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، مكتبة لبنان ، بيروت ص ٢١٤- ٢١٥.

(٢)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص (٣٩٥- ٣٩٦).

(٣)- البلاذري : فتوح البلدان ص (٣٢٧- ٣٢٨) ، ياقوت : معجم البلدان مج٢ ص ٣٥١ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢١٤- ٢١٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص (٣٥٨ ، ٣٧٣ - ٣٧٤) ، ابن الفقيه : مختصر البلدان ص(٣٠٨- ٣٠٩).

ويبدو أن البلاذري إنما ذكر كل هذه المواضع لأنها كانت تابعة إلى والي خراسان ،واسم خراسان يجمعها كلها . ولابد من التنويه أن خراسان وما وراء النهر كانت جزءاً من الشرق في عصور الإسلام (١).

ولم يكتف أصحاب الكتب الجغرافية بالحديث عن موقع خراسان ،بل نقلوا في كتبهم أشياء أخرى تتعلق به من حيث الصفات والسكان ، فقد أوردوا كثيراً مما قيل من صفات خراسان ومحاسن هذا الإقليم وفضائله وما يتخلق به أهله ، ولاسيما بعد أن دخلوا في الإسلام .

فقد أشار ابن الفقيه إلى أن منطقة خراسان طيبة الهواء، عذبة الماء ، صحيحة التربة ،عذبة الثمرة ، وأهلها ذوو قامات طويلة يتصفون بالوجوه الحسنة وفراهة المراكب ،وتمام الخلقة ، وهم أهل تجارة (٢).

ونقل عن ابن قتيبة إشارته إلى إسراع أهل خراسان إلى الدخول في الإسلام ،إذ قال : " خراسان أهل الدعوة ،وأنصار الدولة ،لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبةً ، وأشدهم إليه مسارعةً ، منّ الله عليهم، أسلموا طوعاً ، ودخلوا فيه أفواجاً ، وصالحوا عن بلادهم صلحاً فخف خراجهم وقلت نوائبهم (٣)" .

وكذلك أشار الحميري إلى أن أهل خراسان دخلوا في الإسلام عن رغبة منهم فقال : " أهل خراسان دخلوا في الإسلام عن رغبة منهم ،ومنهم العلماء والمحدثون والنساك والمتعبدون وإذا حصّلت المحدثين في كل بلد وجدت نصفهم من أهل خراسان، ومنهم البرامكة والقحاطبة ،وطاهر وبنوه وغيرهم (٤).

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧٦.
(٢)- ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣١٥.
( ) - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٢٩٤.
(٣)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٩٣ ،وابن الفقيه : ص ١٥،ياقوت : معجم البلدان : مج٢ ص ٣٥١ .
(٤)- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢١٤.

وأدرك محمد بن علي بن عبدالله مالأهل خراسان من صفات حسنة ،ولذلك أمر دُعاته بالتوجه إلى خراسان ،فقال لهم وهو يوجههم إلى الأمصار : " عليكم بأهل خراسان ، فإن هناك العدد الكثير ،والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ،ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ،ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة "(١).

بيد أنّ هناك بعض العلماء الذين تحدثوا عن مساوئ هذا الإقليم ووصفوا أهله بالبخل ، ولاسيما أهل مرو الذين ذكر كثيراً من قصصهم الجاحظ في كتابه البخلاء ، ولعل الأمر فيه شيء من المبالغة ، فقد وفد على بعض الخلفاء رجل من خراسان ذو عقل وأدب ومعرفة بأهلها ،فقال له : أخبرني من أصدق من أهل خراسان ؟ قال : أهل ماوراء النهر . قال : فمن أوسعهم بذلاً للخبز والملح ؟ قال : "أهل الجوزجان قال : فمن أحسنهم ضيافة ؟ قال :أهل سمرقند ، قال : فمن أسواهم طاعة وأذهبهم بنفسه ؟ قال : أهل خوارزم قال : فمن أحسنهم فطنة وأبعدهم غورا ؟ قال : أهل مرو والسروذ قال : فمن أضعفهم رأياً وتدبيراً ؟ قال : أهل نيسابور . قال : فمن أجهلهم بالخلق ؟ قال : أهل بوشنج . قال : فمن أرماهم ؟ قال : أهل جرجانية خوارزم . قال : فمن أرقهم رأياً ؟ قال : أهل مرو . فقال الخليفة إنني لاأرى وصفاً مناسباً يميز كل مدينة من مدن خراسان أرق من هذا الوصف المفصل الذي وصف فيه هذا الخراساني أهالي مدن خراسان(٢).

وقد ضمت خراسان عدداً من المدن ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويحسن بنا أن نقف عند أبرز هذه المدن لنتحدث عنها وعما فيها من موارد إقتصادية وأسواق وما إلى ذلك ،حتى تتضح صورة هذا الإقليم .وأبرز مدن هذا الأقليم :

---

(١) - ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣١٤.

(٢) - الخبر مفصلا عند ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣١٩- ٣٢٠ .

١)- نيسابور : ويطلق عليها وعلى المناطق التابعة لها :(أبرشهر) ويقال إنها سميت (نيسابور) لأن سابور مرّبها ، فلما نظر إليها قال :هذه تصلح لأن تكون مدينة ،فأمر بها ثم بنيت ، فقيل لها نيسابور(١).

وهي من بلاد خراسان ،أرضها سهلة ، ليس بها ماء جار إلا نهر لايدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة ، وهي في قدرها نصف مرو ، وفتحت نيسابور على عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، سنة (٣٠) ثلاثين للهجرة ،افتتحها عبدالله بن عامربن كريز(٢).

ونيسابور مدينة جميلة ، جميع أبنيتها من الطين ، وهي قديمة البناء، تقدر مساحتها ثلاثة أميال في مثلها ، ولها ربض كبير ماهول بالسكان ، شيد فيه الجامع ولها أربعة أبواب ،أحدها يعرف بباب رأس القنطرة والثاني باب سكة معقل ، والثالث باب القهندز ، والرابع بقنطرة درميكين وقهندزها خارج عن مدينتها ويحف بالمدينة والقهندز جميعا الربض وللربض أربعة أبواب ،باب يخرج إلى العراق وجرجان ويعرف بباب القباب وباب يخرج منه إلى بلخ ومرو وماوراء النهر ويعرف بباب جيك ،وباب يخرج منه إلى فارس وقوهستان ويعرف بباب أحوص آباذ ،وباب يخرج منه إلى طوس وعدة أبواب لاأقف على جميع أسمائها(٣).

ولها نهر يشربون منه وفيها مدن كثيرة وتعتبر نيسابور قلباً لما حولها من البلاد والأقطار ،كما توجد فيها دار للإمارة بمكان يعرف بميدان الحسين ، وبين المسجد والجامع ودار الإمارة ربع فرسخ(٤).

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٤٥- ١٤٦.
- والشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج٢ ص ٤٦١- ٤٦٢.

(٢)- الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار : ص ٥٨٨. ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٦١- ٣٦٣. ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٢٩٨.

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٦٢. الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٨٨

(٤)- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج٢ ص ٤٦١ - ٤٦٢ وص ٢٠٨، والإصطخري : المسالك والممالك ص (١٤٥- ١٤٦) ، وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص (٢٩٩- ٣٠٠).

ودار الإمارة من بناء عمرو بن الليث[1] وكانت في القديم بخراسان أي أيام (الطاهرين) مرو وبلخ ثم نقلوها إلى نيسابور، فعمرت وعظمت أحوالها وارتادها الكتاب والأدباء، وسكنها العلماء والفقهاء وقد خرجت هذه المدينة كثرة منهم ممن علا ذكرهم وذاع صيتهم في كافة المجالات ولو لم يكن منها إلاّ الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب " المسند الصحيح " لكفاها فخراً وقد وصفها ابن حوقل بقوله : " وليس بخراسان أصح منها هواء" ولا أرحب فناء ولا أشهر عمارة ولا أمكن تجارة، ولا أكثر سابلة ولا اغزر فائدة من نيسابور[2] "، إذ يرتفع منها من أصناف البز وفاخر الثياب القطن والقز مايعم البلاد ويؤثره الملوك ويتنافس فيه الرؤساء . وقد ورد وصفا لها عند المقدسي على لسان أبو القاسم الميكالي الطاهر .

وليس في كل نيسابور ماء جار إلا نهر يخرج إليه فضله في السنة وماؤه لايدوم وهو فضل مياه هراة ، وجميع زراعتهم بعلية وتعادل مساحة نيسابور نصف مدينة مرو وتقع جميع أسواقها خارج المدينة في الربض وأهمها سوقان: أحدهما تعرف بالمربعة الصغيرة ، والأخرى بالمربعة الكبيرة وتمتد هذه الأسواق إلى مقابر الحسنين ، وتتخلل هذه الأسواق خانات يسكنها التجار للبيع فيها، كما وفيها فنادق كثيرة يضاهي كل فندق فيها سوقاً من أسواق بعض البلدان ويختص كل فندق بما يغلب على أهله من التجارة ، ويسكن هذه الفنادق أهل اليسار والتجار الكبار أصحاب الأموال والثراء ، وبالإضافة إلى هذه الفنادق توجد خانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع المختلفة كالقلانسيين والأساكفة ، والخرازين والحبالين وإلى غير ذلك من المهن المختلفة .

ويرتفع من جبال نيسابور الفيروزج ، وأكثر مياهها عبارة عن قني تخرج تحت المساكن وتظهر خارج البلدة في الضياع ، كما لها قني تمتد إلى البلد وتجري في دورهم وبساتينهم داخل البلد وخارجه ، ولهم نهر كبير يعرف بوادي

---

(١) ـ عمرو بن الليث الصفار : من أمراء الدولة الصفارية ، فارس شجاع ، توفي مسجوناً عند المعتضد سنة (٢٨٩هـ) أنظر : الزركلي : الأعلام: ٨٤/٥ .

(٢) ـ ابن حوقل : صورة الأرض ص (٣٦٢ – ٣٦٣) .
ـ والمقدسي : احسن التقاسيم ص ٣١٤، ٣٩٨ .
ـ وابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

سُغَاوُر أو (سخادو) وهو يسقي جزءا من البلدا ولهذا فمدينة نيسابور تعتمد بقسم من مياهها على مدينة مرو(١).

ونسب أهلها إلى الحمق فقد روى ابن خرداذبة "ويحكى عن حموية أحد من نقل عنهم ابن خرداذبة له لو اتخذت بنيسابور بيمارستان ؟ فقال : لايسع لذلك بيت مالي ،قالوا : وكيف وأنت صاحب الجيش ؟ قال : لأنه ينبغي أن يُدار على البلد كله الحائط أي أنهم كلهم يحتاجون إلى البيمارستان لطيشهم وخفة رؤوسهم(٢)" .

ثم يستطرد ابن خرداذبة إذ قال موضحا : " اسم قصبتهم إيرانشهر ولها أربع خانات وإثنا عشر رستاقا وثلاث خزائن وقصر ودارويُعدُد هذه الرساتيق ويذكر فيها ستة آلاف قرية مثل عمواس وبها عشرون منبر.

وتحتوي نيسابور على رسوم حسنة منها مجلس المظالم في كل يوم أحد وأربعاء حيث يعقد بحضرة صاحب الجيش أو وزيره ، وكل من رفع قصة قدم إليه فانصفه وحوله القاضي والرئيس والعلماء والأشراف كما ويوجد عندهم مجلس الحكم كل اثنين وخميس ويعقد في مجلس رجا وصفه ابن خردابة بقوله : ليس في الإسلام مثله ووجد فيها أيضا مجالس لوجوه القوم كان يجتمع فيها القراء يقرأون إلى ضحى• أما الكبراء والفقهاء منهم فيتطيلسون ولايتحنكون إلا من يستحق منهم ، ولهم ألبسة خاصة بهم في الشتاء إذ يتلبس أحدهم ويجعل الطيلسان فوق العمائم ، ثم يلبس فوق ذلك دُرّاعة ويرخي مافوق العمامة على طرف الدراعة من خلف ويوجد من يفعل مثل هذا في كل من طوس وآبيورد وهراة .

وإلى نيسابور ينتسب عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين(٣).

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسين ص ٣١٤.
وابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٦٢.
والحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٥٨ .
والشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ج٢ ص ٤٦١- ٤٦٢ .
والإصطخري . : المسالك والممالك ص ١٤٦.
(٢)- ابن خردابة : المسالك والممالك ص ٣٠٠.
(٣)- المصدر السابق ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

١٢- مـــرو :

مدينة قديمة تعرف بمرو الشاهجان ، وكذلك سميت مرو الروذ أي (وادي المرح) وذلك لخلوها من البناء ، ويقال : إن كسرى بعث أُناسا من أهل السواد عمروها وسكنوها ، وأقام لهم فيها سوقا للطعام والشراب(١).

تقع مرو في أرض مستوية بعيدة عن الجبال ،أرضها سبخة كثيرة الرمال وأبنيتها من الطين يحدها من الشرق شاطىء جيحون ، ومن الجنوب حدود الترمذ والبحر ،ومن الشمال أوائل دروب خوارزم ،ومن الغرب أول حد سرخس وهي سهلية رملية تحيط بها الرمال والمغاوز ، ويجري فيها نهر عظيم يشربون منه من ناحية الجنوب من مرو الروذ ،وهو شرب مرو الروذ ويبدأ من حدود البساميان .

كان في مرو ثلاثة مساجد للجمعات ،إذْ أنه لما كثر الناس ضاق عنهم أول مسجد للجمعة فبنى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المسجد المعروف بالعتيق على باب المدينة ويصلي فيه أصحاب الحديث وبني فيما بعد المسجد الذي يعرف بني " فاهان " ويقال إن هذا المسجد والسوق ودار الإمارة من بناء أبي مسلم حيث كان يجلس فيها وأمراء مرو ، وهي مبنية من الآجر وسعتها خمسون ذراعا ، وللقبة أربعة أبواب يفضي كل باب فيها إلى إيوان ولكل إيوان صحن مربع ، والقهندز يضاهي المدينة في الكبر لكنه عبارة عن خراب ويقع في مكان مرتفع وتصب فيه قناة ماء جار إلى اليوم (٢).

وتسمى مرو أُم خراسان(٣) وكانت معسكر الإسلام في أوله ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين ، وإن يزدجرد ملك فارس كما يقال قتل بها في طاحونة ، ومن مرو ظهرت دولة بني العباس إذْ أنه في دار أُبي النجم المعيطي صنع أول سواد لبسته المسودة .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٦٤.
- والإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٤٦.
- والإدريسي : نزهة المشتاق : ص ٤٦١
- وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣١٠- ٣١١

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٦٤ - ٣٦٥

(٣)- معجم ما استعجم : ج٤ ص ١٢١٦ .
- والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٩٨ ، ٣١٠ .

وأسواق مرو من أنظف الأسواق وقد كانت في القديم بجوار المسجد العتيق وانتقلت أيام أبي مسلم إلى ماجان .

وللبلدة أنهار معروفة مثل نهر هرمزفرة ، وأقيمت عليه أبنية كثيرة من البلد[1] ونهر يعرف بالرزيق ومجراه على باب المدينة ويشرب أهلها منه وعلى هذا النهر يوجد المسجد العتيق ،وفي أسفلة قصور آل خالد بن أحمد بن حماد وكان على إمارة بخارى ويعرف بأسعد الخراساني كما وتوجد على هذا النهر دور حكام مدينة مرو ويحيط بهذه الدور والأنهار الأربعة سور كبير ، كما وكان سور آخر يحيط بالمدينة ورساتيقها .

وكان للمدينة الداخلية أربعة أبواب : الباب الأول يلي المسجد الجامع ويعرف بباب سنجان ،وباب بالين وباب درمسكان ومن هذا الباب مخرج إلى ما وراء النهر[2].

وقد اتخذت هذه الأبواب أسماء مغايرة عند الإصطخري فكانت أسماؤها : باب سنجار وباب البر وباب وسيطا ويرجح أن ماجاء به ابن حوقل هو الأصح إذ هي أسماء الأبواب نفسها حسب ماورد عند ابن خرداذبة وغيره من الجغرافيين[3].

وقد نالت مرو شهرة واسعة بالإبريسم والقز الموجود فيها بكثرة إضافة إلى القطن الجيد الذي يعد غاية في اللين ويصدر إلى كثير من البلدان ، كما وتشتهر أيضا بالبطيخ والتي تبلغ الواحدة منها وعلى حد الرواية ربع قنطار وأكثر وكان يجلب منه للمأمون كل عام بنحو عشرة آلاف دينار ويحمل بطيخ مرو إلى سائر أنحاء البلاد .

وكانت المدينة تشتهر بفنادقها وحماماتها ومنابرها العديدة والكثيرة إضافة إلى كثير من الرباطات الموجودة خارجها[4]. ويتصف أهل مرو -على قلة عددهم بدهائهم ، وهرجهم ، وقلة طموحهم ، والسعي وراء الكسب والشراب[5].

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٤٧ - وابن حوقل : صورة الارض : ص ٣٦٤ - وابن الفقيه : مختصر البلدان : ص ٢٠٩ - وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣١٠-٣١١ .

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٦٤.

(٣)- الاصطخري : المسالك والممالك : ص ١٤٨
الإدريسي : نزهة المشتاق : ج٢ ص ١١٦ ،والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٩٧- ٣٩٨
ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٣٢٠

(٤)- لطائف المعارف : الثعالبي ص (٢٠١ -٢٠٢)

(٥) - ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٣١١.

وقد أشار ابن خرداذبة إلى جميع المسالك والطرق من مدينة مرو إلى طخارستان ونواحيها جميعا [١]. كما ذكر الاصطخري المسافات بين مدنها [٢].

٣- هراة

بلد قرب بوشنج ،وهراة اسم للمدينة ،ولها أعمال ، وهي عامرة بالسكان ، ومحاطة بالمياه من جميع نواحيها ،ولها ربض محيط بها [٣]. ومقدارها نصف فرسخ في مثله .

ولهراة أربعمئة قرية ، بينها سبع وأربعون دسكرة ، تشتمل كل واحدة على عشرة أمقار إلى عشرين ، ولها من الأرحاء ثلاثمئة وأربع وعشرون .وتقع على جبل سفحه آخر حدود باذغيس ، وهو يستقبل بوشنج وهراة ، فيشكل حاجزاً بين الحدود ، وفيه أمم كثيرة وقرى عديدة .

وجميع أبنية هراة من الطين ، ولها أبواب كثيرة ، جميعها من الخشب مصفحة بالحديد ،إلا باب سراي فهو حديد صرف ،وأمام كل باب سوق كبيرة ومياه جارية .

وفي هراة دار للإمارة ، ومسجد جامع كبير الفناء حسن البناء، تحيط به الأسواق ، وفي قبلته سجن المدينة ، وهو خارج الحصن الذي جعل له اربعة أبواب ، ثم جدار يطوف بالحصن كله .

وكان على رأس الجبل الذي يلي هراة بيت نار يدعى (سرشك) ظل عامراً مدة من الزمن [٤].

وقد افتتح هراة الاحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه [٥] وإليها ينسب عدد كبير من أئمة الفقه والحديث [٦].

---

(١) - ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٣٠٩ .

(٢) - الاصطخري : المسالك والممالك : ص ١٥٩.

(٣)- الإدريسي : نزهة المشتاق :ج٢ ص ٤٧٠ - ٤٧١ ،وابن حوقل :وصورة الأرض ص ٣٦٦-٣٦٧، المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣٠٦،واليعقوبي : البلدان : ص ٢٨٠ ، ياقوت : معجم البلدان : ج٢ : هراة ،وآثار البلاد ص ٤٨١.

(٤)- الحميري : الروض المعطار : ص ٥٩٥ ،الإدريسي : نزهة المشتاق ،ص ١٤٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٦٦، واليعقوبي : البلدان : ص ١٨٠-١٨٢. وياقوت : معجم البلدان :ج٢،هراة وآثار البلاد : ص ٤٨١.

(٥)- ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج١ ص ٩٥ . والحموي (ياقوت) : معجم الأدباء : ج٣ ص ٢٦٠

(٦) - البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠١ - ٤٠٢.

وتعد هراة فرضة خراسان وسجستان وفارس والجبل وعلى مسافة ستة أميال من هراة على طريق بلخ يوجد جبل ضخم ترتفع منه الحجارة للارجاء وفرش الديار . ويخرج نهر هراة من جبال الغور قرب رباط كروان ، كما وتخرج منه من حد الغور أودية كثيرة تستعمل للسقي والزراعة عليها ،والبساتين متصلة على طريق سجستان مقدار مرحلة[1] وأكبر مدينة بهراة : كروخ وأوفة ومنهما يأتي الكشمش والزبيب الطائفي الذي يحمل إلى سائر الأنحاء إضافة إلى الكرابيس والأدوات المصنوعة من النحاس .

وتبعد المنطقة الجبلية عن مدينة هراة فرسخين عن طريق بلخ وليس بهذا الجبل محتطب ولا مرعى وإنما ترتفع منه الحجارة للأرحية .

أما بوشنج المجاورة لها فهي تكاد تكون نصف هراة وفي مستوى واحد ومن بوشنج إلى الجبل نحو فرسخين ، يتكون بناؤها من الجبس وفيها من المدن حزكرد ،ومذكرد ،وكره وتحوي الكثير من المياه والأشجار وخاصة نبات العرعر الذي يحمل إلى سائر أنحاء خراسان ومياهها من مياه نهر هراة الذي يجري إلى سرخس ، ولمدينة بوشنج حصار بني عليه خندق له ثلاثة أبواب :

١- باب علي وهو يفضي إلى نيسابور .
٢- باب هراة وهو يفضي إليها .
٣- باب قوهستان ويفضي إلى قوهستان التي تشكل ناحية من خراسان على مفازة فارس ، وإذا مررنا من بوشنج إلى هراة نسير في سواد بوشنج ونجد قرى متصلة إلى أن نقرب من هراة[2].

وتأتي بعد بوشنج مدينة باذغيس ومن بوشنج إلى باذغيس ثلاث مراحل وبها من المدن جبل الفضة وكوه وكوغناباذ ، وبست وجاذوا ، وكابرون ،وكالوون ، ودهستان ومقام السلطان بكوغناباذ وتعد دهستان أكبرها وأعمرها وهي نحو نصف بوشنج ،بناؤها من الطين وتقع على جبل ،وفيها قليل من المياه الجارية ،وهي خالية من الكروم والبساتين وذلك لأنها عبارة عن مباخس .

---

(١)- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج٢ ص ٤٧٠- ٤٧١.
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٦٦- ٣٦٧.
لطائف المعارف : الثعالبي ص ٢٠٠
(٢)- الإدريسي : نزهة المشتاق : ج٢ ص ٢١٦ ،ابن حوقل : صورة الأرض ظ: ص ٣٦٨.

كذلك كوه وجبل الفضه الذي كان يحوي كثيراً من معدن الفضة ولكنه تعطل لقلة الحطب .

أما كالدون وكابرون فهما خاليتان من البساتين والمياه الجارية وتعتمدان على مياه الأمطار والآبار وفيهما الكثير من الزرع والأغنام (١).

وقيل أن عبد الرحمن بن سمرة افتتحها في أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأهلها أهل جماعة (٢).

وتأتي بعدها سرخس وتقع بين نيسابور ومرو في أرض سهلة ولايوجد فيها مياه جارية وتغلب عليها المراعي ، وتعتبر من المدن القليلة القرى ومعظم أملاك أهلها من الجمال والأغنام لذا يمارس السكان فيها الحياة الرعوية .

أما من ناحية خوارزم إلى ناحية أسفيجاب ففيها الترك الغزية ، ومن أقصى فرغانة الترك الخزلجية ثم نطوف حدود ماوراء النهر على ظهر الختل إلى حد الترك في ظهر فرغانة (٣).

٤)- بلـخ :

مدينة خراسان العظمى تقع في مستو من الأرض وترجع أهميتها إلى موقعها المتوسط كما ذكر اليعقوبي : فهي تقع على أبعاد متساوية من الحدود الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية لمنطقة إيران ذات الحضارة العريقة لهذا كانت بلخ عاصمة لهذه البلاد في الفترة التي خضعت فيها المنطقة لحاكم واحد .

وهي دار مملكة الأتراك والملك بها لازم وفيها العساكر والأجناد والملوك والقواد والعمال .

والمدينة مبنية من الطين واللبن ولها سبعة أبواب وربض عامر كثير السكان ، وسورها من تراب وتوجد فيه الأسواق والصناعات ، وتحيط بجوانبها الكروم والجنات والبساتين والمتنزهات ، يشتغل معظم أهلها بالتجارة ويجنون منها أرباحا طائلة .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٦٧- ٣٦٨ .
والإدريسي : نزهة المشتاق : ج٣ ص ٢١٦ .

(٢)- الحميري : الروض المعطار : ص ٧٣ و ص ٤٨٥ .

(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٥١ - ١٥٢ و (١٦١ ، ١٦٨).
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.
والإدريسي : نزهة المشتاق ج٣ ص ٦٩٦- ٦٩٧ .

ويتصل ببلخ من الجنوب بلاد طخارستان وبذخشان وأعمال الباميان ،وتقع إلى غربها وشمالها بلاد الجوزجان(١).

ويشير المؤرخون المسلمون إلى أن مدينة بلخ كانت في العصر الساساني مركزاً لأحد المزاربة الأربعة الذين تولوا شؤون خراسان حيث لم تكن سيادة الساسانيين فعلية على تلك المنطقة وخاصة منذ القرن السابع على أقل تقدير(٢). وعلى مقربة من بلخ كان يقوم المعبد البوذي المعروف " النوبهار " أي المعبد الجديد والذي تمتع بشهرة عظيمة وقد ترك لنا ابن الفقيه وصفاً مفصلاً له وكان يؤمه كل يوم عدد غفير من الزوار البوذيين ليسجدوا للصنم الأكبر ، وكان سدنة المعبد والمشرفون عليه من البرامكة(٣) وقد خرب النوبهار في عهد الخليفة عثمان أو في خلافة معاوية وفقا لبعض الروايات ويُرجح في عهد عثمان وذلك عندما كان العرب الفاتحين يقومون بالمهمة الملقاة على عاتقهم وهي نشر الإسلام في تلك المنطقة(٤).

وبعدها قام العرب ببناء المدينة من جديد في عهد الوالي أسد بن عبدالله القسري(٥). وتعد بلخ من أكبر مدن خراسان في عصر السامانيين وتقف على قدم المساواة مع مرو وهراة كما قال المقدسي : " إنها كانت تنافس بخارى في رقعتها واتساعها"(٦). وقد أحيطت هذه المدينة بسور كبير بلغ طوله إثنى عشر فرسخاً ، وللسور إثنا عشر بابا ، وتتكون بلخ من المدينة نفسها مضافا إليها الضواحي وقد ذكر اليعقوبي(٧): أنه كان يفصل بين سور الربض وسور الشهرستان مسافة فرسخ لاغير إلا أن الاصطخري اختزل ذلك إلى نصف فرسخ.

---

(١)- الإدريسي : نزهة المشتاق :ج٣ ص ٤٨٣،١٤٥ .
اليعقوبي : البلدان ،ص ٢٨٠- ٢٨٨.
الإصطخري : المسالك والممالك ،ص ١٧٢ . ابن حوقل : صورة الأرض ،ص ٣٧٣.
الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٦.

(٢)- الطبري : الرسل والملوك : ج٦ ص ٢٧٦.

(٣)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ص ٣٢٢ -٣٢٣ - ٣٢٤.

(٤)- البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠١.

(٥)- البلاذري : فتوح البلدان ص ٥٠٤ ، الحموي :(ياقوت)معجم البلدان ج٤ ص ٨٢٠،٨١٧.

(٦)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣٠١ - ٣٠٢ و ص ٣٤٦.
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ،ص ٨١ .

(٧)- اليعقوبي : البلدان ص ٢٨٧- ٢٨٨.

وقد بني سور المدينة كباقي الأبنية من الطين ، وكان المسجد الجامع في وسط المدينة تحيط به الأسواق بشكل دائري من جميع نواحيه وهو على ضفة نهر متوسط مقدار ما يدير ماؤه عشر أرحاء يجري على باب النوبهار ويسقي الرساتيق وأشاد المقدسي برخاء مدينة بلخ ويسارها وبين " أنه ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويساراً ويحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان زائداً عما يحتاج إليه [1]".

وفي بلخ يقع نهر جيحون وهو نهرها العظيم ، وعماد الحياة فيها والمسافة بينه وبينها اثنا عشر فرسخا وتأتي بعدها ترمذ وعلى النهر مباشرة ، تليها بخارى وجبالها وأنهارها في أقصى الجانب الشمالي منها [2].

وكانت الطريق التي تربط مدينة بلخ بالقاعدة الثانية للعرب في خراسان مرو تسير مثل الطريق من بلخ إلى بذخشان على هيئة قوس أسفل الجبال [3]، وعند بلوغها نهر مرغاب تنعطف صوب الشمال الغربي محاذية للنهر حتى مرو ، وبين بلخ ومرو الروذ " مروجك الحالية أو مرغاب على الأرجح ،كما ويرد ذكر مدن : شبرقان أو آشفورقان) وفارياب ، وطالقان [4] وكان لبلخ من انرستاق بذخشان بنجهر ، جاربايه ،بروان وجميعها مدن جليلة وأعمال واسعة [5].

وابتداءً من زمّ على الضفة اليسرى لنهر جيحون كان الأهالي يستعملون النهر في الري الصناعي [6]،غير أن الأراضي المزروعة والمتصلة العمران كانت تبدأ من مدينة آمل التي تقع على مسافة فرسخ من النهر وهي مساوية لمدينة زم في المسافة تقريبا إلا أن موقعها على الطريق الكبير الذي يربط خراسان ببلاد ماوراء النهر قد أكسبها أهمية كبرى إذ أطلق اسمها على النهر بأجمعه [7].

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٣٠٢.

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٢٦ و ص (٢٥٤، ٢٧٨).
الحميري : الروض المعطار ،ص ٩٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٧٣- ٣٧٤.

(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٨٦،المقدسي : أحسن التقاسيم ،ص ٣٤٦ .

(٤)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص (٣٩٥- ٣٩٦)

(٥)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٩٦ .

(٦)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٩٧ .

(٧)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٣٢٨، ٣٨١.

وعلى مسافة فرسخ آخر كانت تقع فربر أو (فربّ) وكان فيها مسجد جامع شيد من الآجر وقد تمتع أمير فرب فيما مضى بشيء من الاستقلال ، وفيها قاض مستقل ، وتجري بها الأحكام ،ويذكر ياقوت أنها كانت تحمل اسم (رباط طاهر بن علي)[١].

وكان الطريق الكبير من خراسان إلى بلاد ماوراء النهر يمر على آمل وفرب إذ أنه في هذه المنطقة يقترب جيحون من نهر زرفشان ويضيع في الرمال قبل بلوغه مجرى جيحون حيث ينبع زرفشان من البقم الأوسط عند ناحية بُرغر قريباً من حدود صغانيان ، وهناك مجمع للمياه يعرف (بجن) وهو أشبه بالبحيرة تحيط به القرى [٢].

وفي بلخ ضروب من التجارات وتأتي إليها الأمتعة من كل الجهات ،ويغلب على أهلها تدقيق النظر في العلوم ولعل افضل وصف لأهلها ماوصفها به أبو القاسم العلِيّ لأنها بلَدَهُ حيثُ قال : " بلخ في الأخلاق الجميلة ، والشجاعة وشدة الخلق والعقل وجودة الرأي ونبل الهمة وحسن المعاشرة والحرص على قضاء الحقوق والتباذل عند الحاجة وحسن وضع الكورة وتقديرها ، وتقارب أطوال أهلها ورخص الأسعار بها ، وكثرة الخضرة ،واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر في المحال والمنازل وقرب الجبال والأودية ومرافقها نظير دمشق الشام[٣]".

ويرتفع من بلخ النوق البخاتي التي لانظير لها في قطر من الأقطار ، والمسافة من بلخ إلى مدينة مرو مائة وستة وعشرون فرسخا ،وكانت الطريق عادة من بخارى إلى بلخ،وثمة طريق آخر يربط مدينة بلخ بمدينة مرو[٤] أما الطريق من بلخ إلى طخارستان العليا فمسافته خمسة فراسخ[٥].

هذه هي أكبر مدن خراسان وأهمها ،وأعظمها مكانة ، وهذا الذي حملنا على التفصيل في الحديث عن حدودها ومعالمها وسكانها وأبرز مايميزها ، وماقيل في سكانها ومواردها.

---

(١)- الحموي : (ياقوت) المعجم ج٣ ص ٨٦٧.

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٣٢٨ ، ٣١٩.
النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٨.

(٣)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص (٣٠١- ٣٠٢).
الإدريسي : نزهة المشتاق ،مج١ ج١ ص ٤٨٣ .
ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٣٢٣- ٣٢٤ ، ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص ٣٩٤

(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٢٦ .

(٥)- ابن خرداذبة : المسالك ص ٢١٣ .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٥٨- ٣٥٩.

ولاشك أنّ هناك مدناً أخرى في خراسان دونها أهمية ،ولاترتقي إلى منزلة المدن المذكورة ولو شئنا تتبع كل هذه المدن بالحديث المفصل لطال البحث وخرج عن حدوده. ويكفي أن نعدد هذه المدن ، فمنها : قوهستان ، وطوس ،ونسا ، وآبيورد ، وسرخس واسفزاز ،وبوشنج ،وباذغيس ،وكنج ، ورستاق مرو الروذ ، والجوزجان ، وغرج الشار ، والباميان ، وطخارستان ، وزم ،وآمل .

وبعد خراسان نستطيع الانتقال إلى الحديث عن المنطقة الثانية من المناطق التي قامت فيها الدولة السامانية وهي ماوراء النهر .

- ماوراء النهر :

هي تسمية أطلقها العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري سيحون وجيحون ، وكانت جزءاً لايتجزأ من شرق ديار الخلافة[1]، سكنها مزيج من الشعوب الآرية والتركية والمغولية[2]،ولم يكن لها أي عوائق طبيعية تحميها من غارات الرعاة ، فخضعت في الغالب لسيادة القبائل التركية ، وكانت حدودها في الغالب غير ثابتة ، ولاسيما في عهد السيادة العربية .

ولم يدخل الجغرافيون المسلمون هذه المنطقة ضمن تركستان ، لأنهم كانوا يقصدون بهذا الاسم بلاد الترك عامة ، أي المنطقة التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين ، حيث سكنها البدو الرحل من الترك والمغول[3].

وتتأتى الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة من مجاورتها لقبائل المغول والترك من جهة ، وقربها من الصين والهند من جهة ثانية[4]،كما أن جميع الأوصاف المفصلة لهذه المنطقة تعود إلى عصر السامانيين وهذا هو المهم الذي نريد الوقوف عنده. .

أما حدود ماوراء النهر[5]: فيحدها من جهة الشرق فامر ،والرّاشت ومما يتاخم أرض الهند على خط مستقيم ،ومن جهة الغرب بلاد الغزية والخزلجّية وهم أجناس

---

(١)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ،ص ٢٣٠- ٢٣١- ٢٣٢ .
(٢)- الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ،ج٨ ص ٤٦٧.
(٣)- الحموي : (ياقوت) معجم البلدان ج٢ ص ٢٣- ٢٤-٢٥ ومايليها .
ابن النديم : الفهرست ص ٢١ .
(٤)- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ط .بيروت ص ١٣١ .
(٥)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٦١، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٨١- ٣٨٢ .
ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٩٧- ٩٨- ٩١، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٧٣.
ابن الفقيه : مختصر البلدان ط. ليدن ص ٣١٥- ٣١٦- ٣١٧وص ٣٢٩.

من قبائل تركية كبيرة حدودهم من جهة المسلمين فاراب ومدائنهم المشهورة ستة عشر مدينة ، وهم البدو الرحل من الترك[١] .

وتمتد من حدود الطراز على شكل قوس ينتهي إلى فاراب وبيكند وسغبد وسمرقند ونواحي بخارا إلى خوارزم وذلك حتى ينتهي إلى بحيرتها.

ويحدها من الشمال الترك الخرلخيّة من أقصى بلد فرغانة إلى الطرّاز على خط مستقيم .

وفي جنوبه نهر جيحون من بذخشان إلى بحيرة خوارزم ، أما خوارزم والختل فتقع فيما وراء النهر ،لأن الختل تقع بين جرياب ووخشاب وجرياب هو عمود جيحون ومدينة خوارزم أقرب إلى مدن ماوراء النهر منها إلى مدن خراسان[٢]. ويدخل الاصطخري في مخططه الجغرافي تحت هذا التعريف قسما من الشاطئ الأيسر لحوض النهر بالإضافة لشاطئه الأيمن وهذا صحيح من ناحية الحدود السياسية للأقليم،وذلك لأنه منذ عصر السامانيين غدت الطالقان ، وطخارستان وزم ، أجزاء من مملكة بخارى ، بالرغم من وقوع أجزاء منها على الشاطئ الأيسر لنهر جيحون[٣]. ولهذا فالحدود . السياسية لبلاد ماوراء النهر أيام السامانيين كان يرسمها خط يمتد مع اتجاه نهر جيحون من مقاطعة بذخشان على النهر حتى شاطئ مرغاب الأيسر ، وهي أرض ضمت قديما الولايات الآتية :

١- ختلان أو وخش - أوجان و (جان) هو الأرجح.

٢- مقاطعة طخارستان ،وتقع على شط جيحون وتضم مدينة كركي وأندخوي ، وميمنة .

٣- مقاطعة زم ،وتقع على جيحون ،ويحدها من الشرق والجنوب صحراء خوارزم .

وكانت مقاطعة طخارستان تضم جميع المقاطعات الواقعة على ضفتي نهر جيحون والتي تعتمد في اقتصادها على مدينة بلخ[٤].

---

(١)- ياقوت : معجم البلدان : مادة بلخ.

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ط. القاهرة ص ١٦١- ١٦٢ .
ونقله عنه أيضا ياقوت في معجم البلدان : ٣٤٦/٢ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٨١- ٣٨٢ .

(٣)- النرشخي: تاريخ بخارى تأليف أرمينوس فامبري الترجمة ص ٢١-٢٢ .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٢- ٢٣ ،
ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٣٦٠ - ٣٦١ .
Hdud Al-Alam - P.348.

وقد ارتبطت مقاطعة وخش التي تشمل سهل فرغانة ارتباطاً سياسياً ببلاد الختل.

أما بالنسبة للمنطقة الشمالية من بلاد ماوراء النهر فليس من السهل تحديدها على وجه الدقة ، فعندما تحدث الاصطخري : عن إقليم أشروسنه أشار إلى أن السغد هو اسم هذا الإقليم ، وليس ثمة مدينة بهذا الاسم ، وعاصمة أشروسنة خجندة لينين أباد حالياً) وهو يحد فرغانة في الشرق ، وبكش في الجنوب ، وبجج في الشمال ثم الصغد في الجنوب والجنوب الغربي ،وبهذا فإن أشروسنة تشكل القسم الجبلي من بخارى الحالية [1].

وكان بومخت (العاصمة) أهم مراكزه ، وهذا هو أحد أسماء بخارى ، ولايعرف موضعها الحالي .وتأتي بعدها سرود الحالية وتقع على حد فرغانة.

ولأسروشنة مدن كثيرة ومملكتها واسعة جليلة ويقال ، كان فيها أربعمائة حصن ،ولها واد عظيم يأتي من نهر السغد ،ويوجد فيه الذهب .

وبين أسروشنة وفرغانة مرحلتان ، وأكبر مدون أشروسنة بومنجكث ، وفيها مسكن الولاة ولها سوران : واحد على المدينة والآخر على ربضها وبابان ، وفي داخلها مسجد جامع ،ودار للإمارة ، وسجن ضمن قلعتها ويشتمل سور الربض على بساتين وكروم.

ويقع إلى شمال ماوراء النهر أسروشنة إقليم جج (بوادي سيحون) ويحتوي على مدن كثيرة وكبيرة منها : خجندة ، بناكث ،وأترار ، وسفنان وسيرام وغيرها [2].

والمعروف أن أسروشنة كانت تتبع بخارى على الدوام ،أما جج فتداولتها أيدٍ مختلفة وفي الفترة المتقدمة على الفتح الإسلامي كانت شواطئ (سيحون) تشكل دولة مستقلة أصحابها الترك ، إلاّ أن هذه الأراضي ألحقت ببخارى أيام السامانيين ،وفي ظل الحكم العربي كانت بخارى وتركستان قسماً من ولاية خراسان وكانت كل ولاية مستقلة عن الأخرى وتخضع في أمورها لحكومة خراسان ،ولم تستقل بلاد ماوراء النهر بشكل كامل إلا عندما أقام السامانيون دولتهم التي ظلت كما سنرى تدين بالتبيعية الدينية للخلافة .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : الترجمة ص ٢٢-٢٣.
الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٨٢

(٢)- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٦٠
ابن الأعثم : الفتوح ص : ٢٥١٧.
- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤١٦- ٤١٧ - ٤١٨.
- الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ج٨ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .
- ابن رسته : الاعلاق النفيسة ،ص ٣٢٧- ٣٢٨.
- النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٣-١٤.

ويصعب الحديث عن حدود هذا الإقليم بدقة ، ولذلك فإننا نطلق على إقليم ماوراء النهر لفظاً واحداً هو (بخارى) وبالرغم من اشتهار هذا الإقليم باسم بخارى فإن شواطئ زرفشان (ناثر الذهب) وكافة المناطق الممتدة جنوبا حتى جيحون ، وشمالاً حتى صراء قزل قم إنما تمثل الأجزاء الوحيدة من المنطقة والتي هي قسم منإقليم ماوراء النهر وهذه البلاد[1].

وتعتبر بخارى حاضرة السامانيين وذلك منذ أن اتخذها الأمير اسماعيل الساماني[2] عاصمة له وقد بنيت مدينة بخارى عاصمة السامانيين في موقع جيد يمكن من خلاله السيطرة على السغد بأكمله ،والوصول بسرعة إلى جيحون عند شط آمل .

وقد تنبه الإصطخري : على مافي اختيار السامانيين لبخارى من دقة استراتيجية تجعلهم يسيطرون على ماحولهم ، وهذا ماحمل أهل بخارى أيضا على أن يسلكوا سلوكاً طيباً مع حكامهم الذين استقروا بينهم[3].

ولما كان لنهر جيحون أهمية بارزة في هذا الإقليم حسن أن نتحدث عن شطآنه والمناطق الواقعة في جنوبه ،لأن بعض تلك الأقاليم في ماوراء النهر ارتبطت أحياناً بتلك المناطق أكثر من ارتباطها بسمرقند وبخارى .

وقد قيل أن أصل جيحون بالفارسية " هرون "[4]وهو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان ولهذا نسبه الناس إليها .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ،(ص١٣-١٤) (٢٢- ٢٣) .
ابن رسته : الأعلاق النفيسه ، ص٩٧- ٩٨ .
الإدريسي : نزهة المشتاق مج٢ ج٩ ص٧١١ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم ط . ليدن ص (٤٠٤- ٤٠٥) .
النرشخي : تاريخ بخارى ، ص١٢٣ ، ابن حوقل : صورة الارض ص٣٣٨ .

(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك ص١٨٢ .
The Gaznavids, The Empire in Afghaston and Eastern Earn . By G.E. Bosworth , P.78 .

(٤)- الحموي : (ياقوت) معجم البلدان ج٢ ص١٩٦- ١٩٧

ويقول الاصطخري : " فأمّا جيحون فإن عموده يعرف بجرياب ، ويخرج من بلاد وخان من حدود بذخشان ، وينضم إليه أنهار في حدود الختل ووخش فيصير من تلك الأنهار هذا النهر العظيم ، وينضم إليه نهر يلي جرياب يسمى باخش وهو نهر هلبك مدينة الختل ويليه نهر بربان[1].... الخ ".

وقالوا : ينبعث جيحون من بلاد التبت ، يقبل من المشرق مع الصبا فيمر ببلاد وخان ويسمى هناك جرياب[2].

أما المناطق التي تقع على جيحون فأبرزها : آ- بذخشان ويقال : (بلخشان) وتقع على طريق التجارة ، القادم من التبت وقد انفردت بالشهرة دون غيرها من جميع المقاطعات في المجرى الأعلى لنهر جيحون ، واشتهرت بمراعيها الكثيرة ووديانها الواسعة الخصبة ،ومعادن الياقوت واللازورد[3].

كما احتوت على فنادق وأسواق وتجارات واسعة لذلك هي كثيرة الأموال .

ب - ترمذ وهي من أمهات المدن على الجانب الشرقي لنهر جيحون ، تتصل بالصفانيان ، ولها قهندز ،وربض ، ويحيط بها سور ، وفيها أسواق كثيرة فرشت بالآجر[4].

ج - طخارستان : وتقع بين بلخ وبذخشان ،وقد امتدت في عصر السامانيين من ضفاف جيحون حتى ممرات هندكوش الجبلية[5] وكانت طبيعتها رملية في الغالب ، والطريق من بلخ إلى بذخشان تمر على خُلم أي على مرحلة يومين من بلخ).

د - وتعتبر الطالقان أكبر مدن طخارستان ، ومع هذا فهي لاتزيد على ثلث بلخ .

---

(١) - الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٦٦ وص (٣٣٩- ٣٤٠).
الإدريسي : نزهة المشتاق : مج٢ ج ٨ ص (٤٨١- ٤٨٢).
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩٣
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٧٣

(٢)- الحميري : الروض المعطار ص ١٨٥

(٣)- الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ج٨ ص (٤٨١- ٤٩٢)
الحميري : الروض المعطار ص ١٠١
ابن حوقل : صورة الأرض ،ص (٣٩٣- ٣٩٤ .

(٤)- الحموي (ياقوت) معجم البلدان ج٢ ص ٢٦.

(٥)- الطبري : الرسل والملوك ج٨ ص ٧٥،صالح عماش : قتيبة بن مسلم ص ٧٤-٧٥

هـ - وكان لمدينة خلم أهمية خاصة دون غيرها ، وذلك من الناحيتين التجارية والعسكرية وهي تقع على نهر يحمل الاسم نفسه وعلى مسافة غير بعيدة من مخرجه ، وهي مدينة جميلة كثيرة الخيرات فيها مزارع فسيحة ومياه جارية ومن خلم إلى سمنجان يومان وعلى مرحلة يومين من سمنجان تقع بغلان[1] وهي أول كورة على جيحون مما وراء الختل والوخش ،وهما مقاطعتان غير أنهما مجموعتان في عمل واحد وتقعان على نهر جرياب ونهروخشاب .

ومن أهم مدن الختل " هلبك ، ومُنْك ، وفارغر ،وكاربنج ، واندريماراغ ومقام السكان بهلبك " وهي مناطق لم يصل إليها الإسلام .
ويكثر فيها المسك والرقيق ، كما يوجد بوخان كثير من الفضة ،وأرض الختل ذات زروع كثيرة ومياه جارية وثمار وفيرة ، وهي في غاية الخصب وتحوي الكثير من السوائم . ومن أودية الختل يأتي الذهب والتبر الذي يجمع من السيول التي تجري من بلاد وخان حيث المسافة قصيرة بين التبت وخان[2].

وتأتي مدينة القواذيان بعد الختل والوخش وهي مدينة أصغر من الترمذ وذات سور ترابي ، فيها أسواق كثيرة وكان معظم أهلها يشتغلون بالتجارة ، وجميع قراها عامرة بالغلات يلحق بها " نوذر " وهي أصغر من القواذيان ولكنها أكثر منها حضارةً، وتبعد القواذيان عن الصغانيان أربع مراحل وتعتبر الصغانيان أكبر من مدينة الترمذ ، وضاحيتها مسورة بسور حصين ، تتصف بشوارعها العريضة ، ومساكنها الفسيحة مع قلة سكانها وفيها مسجد جامع ، ومياهها جارية على الدوام وتتصل مع أنهار القواذيان إلى أسفل مدينة الترمذ .

والطريق من الترمذ إلى الصغانيان أربع مراحل ،ومن الصغانيان إلى واشجرد تسعة أميال . تأتي بعدها مدينة " دربند " وهي مدينة صغيرة ذات عمارات جميلة وأسواق كثيرة ، عمل أهلها بالصناعة والتجارة وعلى مرحلة منها مدينة (جاركان)

---

(١)- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج١،ج٨ ص (٤٨٧- ٤٨٨).
الإدريسي المرجع السابق ص (٤٨٣- ٤٨٤) .
ابن الفقيه : مختصر البلدان ص (٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣) .
ابن حوقل : صورة الأرض ص (٣٩٣- ٣٩٤) .
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٢٦ وص ٢٩٠ .
اليعقوبي : البلدان ص ٢٨٩ .

التي تقاربها في المساحة ، تليها مدينة القلعة ، وهي مدينة عامرة في آخر الراشت مما يلي الأتراك على جبل عال ،والراشت هي أقصى حدود خراسان من تلك الجهة [1].

هذه هي أبرز المدن التي مر بها نهر جيحون ،وجاورت شاطئه في إتجاهه إلى الجنوب ، حيث بينا حدودها وأبرز معالمها الجغرافية ،والمسافات بينها ،وهي كلها من مدن ماوراء النهر ، وهذا ماحملنا على التفصيل في الحديث عنها جغرافيا لنوضح جزءاً من الرقعة التي امتد عليها هذا الإقليم الذي كان أحد الأقاليم التي قامت عليها الدولة السامانية .

ولابد بعد هذا الحديث الجغرافي عن المدن التي كانت على نهر جيحون من الوقوف عند سكان هذا الإقليم للحديث عن مميزاتهم ،وعقائدهم وماكان لهم ولإقليمهم من خصائص وأمور تفيد البحث في الدولة السامانية .

ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن أبرز مدن ما وراء النهر مما ابتعد عن نهر جيحون .

يُعدّ إقليم ماوراء النهر من أخصب أقاليم الأرض وأكثرها خيراً ،وأوفرها موارداً وغلالاً فخصوبته مستمرة دائمة ، وإن أُصيبت زروعه بآفة أو غيرها لايتأثر أهله لكثرة ماعندهم .

والمياه في هذا الإقليم وفيرة لاتخلوقريةفيه من مورد مائي يروي الناس ويسقي الأرض ،مع برودة في مياهه ،وعذوبة في المذاق ، وخفة على الجسد . وقد تنوعت فيه المصادر الحيوانية ففيه الأغنام والبغال والخيل والإبل ،مما يوفر لديهم الصوف ، وكذلك عندهم من القز والكرابيس والبز مايزيد عن حاجتهم وتميزت بعض مدنه بكثرة بعض المواد ،فكان مثلا الزعفران ،والأذبار ،والسمور ،والثعالب ،يأتي من الصغانيان إلى واشجرد مع غيره من المواد التي يتنافس عليها الكبار والأمراء كطرائف الخذنك والختو والبزاة الرقيقة والقرطاسية.

وزاد من اكتفاء هذا الإقليم وغناه مافيه من معادن بنجهير الوفيرة والنشادر المتميز ،والحديد ،والفضة ،والذهب ،والزئبق ،إضافة إلى نبات الكاغد (البردي) الذي

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك ،ص ١٦٧.
الإدريسي : نزهة المشتاق ،مجا ج٨ ص (٤٨٩ ، ٤٩١).
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩٤.
ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ٣٣٦.
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٣١١- ٣١٢.

لانظير له في الجودة ،وفواكهم في الغالب تزيد عن حاجاتهم فيستخدمونها علفا لدوابهم[١].

أما أهل هذا الإقليم فقد أشارت المصادر إلى تحليهم بكثير من الصفات الحميدة كالسماحة ،ومناعة الجانب ،وإكرام الضيف والبأس ، فقد كانوا يتسابقون في البذل والعطاء ،والإنفاق في سبيل الخير والجهاد وعمارة الطرق ،وكانت لهم يد طويلة في الفتوحات الإسلامية ، فلم تكن ناحية أعظم حظاً في الجهاد منهم ،وكأن دارهم دار حرب[٢].

فقد كانوا " أهل بسالة وسلاح وعلم وصلاح[٣]" وهذا ما أشار إليه عبدالله ابن طاهر في رسالته إلى المعتصم عندما سأله عمن يمكن حشدهم من هذا الإقليم[٤] ، وقد أدرك خلفاء بني العباس بأس أهل ماوراء النهر ،وحسن تدبيرهم، وطاعتهم ، ولطف خدمتهم ، لذلك قربوهم إليهم واستخدموهم في الأمور العظيمة ،فكان منهم قادة الجند ، والخواص ،والحاشية وغير ذلك .

وقد أكد الجغرافيون هذه الصفات في أهل هذا الإقليم[٥]. كما أشادوا بكثرة أعمالهم وقلة البطالة بينهم[٦].

وأما عقائدهم[٧]، فكانت الزرداشية سائدة بينهم ، تبعها حكامهم ،إضافة إلى البوذية ، والمسيحية واليهودية ، ثم آل أمرهم إلى الإسلام ، وظهر بينهم عدد من الفرق الإسلامية ، وقد أسهب المقدسي في تفصيل أمر عقيدتهم بعد الإسلام ، فقال : " ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة كروخ وأستربيان كثيرة ، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلاغلبة ، وللشيعة والكرامية بها جلبة ، والغلبة في الإقليم أصحاب أبي حنيفة إلا في الشاش وأيلاق وطوس ، ونسا وأبيورد وطراز وصنفاج وسواد بخارى وسبخ والدانقان واسفراين وجويان

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٨٤- ٣٨٥.
الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٦٤- ١٦٥.

(٢)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٣٦٠ - ٣٩٣.

(٣)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٦٠- ٣٦١.

(٤)- انظر ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٨٧- ٣٨٩ ونظام الملك :سياسة نامة ص ١٢٦.

(٥)- الاصطخري : المسالك والممالك : ص ١٦٣- ١٦٤،وابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣١٦- ٣١٧.
وياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٦)- ابن حوقل : صورة الأرض :ص ٣٨٤ والاصطخري : المسالك والممالك : ص ١٦٤- ١٦٥.
ابن الفقيه : مختصر البلدان ز ص ٣١٥- ٣١٦ ، الادريسي : نزهة المشتاق مج١-٧ ص ٢٣.

(٧)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣٦٠ .
النرشخي : تاريخ بخارى ،الترجمة ص ٣٣- ٣٤ .
ابن الفقيه : مختصر البلدان ،ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

فجميعهم من الشافعية ، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ، ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمررويين ، ولايكون قاضياً إلا من الفريقين ، وخطباء المواضع التي استثنينا ، ونيسابور أيضا شافعية ، وللكرامية جلبة بهراة وغرج الشار ، ولهم خوانق بفرغانة والختل وجوزجان وبمرو الروذ وأخرى بسمرقند وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب ومذاهبهم تقارب الزندقة وأقوام على مذهب عبدالله السرخسي لهم زُهد وتقرب .

كما أن رسومهم تخالف أقاليم العرب في أكثر الأشياء ومنها : أنهم يأخذون الميت عند الدفن من قبل القبلة إلى صاحب الرأي فيهم ، إلا الشيعة فإنهم يسلونه ويحكى أنه قيل يوما لأهل آبيورد أنهم على مذهب الشافعي ، والأمر لكم في بلادكم فَلِمَ لاتَسُلّون الميت سلاً قالوا : ماكنا لنتابع الشيعة ونخالف المسلمين ...والإمام عندهم لايحول وجهه عن يمين وشمال عند الصلاة على النبي (صلعم) إذا خطب ،وللمؤذنين سرير قدام المنبر يؤذنون عليه بتطريب ،وفي جوامعهم قدور نحاس كبار على كراسي يطرح في الماء الجمر يوم الجمعة ، كما ويلبسون الخفاف في الشتاء والصيف وقلما يوجد بمرو وسرخس وبخارى منطقة لايذكر منها فقيه أو مفسر ، وتضرب المقارع عندهم بين يدي آجلة الأمراء ويشهد يوم أحد في كل شهر غير أنه في كل بلد عدة من المزكيين فإن طعن الخصم على الشاهد سئل عنه المزكي ،ولايُحَنّك فيه إلاّ فقيه أو رئيس"[١] .

وهذا النص يدلنا على انتشار عدد من الفرق الإسلامية في تلك المناطق وتراوح انتشارها بين القلة والكثرة ، ولكن الغالب على أهل تلك المناطق تمسكهم بالعقيدة ، والتقيد بكثير من الأمور حتى ولو كانت شكلية كالصلاة على النبي ، وتنزيل الميت في قبره أو طريقة الوقوف على المنبر وما إلى ذلك . ولعلنا نجد في مثل هذه القضايا إشارة إلى أن الإسلام كعقيدة صحيحة ومتكاملة لم يتفهمه الكثير منهم في البدايات ، وظلوا متمسكين بالقشور، ومما يؤيد هذا تردد كثير منهم باعتناق الإسلام وكثرة الحروب التي نقضوا فيهاعهودهم مع المسلمين ، وكثرة الفرق والمذاهب بينهم ، وهذا ماستوضحه الفصول القادمة .

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٢٣ (٣٢٧ - ٣٢٨).

ويتميز إقليم ماوراء النهر بمناخ مشابه تقريبا لمناخ بلاد الشام، مع جفاف أكثر، لبعده عن البحار ، فتشتد البرودة فيه شتاء ، وتهب العواصف ، وتكثر الثلوج ، بشكل عام ، وإن كان برد خراسان أقل شدة وألطف من باقي المناطق .

أما طبيعته الجغرافية ، فقد سلفت الإشارة إلى خصب أراضيه ، وانتشار السهول فيه ، ووفرة محاصيله (١) التي زاد من كثرتها وجود عدد من الأنهار كسيحون وجيحون ،وزرفشان ، وفخش ،وموورزاب وغيرها . وقد تحدث ياقوت في معجمه عن هذا الجانب فقال : " ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الأطيار موفقة الرياض والأزهار ، ملتفة الأغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ، ولاتبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة من بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند(٢)" .

أما الجبال فهي مكسوة بالغابات والأحراش في القسم الجنوبي الكائن في طاجكستان ، ووعرة وحشية جرداء في السلاسل الكائنة في سمرقند وطشقند ، وهي في مجملها طبيعة صعبة الاقتحام ، وعرة المسالك فيها بعض المضائق والأخاديد والوديان السحيقة ، وتجري السفن إلا بجيحون ونهر الشاش(٣).

وقد برز في أقليم ماوراء النهر عدد من المدن الكبيرة التي كان لها شأن عظيم في جوانب مختلفة ، نستطيع أن نقف عند أبرزها حتى تكتمل صورة هذا الإقليم .

بخارى :

وأولها مما يعاقب جيحون على معبر خراسان ويتصل بها سائر الصغد المنسوب إلى سمرقند " وتتميز على غيرها من المدن في الكبر ،وتزهو عليها في المحاسن نظراً لأرجائها الفسيحة ،فهي كثيرة الأشجار والأثمار ، تقع في أرض مستوية بناؤها من الخشب المشبك وتحيط بها القصور والبساتين والسكك من جميع جوانبها ، وقراها متصلة ويقدر طولها بستة وثلاثين ميلا في مثلها(٤).

---

(١)- المقدسي : مختصر البلدان ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢)- الحموي (ياقوت): معجم البلدان : ج٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .
ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٣٠٨ .

(٣) - ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٦٠ ،صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ٢٥-٢٦ .

(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٦٥ .

يحيط بها سور يجمع القصور والمحال والمساكن التي تمتد من القصبة ويسكنها من يكون من أهل القصبة شتاءً وصيفاً ، ويوجد داخل هذا السور سور آخر عرضه نحو ثلاثة أميال ، وداخل السور مدينة غاية في الجمال والروعة والحسن لها سور مجصص ولها قصبة خارج المدينة متصلة بها تكون مدينة صغيرة[١] . ولها قلعة كان ينزلها الولاة من آل سامان[٢] وذلك لغرابة اتقانها ومتانة بنيانها.

ولبخارى ضاحية كبيرة فسيحة المحلات ، ومعظم أسواقها تقع في الضاحية ويوجد فيها مسجد جامع وهو مضرب المثل في جماله وكثرة مايؤمه من الناس وموضعه على باب القصبة في المدينة .

ومعظم سكان بخارى من الأغنياء ذوي الأملاك الواسعة والثراء الكبير إذ يشتغل معظمهم في التجارة .

ويشق ضاحية بخارى نهر الصغد الآتي من سمرقند ويخترق أكثر ديارها وشوارعها وأسواقها ، وقد أقام عليه أهل بخارى طواحين عدة ، وعلى ضفتي هذا النهر توجد البساتين والجنات والحدائق الملتفة الأشجار والمزارع ومايفضل من هذا النهر يقع في بحيرة سامجن ناحية بيكند وعلى مقربة من فربر ، وتسمى هذه البركة (بسامجن) ولم يطرأ على خطط بخارى تغير كبير على مرور الزمن وبالرغم مما تعرضت له المدينة من نهب وتخريب على أيدي الغزاة الرحل[٣].

إذ كان يعاد بناؤها دائما في المكان نفسه ، وعلى تخطيطها السابق الذي أنشئت عليه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وقد أعان هذا على إمكان تحديد تخطيطها وماجرى عليه من تطورات في عصورها التاريخية وقد ميز الجغرافيون العرب في مدينة بخارى بين معالم ثلاثة :

١)- القلعة أي (القهندز) بالفارسية .

٢)- المدينة وتسمى بالفارسية (شهرستان)

٣)- الربض او الضاحية القائمة بين المدينة القديمة والسور الذي بني في عهد المسلمين .

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٦٥- ١٦٦.
الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق مج١ج٨ ص ٤٩٥- ٤٩٦ ،
ابن حوقل : صورة الأرض ،ص ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢.

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٦٥ .
الإدريسي : المصدر السابق مج١ ج١ ص ٤٩٣- ٤٩٤ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٠٣، ٢٢٤.
الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٩-١٠

أما فتحها فكان على يد سعيد بن عثمان في زمن الخليفة معاوية رضي الله عنه ، ثم خرج منها يريد سمرقند فامتنعت عليه ، وبقيت حتى افتتحها سلم بن زياد أيام يزيد بن معاوية ثم انتقض أهلها وامتنعوا حتى سار إليها قتيبة بن مسلم الباهلي في أيام الوليد بن عبد الملك فافتتحها[1].

وفي العصر الساماني كانت المدينة تنقسم إلى قلعة ، وشهرستان،وربض ويقع الشهرستان على مقربة من القلعة وكلاهما على مرتفع من الأرض بحيث يتعذر رفع الماء إليهما . وبهذا يحتل الشهرستان القسم المرتفع ، وبداخل المدينة قلعة كبيرة يختلف مبناها قليلا عما هو عليه الآن ، وللقلعة بابان أحدهما يعرف باب (الريكستان)[2]في الغرب والآخر باب المسجد الجامع في الشرق ويطلق النرشخي[3]: على الباب الثاني (باب غوريان) أما الباب الأول فكان يسمى في القرن الثاني عشر (باب علف روشان) أو (كاه - فروشان) أي (باعة العلف) ويقطع القلعة شارع يصل البابين الغربي والشرقي .

ويشير الاصطخري[4]: إلى وجود قلعة في داخل القلعة كانت مسكناً للحكام من آل سامان ولاندري إن كان المقصود بالقلعة الداخلية هو القصر (كاخ)[5] الذي تحدث عنه النرشخي ،والذي شيد في القرن السابع الميلادي (التاسع الهجري) على يد نجار خداة أمير بخارى ، وذلك عندما قدم من تركستان لمعاونة ملكة بخارى خاتون ، ولم يكتف ببناء هذا القصر ، بل بنى القلعة الكبرى وأعاد ترميمها ، ويدعوه البلاذري : بيدون "(أمير الصغد) ، وقد ظل اسمه محفوظا لمدة طويلة على صحيفة حديد مثبتة على باب القصر[6].

---

(١)- الطبري : الرسل والملوك ط٠ دار المعارف ج٢ ص ١٧٩ ،٣٩٣- ٣٩٤، ٩٨ أوما يليها
النرشخي : تاريخ بخارى : ص (٦٢-٦٣) وما يليها وص (٨٩- ٦٩).

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ،ص ١٦٥.
الذشخي : تاريخ بخارى : ص ٢٨- ٤١ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٠٢- ٤٠٣ ،٣٩٨.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٣ .

(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٦٥- ١٦٦ .

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٥-٩٣ .

(٦)- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٤.

وقد روى النرشخي : عن أحمد بن محمد بن نصر أنه لما دمرت القلعة دمر ذلك الباب[1]. وثمة روايات تشير إلى أن القصر قد تهدم مراراً قبل أن ينجز بناؤه ، حتى عمل بيدون بنصيحة الحكماء ، وأقام القصر على سبعة أعمدة حجرية وبعدد نجوم بنات نعش أي مجموعة الدب الأكبر) وبهذا أمكنه اتمام البناء.

أما شهرستان بخارى[2]: فهو على نقيض كل من سمرقند وبلخ فهو ذو سبعة أبواب ، ولعل ذلك يعود للاعتبارات نفسها التي أخذت في الحسبان عند بناء القصر داخل القلعة وببخارى دار للإمارة على جميع خراسان ،وهي مدينة في مستو من الأرض تحيط بها القصور والبساتين والمسالك والقرى المتصلة ، والسلك المشتبكة حوالي اثنى عشر فرسخا في مثلها " ويحيط بهذا كله سور ولها سبعة جوامع وأسواقها في الربض وليس بخراسان ولا ماوراء النهر ماهو أشد اشتبكاكا من بخارى ولاأكثر أهلا [3]" . وليس في المدينة ماء جار لارتفاعها ، وينبعث من نهرها الأعظم أنهار ولايوجد داخل حدود بخارى جبل ولا مرتفع إلا موضع المدينة ، وفي خارج المدينة ملاحات ولها سبعة أبواب ولقهندزها (قلعتها) بابان :

وقد أورد الإصطخري والنرشخي أسماء هذه الأبواب السبعة :

وأولها باب المدينة ، ثم باب نور ،وباب يعرف بباب حفره ، وباب الحديد باب القهندز ،باب أسد وهو باب (مهر) وباب بني سعد[4]، ولكن هذه الأسماء تختلف عما ذكره ابن حوقل .

والظاهر أن النرشخي لم يوفق في إعطاء صورة صحيحة عن أسماء هذه الأبواب كما وفق الإصطخري ، وقد أشار إلىأن (باب الحديد) قد تم تشييده في فترة متأخرة عن بقية الأبواب وإن باب القلعة يقع في مواجهتها وهو أقوى الأبواب جميعا.

ويقال : إن سبب تسمية باب حق راه " أي طريق الحق " يرجع إلى أنه كان يعيش إلى جواره الحكيم أبو حفص المتوفي عام ٢١٧هـ/٨٣٢ م والذي يعتقد أن الناس كانوا يعتبرونه رأس المدينة ، ويرجعون إليه في حل مشاكلهم وقد دفن عند موته

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ،ص ٤١- ٤٢- ٤٣.

(٢)- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار : ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣)- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مج١ ج٨ ص ٢١٣- ٢١٤.

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٤٠-٤١ .

- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٦٨- ١٦٩.

- ابن حوقل : صورة الأرض (ص ٣٩٨- ٣٩٩) وص (٤٠٤- ٤٠٥).

- النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٠-١١ .

- الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ،ج٨ ص (٤٩٤- ٤٩٥).

قرب الباب وقد أشار النرشخي [1] إيضا إلى وجود قبر آخر إلى جانب قبر أبي حفص وهو أكبر منه ،وتجعله الروايات الشعبية قبر البطل الإسطوري أفراسياب ، وهو على مقربة من باب (معبد) ،أما سور الربض فقد بني في العصور الإسلامية وفي عام ٢٣٥هـ/٨٤٩- ٨٥٠م على وجه التحديد وكان له ،كما هو الحال مع أسوار المدينة الحالية ،أحد عشر باباً ، ويعددها الاصطخري [2] بدءاً من الركن الجنوبي الغربي للمدينة على النحو التالي :

١)- باب الميدان الذي يفضي إلى خراسان .

٢)- باب إبراهيم إلى الشرق منه .

٣)- الريو

٤)- المردكشان أو (المردقشة)

٥)- كلاباذ

٦)- النوبهار

٧)- سمرقند ويخرج منه الطريق الى سمرقند وسائر ماوراء النهر

٨- فغاسكون ، الراميثنة .

٩)- الراميثنة .

١٠)- حد شرون ومنه يخرج الطريق إلى خوارزم

١١)- غشمج : وقد كان باب مردكشان وكلاباذ يفضيان إلى طريق نسف (قرشي)وبلخ.

ويبدو أن أقساما من مدينة بخارى قد تمتعت في الأزمنة المتقدمة على الإسلام بشيء من الأهمية وقد ذكر النرشخي : إنه عند افتتاح العرب لبخارى كانت تتكون من الشهرستان فحسب وهذا يفيد احتمال ألا تكون قد دخلت آنذاك ضمن المدينة ، وذلك لأنَّ حدود المدينة القديمة قبل العصر الساماني تعود بزمنها لعهد أبي مسلم . وفي العصر الإسلامي أحاط بالمدينة أو الشهرستان وضواحيها سور عام.

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان إلى جانب السور القديم سور جديد أوسع منه دائرة ، ولكل من السورين أحد عشر بابا [3] وقد أحصى الإصطخري [4] أبواب السورين حسب الترتيب الدقيق الذي كانت عليه .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ،ص (٤١-٤٢).

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧١- ١٧٢.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٩- ١٠-١١.

(٤)- الإصطخري : نفس المصدر السابق ص ٣٠٧.

ابن خوقل : صورة الأرض : ص ٣٥٦.

المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٨٠.

/الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ج٨ ص ٤٩٨- ٤٩٩ .

١- باب الحديد

٢- باب قنطرة حسان

٣- ٤- بابان عند مسجد ماخ

٥ - رخنه

٦- باب عند قصر آبي هشام الكناني

٦- باب قنطرة السويقة

٨- باب فارجك

٩ - باب دروازجة

١٠- باب سكة مغان ، أي شارع المجوس

١١- درب سمرقند الداخل

ويشير النرشخي : إلى الحريق الذي نشب في بخارى سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م على أن باب فارجك كان يقع إلى الشمال من القناة الرئيسة للمدينة وإن مسجد ماخ كان إلى الجنوب منها.

كذلك فقد تحدث عن نظام الري فيها ،فأشار أن القناة الرئيسة التي تجلب الماء إلى المدينة تحمل اسم (نهر الذهب) أو النهر الذهبي (زرقشان)(١)

ويقول المقدسي : " وأما نهر الصغد فإنه ينتهي ببخارى وهذا النهر يشق البلد ويتخلل الأسواق ، ويتشعب في الشوارع ولهم حياض في البلد واسعة مكشوفة وكثيراً مايغمر ماء النهر المنقلب إلى بيكندفوق الضياع في الصيف(٢)" .

ويرى النرشخي : " أن هذا الموضع المعروف ببخارى كان يتكون من بركة ومقصبة وغيضة ومرج ،وفي بعض أجزائه كان لايجد أي حيوان مخاضة ،لأن الثلوج كانت تذوب على الجبال بالولايات التي بناحية سمرقند فيتجمع الماء هناك(٣)" .

ويبدو واضحا أن القناة الرئيسة تدخل المدينة قرب باب قرشي الحالي .

إضافة إلى اسماء القنوات الصغرى التي تتشعب داخل المدينة والتي أهمها قناة زرّ الكبرى التي تشق البلد إلى قسمين(٤).

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص١٠ - ١١.
النرشخي : نفس المصدر : ص٩٣ وص (١٢٧- ١٢٨) .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص٢٠ ٨ وص (٣٣١ - ٣٣٢).

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص١٨-١٩.
ابن حوقل : صورة الأرض ص٣٥٦ .
الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ، ج١ ص (٤٩٨- ٤٩٩) .

(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك ص١٧٢- ١٧٣.

وفي بخارى أنهار عدة ، أهمها نهر كرمينه ،وشابوركام ،وخرقانة العليا ، وخرقان ورد ، وعادخنقر ، وسامجين . ويقال إن شابور أقام على نهر شابور كسام رساتيق وبنى قصراً وقرية جعلهما مقراً له .

ولما فتحها قتيبة بن مسلم كان من أبناء شابور وردان خداة وقتل في المعارك[1].

وقد سلفت الإشارة إلى كثرة قصور بخارى وشهرتها ، كما كثر فيها المساجد والزوايا ، وفيها مجلس القرشيين الذي شيده مقاتل بن سليمان وليس له مثيل في ضخامة البناء .

وتشير القصص إلى أن قبرسيشاوس قريب من باب القلعة الشرقي ،وله أهمية عند مجوس بخارى الذي كانوا يقدمون له القرابين ضمن طقوس وأناشيد معينة عرفت بنواح المجوس [2].

واختلفت الروايات حول من بنى قلعة بخارى ، فقيل : سيشاوس وقيل : أفراسياب الذي قتل سيشاوس ، وقد خربت على مر السنين إلى أنْ أُمر باعادة بنائها بيدون بخارخداة زوج خاتون[3].

وقد طرأ تطور على المدينة بعد ذلك ،ففي زمن آل سامان أمر السعيد نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني ببناء قصر عظيم له ،إضافة إلى بناء دور للعمال إلى جانبه [4].

وفي زمن الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح بنى وزيره أحمد بن الحسن العبتي مسجداً جميلاً اكسب المكان بهاءً وعظمة .

ثم تعرضت المدينة بقصورها إلى التخريب والنهب بعد موت الأمير الموفق ، إلى أن اعاد ترميمها الأمير السيد منصور بن نوح الذي تولى أمر المدينة سنة (٣٥٠هـ - ٩٦١م) فعادت أفضل مما كانت عليه ، واعتني بمكان عرف بجوي موليان جعله

---

(١)- النرشخي: تاريخ بخارى : ص ٥٢، ابن حوقل : صورة الارض ص ٤١١.

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٤١-٤٢ .
الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٧٢- ١٧٣ ،و ٣٠٧- ٣٠٩ ومابعدها .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٤١ .

(٤)- النرشخي: تاريخ بخارى : ص ٤٤-٤٥ .

مقراً للملك ،وكان " عبارة عن قصور وحدائق وبساتين ومياه جارية على الدوام ، تتخللها أنهار تجري في كل الاتجاهات نحو المروج والرياض "(١).

وكان يقام سوق جنوبي المدينة اسمه (سوق ماخ روز) تباع فيه تماثيل بوذا ويقام مرتين في العام، وظل على هذه الحالة إلى عهد السامانيين ، مع بيت نار المجوس ،حتى قويت شوكة المسلمين فهدموه وأقاموا مكانه مسجداً يُعد من أهم مساجد بخارى ، وهو مسجد (ماخ)(٢).

وينسب النرشخي عادة بيع أصنام بوذا إلى أمير أسطوري يدعى (ماخ) بينما تشير الرواية الشعبية إلى أن الناس كانوا يجتمعون تحت ظل الأشجار ويجلس أميرهم ، ويتم البيع والشراء .

وعندما فتح قتيبة بن مسلم بخارى أمر أغنياءها بالتخلي عن بيوتهم للعرب ، ففعلوا ، وانتقلوا إلى مكان آخر شيدوا فيه سبعمئة قصر واعتنوا بها فاتسعت المدينة وغلت أسعار بنائها ،وسمي هذا الموضع (قصر المجوس – كوشك مغان) وكانت فيه أغلب بيوت النار ، ثم آل أمره إلى السامانيين بعد أن استقروا في المدينة (٣).

ولما نشأ خلاف بين المسلمين وسكان هذه القصور اقتحموها ،واقتلعوا أبوابها وجعلوها في المسجد الجامع . وكان للسامانيين أيضا مسجد كبير ، قيل إنه احترق سنة (٤٦٠هـ – ١٠٦٨م) إثر النزاع بين ابناء طمغاج إبراهيم ، ولكن أعيد بناؤه في العام التالي(٤).

وعلى كثرة قصور بخارى ،فإن أعظمها قصر (جوي موليان) الذي بناه الأمير اسماعيل الساماني(٥). ويرى النرشخي أن اسمه هذا معنى (مجرى الموالي) وقد ظلت الأراضي التي أوقفها الأمير اسماعيل ملكا لبخارى خداة حتى نهاية العصر الساماني(٦).

---

(١)– الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧٢– ١٧٣،وياقوت الحموي : المعجم:٤/٣٨٠– ٣٨٢. والشريف الإدريسي : نزهة المشتاق : مج ٨ ص ٤٩٨ . وابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٠٠ .

(٢)– النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٨– ٣٩

(٣)– النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٥٠، ياقوت : المعجم ج٤ ص ٣٨٠.

(٤) – النرشخي : تاريخ بخارى ص ٤٧– ٤٨ ،

(٥) – النرشخي : تاريخ بخارى ص ٤٥ ،٦٢ .

(٦) – النرشخي : تاريخ بخارى ص ٤٧ .

وثمة قصر آخر لايضاهي في حسن البناء وضخامته ،وهو قصر الحسن بن علاء سعدي[1].

وهناك ظاهرة في بخارى أساءت إلى مافيها من جمال وحسن بناء وكثرة قصور ، وذلك أنهم كانوا يجلبون الحجارة من منطقة قريبة تدعى (تل وركه)[2] وأكثروا من البناء مما أدى إلى ازدحام السكان ، وإهمال بعض الجوانب الصحية ،ولعل هذا الإزدحام هو الذي أدى إلى كثرة الحرائق التي اشتعلت في المدينة وأتى بعضها على قسم كبير منها ، وقد ذكرالنرشخي حريقين هائلين كانا في عهد نصر ، الأول سنة (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م) والثاني (٣٢٥هـ - ٩٣٧م)[3].

وقسم الاصطخري المنطقة المحيطة ببخارى إلى اثنين وعشرين رستاقاً بعضها كان خارج السور الذي كان الناس يرهقون بدفع الأموال لصيانته حتى عفاهم من ذلك الأمير اسماعيل الساماني[4]، وقام به بنفسه.

ويعتبر وادي كشكارديا أهم مورد للغلال لمدينة بخارى ،ثم يليه مدينة (قرشي)[5]. وكان على الطريق الواصل بين بخارى وسمرقند، هذا الطريق الذي عرف باسم الطريق الملكي (شاهرام)[6] ويبلغ طوله نحوسبعة وثلاثين فرسخا .

وكان في بخارى دار للصناعة، تقع بين السور والمدينة ،قرب الجامع يصنع فيها البسط والسرادقات ،والسجاد ،والبرد ،وكان يؤخذ خراجها إلى بغداد ، وقدره نحو مليون ومئة وثمانية وستين ألف درهم ، ثم خفض هذا الخراج ، ولم تبق هذه الدار على ماكانت عليه من جودة الصناعة ومهارة الصناع، بل آل أمرها إلى الخراب[7].

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٧٤.

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٩٨.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٨٢ و ٩٣- ٩٤. والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٢١ ،

(٤)- الإطخري : المسالك والممالك : ص ١٨٧، ١٨٩ .

(٥)- المصدر السابق ص ٤٢٢ - ٤٢٣، ٤٢٥ و ٣٧٦

(٦) - ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤٠٠ و ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥، ٤٧٦.
ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٣٢٥ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٢٦-٢٧ .

(٧)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٧ و ٥٤ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤٢٥ .
الإدريسي : نزهة المشتاق : مج١ ج٨ ص ٤٩٥ .

وأما مايخص النقود[1]، فقد ضربت من الفضة الخالصة في بادئ الأمر وكان ذلك في زمن أبي بكر الصديق إذ أمر (بخار خداة) بضربها ونقش صورته بالتاج عليها، ثم ضربت النقود من أخلاط مختلفة، عُرفت (بالغدريفي) مما قلل من قيمتها، وهذا أدى إلى رفع خراج الإقليم.

ثم ضرب آل سامان، ومن بعدهم ملوك بخارى نقوداً صغيرة ورقيقة من النحاس الأحمر، عرفت باسم (البيشيزات العدلية) كما ذكر الذشخي والاصطخري[2].

أما لغتهم: فلسان أهل بخارى لسان[3] أهل الصغد، إلا أنه يحرف بعضه، ولهم لسان بالدرّية، وقال ابن النديم: "وأما الدرية فلغة مدن المدائن، وبها كان يتكلم باب الملك، وهي منسوبة إلى حاضرة الباب، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ، وأما الفارسية فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباههم وهي لغة أهل فارس".

وأما لباسهم: فهو الأقبية والقلانس، أي كزي ماوراء النهر، وقد استقر في أذهان القدماء إن أهل بخارى هم أهل علم وأدب وفقه وديانة وأمانة، وخرج منهم طائفة من العلما الذين يرجع إلى آرائهم ومؤلفاتهم وهم أهل بأس وقوة، لم تهزم لهم راية.

ويتبع بخارى عدد من المدن داخل حائطها وخارجه[4]، وهذه أبرز تلك المدن.

---

(١)- النرشخي: تاريخ بخارى: ص ٢١، ٥٩، ٦١.
(٢)- المصدر السابق: ٥٩.
(٣)- الإصطخري: المسالك والممالك: ص ١٧٥- ١٧٦، وابن حوقل: صورة الأرض: ص ٤٠٣ - ٤٠٤، وابن النديم: الفهرست: ص ٣٦٥ - ٣٦٧.
(٤)- الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٤٩٥- ٤٩٦.
الإصطخري: المسالك والممالك ص ١٧٥.
ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٤٠٣ - ٤٠٤.
النرشخي: تاريخ بخارى ص ٢١، ٢٧، ٢٨.

١- الطواويس (طواويسة) : ويقال : اسمها (آرقود)[١] كان أهلها يقتنون الطواويس فغلب هذا الاسم على المدينة وهي من مدن بخارى العامرة داخل الحائط ، لها سور عظيم ، وبها مسجد جامع ،وكان يقام بها سوق محدد يقصده التجار من مدن مختلفة ، ويحملون إليها البضائع ،ويأخذون انتاجها من الثياب المتخذة من القطن . وكان أهلها أهل غنى ، ولم يأتهم ذلك من زراعتهم وبساتينهم الخصبة فحسب ، بل من أرباح التجارة ،لانّ المدينة على الطريق المفضي إلى مدينة سمرقند .

٢ - كرمينية : من رساتيق بخارى وهي مدينة كبيرة أكبر من الطواويس وعامرة بالناس خصبة الأرض كثيرة الفواكه فيها مسجد جامع ، تستمد ماءها من بخارى ، ولكرمينية قرى كثيرة ، كما وفيها الكثير من الأدباء والشعراء الذين علا ذكرهم ، وقد سميت قديما " بادية خردك [٢]" .

٣- نور : وهي مكان عظيم فيها مسجد جامع وأربطة كثيرة ، يقصدها أهالي بخارى للزيارة كل عام باعتبارها مكانا مباركا وذلك لكثرة مادفن فيها من التابعين .

" أسكجكت " وهي قرية تبعد أربعة فراسخ عن بخارى عن طريق سمرقند وفيها مسجد جامع تهدم في عهد طغرلبك الملقب (كولارتكين) فاستخدم أخشابه في بناء مدرسة سميت باسمه [٣].

وقد تمتع أهل هذه القرية بغنى كبير من التجارة التي تدر عليهم أرباحاً طائلة وقد اشتهرت " بالكرباس " أي الأقمشة القطنية وتعتبر هذه القرية من ضمن القرى السلطانية الخاصة ، إذ اقطعت إلى أمير خراسان محمد بن طاهر الذي باعها إلى سهل بن أحمد الداغوني فبنى فيها حماما وقصرا سمي " بقصر الداغوني " أتت عليه مياه النهر فخربته .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٢٧-٢٨ ،الحميري : الروض المعطار ص ٤٠٠- ٤٠١، وياقوت : معجم البلدان :٣٥٦/٢،والادريسي : نزهة المشتاق مج١ ج٨ ص ٤٩٥- ٤٩٦، وابن حوقل : صورة الارض :٤٠٣- ٤٠٤،وابن خرذابة : المسالك والممالك ٢٠٣-٢٠٤،

(٢)- ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٠٣.
الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق مج١ ح٨ ص ٢١٤،
الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ج٢ ص ٨٤ ،

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٨-٣٠ .

" شرغ " : قرية تقابل " اسكجكت " ولايوجد بينهما إلاّ نهر " سامجن)
ويسمى اليوم " شرغ " كما ويسمى " حراكام[1] " وقد بني على هذا النهر
جسر عظيم يفصل بين القريتين وذلك أيام آرسلان خان محمد بن سليمان
الذي بنى مسجداً جامعاً من ماله الخاص .
وبهذه القرية رباط لإقامة الغرباء وتشتهر بقلعتها العظيمة والتي
تضاهي المدينة في عظمتها وكبرها ،وفيها سوق كبيرة لبيع المنتوجات
المختلفة وكان يقصدها التجار من كل مكان وأهم ما اشتهرت به (الروي)
وهو نوع من الفلزات الطبية يصهر مع المعادن في الصناعة ،و(الكرباس)
وقد روي أن الأمير اسماعيل الساماني قد اشترى هذه القرية وأوقفها
على رباط بناه بباب سمرقند داخل مدينة بخارى وتعد قرية مشرغ
واسكجكت من أجمل قرى بخارى على الإطلاق والمسافة من بخارى إلى
شرغ أربعة فراسخ ومن شرغ إلى الطواويس ثلاثة فراسخ[2].

" زندنة " : فيها حصن كبير ومسجد جامع وأسواق كثيرة ، واشتهرت
بالأقمشة " الزنديجية " ويقال لها زنديجي وهي القماش القطني الذي
يجلب من هذه القرية ويحمل إلى جميع الولايات مثل العراق وفارس
وكرمان والهند ويتخذ منه العظماء والملوك ثياباً ويشترونه بثمن
الديباج[3].

" وردانة " : وهي قرية كبيرة ذات سور عظيم ، يوجد فيها قلعة وكانت
قديما مقر الملوك ، وهي أقدم من بخارى نفسها ، بناها الملك
شاهبور وتقع على حدود تركستان " وتقام فيها سوق كل أسبوع لبيع
حاصلاتها .

---

(١)- ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٣٥ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٠٣ .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٠ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣١-٣٢ .

" أفشنة " : وقد اشتهرت بقلعتها الكبيرة وسورها المحكم وتتبع لها عدة نواح وضياع ، وهذه القرية مخصصة لطلاب العلم وقد بنى فيها قتيبة بن مسلم جامعاً ، كما ويوجد فيها مسجد آخر من بناء محمد بن واسع له أهمية عند كثير من الناس الذين يزورونه.

" بركد " : وهي قرية قديمة وكبيرة ، لها حصن عظيم ، وقد سميت " بركد علويان " وذلك لأنّ الأمير اسماعيل اشتراها وأوقف عشر حصص منها على العلويين وحصتين لدروايش بخارى وحصتين خصصهما لورثته .

" رامتين " : ذات حصن كبير عظيم بناه أفراسياب ، وهي من أقدم قرى بخارى ، وكانت قديماً مقام الملوك وعندما أصبحت بخارى العاصمة ، ظل الملوك يشتون فيها ، وقد حافظت على مكانتها ومركزها في الإسلام وأقام فيها أبو مسلم[1]، وقد روي أنها كانت من قبل مكان إقامة أفراسياب من أبناء الملك نوح ، وكان قد قتل صهرة سيشاوس كذلك بني أفراسياب مقابلها قرية سميت " رامش " لطيبها ، ويوجد في " رامش " بيت للنار يقال إنه أقدم بيت نار ببخارى ، كما ويوجد قبر أفراسياب في مدخل مدينة بخارى بجانب السيد أبي حفص الكبير رحمه الله ،ولأهل بخارى في مقتل سيشاوس أغان عجيبة يسميها المطربون ثأر سيشاوس وفي رواية أخرى (كين سيشاوس)[2]" .

" ورخشة " : من جملة القرى الكبيرة ، وتعد مثل بخارى بل أقدم منها ، وكانت مقر الملوك وهي محاطة بسور محكم ، وبها قصر بناه بخار خداة وتخرب عدة مرات ، ثم عمره من جديد بنيات طفشاوة ويقال إن الأمير إسماعيل عرض على تلك القرية عشرين ألف درهم مع الخشب اللازم وذلك لتهديم ذلك القصر وبناء مسجد جامع مكانه .

---

(١) - النرشخي : تاريخ بخارى ص (٣١- ٣٢).
النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٤.
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٠٣.
ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤٢٥.
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٢-٣٣.

ولهذه القرية سوق عظيم يقام كل خمسة عشر يوماً وحين يكون السوق آخر العام يجعلونه عشرين يوماً ،وفي اليوم الحادى والعشرين يحتفلون بـ (النوروز) ويسمونه نوروز المجوس بعده بخمسة أيام[1].

" بيكند[2]"

من قرى بخارى الكبيرة ،إلاّ أن أهلها كانوا يعدونها مدينة ، وإذا سُئل أحدهم في بغداد من أين هو ؟ يجيب من بيكند ، ولايقول من بخارى وتقع بيكند على خمسة فراسخ من بخارى وقد اشتهرت قبل الإسلام بنشاطها التجاري الكبير وهي أقدم من بخارى ، وكانت تسمى مدينة " الصفد" أو مدينة التجار إذ كانت لها تجارات واسعة مع الصين وأخرى بحرية ، يتوقع أنها كانت مع البلاد الواقعة وراء بحر قزوين ولكل قرية من قرى بخارى رباط أي " منزل للجند " أو القوافل عند باب بيكند،وقد بلغ عددها ألف رباط ، وينزل بهذه الرباطات وحدات من العسكر لدفع غارات الترك[3].

وبيكند أدنى مدن بخارى إلى النهر ومنها إلى حائط بخارى فرسخان والمقصود الحائط المضروب حول مدينة بخارى وعماراتها.

فتحت بيكنير على يد قتيبة بن مسلم سنة سبع وثمانين ،وهي حصن حصين محاطة بالأسوار وفيها مسجد جامع كبير تميز بما وضع به من ذهب وأحجار كريمة حتى غدا أجمل مساجد ماوراء النهر ، وفيها بيت نار للمجوس قيل بناه أفريدون ، وقد ظلت بيكند مزدهرة حتى سقوط الدولة السامانية حيث كان عصرهم عصر استقرار وازدهار ،عند ذلك آل أمر رباطاتها إلى الخراب ، وقد تحدث المقدسي عن ذلك[4].

ويرجح النرشخي [5]. بداية تدهور رباط بيكند إلى عام ٢٤٠هـ = (٨٥٤- ٨٥٥م) ولكن هذا الخراب لم يكن ذا أثر كبير ،لاستقرار الأمن والانتعاش الذي تم في عصر السامانيين .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٤، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٠٤.

(٢)- الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ح٨ ص ٤٩٦، ٢١٣ . ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٣٥.
النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٤-٣٥.

(٣)- انظر :ياقوت المعجم ج٢ -(بيكند) .

(٤)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٨٢، ٢٩٤.
الإصطخري : المسالك والممالك ص ٣١٤ ،اليعقوبي : البلدان ص ٢٢٩.

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٤- ٣٥.
الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق مج١،ح٨ ص ٤٩٦و ٢١٣.
أنظر: ياقوت المعجم ج٢ (بيكند) .

وللسور الذي أحاط بمدينة بيكند باب واحد ،وفي المدينة سوقان يقع أحدهما في داخل القصبة والآخر في الضاحية .

وتقع بيكند على مرتفع من الأرض جعلها أكثر حصانة ،وإلى جانبها قناة (حراكام) التي تصب في بحيرة سامجن لكنها لاتصل إلى المدينة[1].

وليس هناك قرى مجاورة قريبة من المدينة ،لأنها كانت على حدود المفازة .

" فرب " من جملة المدن ،ولها نواح عديدة وبينها وبين شاطئ جيحون فرسخ واحد ويتناقص إلى نصف فرسخ أثناء فيضان النهر .

وفي المدينة مسجد جامع كبير بني من الآجر، وكان يلي قضاءها شداد ابن عاد الذي اشتهر بظلمه وعسفه .

هذه هي أبرز مدن بخارى وأقدمها[2]، فصلنا الحديث عنها قليلا . ثم ننتقل إلى البحث في باقي مدن ماوراء النهر .

٢)- سمرقند :

من أكبر مدن ماوراء النهر ، بل كانت تعتبر أولى تلك المدن من حيث السكان والموقع حتى في العهد الذي كانت فيه بخارى عاصمة للبلاد في زمن السامانيين . وترجع هذه المكانة إلى الموقع الجغرافي للمدينة على ملتقى الطرق الكبرى القادمة من الهند ،وإيران .

وثمة خلاف حول أول من بنى سمرقند ، فهي مدينة قديمة ،يُقال بنيت بمعرفة الإسكندر المقدوني ، ثم استولى عليها ملوك الطوائف المقدونية ببلخ ، ثم الأشكانيون ، وحاصرها سعيد بن عثمان والي خراسان سنة (٥٥ هـ) ثم فتحها قتيبة ابن مسلم سنة (٧٧ هـ - ٦٩٦ م) . وقد وصلت سمرقند إلى أعلى مدارج الإعمار والإزدهار في عهد السامانيين[3] .

وتقع سمرقند جنوب وادي الصغد ، وتعتبر سمرقند قصبة " الصغد " ولها شوارع ومبان ،وقصور ،وفنادق ، وحمامات وعليها سور ترابي متسع يحيط به

---

(١)- النرشخي: تاريخ بخارى : ص ٣٥

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٣٦ ، وياقوت : المعجم ج٣ ص ١٢٠ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٠٦،والإدريسي : نزهة المشتاق ص ٧٠٠، ٧٠٨ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ١٨-١٩ و ٦٥-٦٦.
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٦ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٤٥،وصالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ١٠٦-١٠٧

خندق وبناحيتها نهر عظيم يقال له نهر " ماصف "[١] يتجمع فيه ماء كثير من ذوبان الثلوج.

وقد تميزن سمرقند وما يحيط بها بالخصب ، مما حمل السكان على التجمع فيها ،مع أنها لم تكن مشهورة باتساعها الذي عرفت عليه قبل العصر الساماني . وتشتمل المدينة على حصن ولها أربعة أبواب[٢] :

١)- باب من جهة الشرق يقول له باب الصين ، وهو مرتفع على وجه الأرض ينزل عنه بدرج كبير متعدد مطل على وادي الصغد، وفي جهة الغرب يقع باب " النوبهار " وهو على نشز من الأرض ، كما يقع في الشمال بباب بخارى ،وإلى الجنوب باب " كش " عليه صحيفة من حديد يزعمون أنها كتبت بالحميرية ، أن تُبَّعاً بنى المدينة ، وأتم ذو القرنين بناءها[٣].

وتعد تربة سمرقند من أصح الترب وأيبسها بسبب كثرة الأبخرة من المياه الجارية في طرقاتهم ودورهم.

ولسمرقند مياه جارية تدخل إليها من نهر بني عليه مسناة عالية من الأرض ، وفي بعض المواضع توجد تلة في وسط السوق بناحية الصيارفة ، ويدخل هذا النهر المدينة من باب كش وهو نهر جاهلي قديم بموضع يعرف " برأس الطاق[٤]" من أعمر مناطق سمرقند .

وقد تعهد المجوس بحفظ غلات ذلك النهر مقابل رفع الجزية عنهم .

وفي سمرقند دار للإمارة ، ويقع المسجد الجامع أسفل القهندز ودار الإمارة بمكان يعرف " باسفزار " وهو لآل سامان وهو غير دار الإمارة في المدينة. وأقدم وصف للمدينة هو ماذكره ابن الفقيه الهمذاني ،وأشار فيه إلى أن سمرقند وضواحيها كان يحيط بها سور طوله اثنا عشر فرسخا وبه اثنا عشر باباً وجميع هذه الأبواب من الخشب[٥].

---

(١)- النرشخي: تاريخ بخارى ص١٨-١٩.

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض ص٤٠٦.
المقدسي : أحسن التقاسيم ص٣٤٢ - ٣٤٣.

(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص١٧٨- ١٧٩.
الحموي : (ياقوت) المعجم ج٣ ص٨٢٠ وج٤ ص٧٠٨ .
الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق مج١ ،ج٨ ص٧٠٠ ، ٧٠٨
الحميري : الروض المعطار ص٣٢٢- ٣٢٣

(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض ص٤٠٦- ٤٠٧،المقدسي : أحسن التقاسيم ص٣٢٢-٣٢٣ .

(٥)- ابن الفقيه: مختصر البلدان ص٣٢٢ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص٤٠٧ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٢٢ -٣٢٣ .

وذكر ابن حوقل : " أن سمرقند تشتمل على أزيد من ألفي مكان يستقي منه ماء الجمد مسبلة للأجر[١]" .

وفي الشمال من سمرقند جبل كبير يخرج من تحته عين خرارة قد صنع لها فرع يصب في البحيرة التي في آصل بنكث من سمرقند وعلى نحو ثلاثين فرسخاً، ويخرج من شرقي سمرقند فيصر إلى ماء الصغد وهو موضع درغش ،ومن مدينة سمرقند على أربعة فراسخ ،ويخرج خليج من هذا الوادي يسمى " العريش" يسقي الرساتيق .

وتعد سمرقند فرضة ماوراء النهر وكانت دار الإمارة بما وراء النهر إلى أيام اسماعيل بن أحمد الساماني .

ولم يكن لمدينة سمرقند حائط غير سور المدينة فلما وردها أبو مسلم صاحب الدعوة بنى حائطا يحيط بها وعرضه خمسون ذراعا[٢].

ولايوجد لسور الربض أبواب تغلق سواء من الخشب أو الحديد وذلك لكثرة ماتعرضت له سمرقند من الفتن والأحداث وقد أمر السلطان بقلعها جميعا وذلك بأمر من الحكومة السامانية .

وأشار الأصمعي إلى أنه كتب على باب سمرقند بالحميرية كلام يحدد المسافة بين هذه المدينة وبعض المدن الاخرى[٣].

وقد أشاد الجغرافيون بجمال سمرقند ،وكثرة بساتينها ، ووصفها الحصين ابن المنذر الرقاشي فقال : " كأنها السماء للخضرة ، وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرة للاعتراض ،وسورها الشمس للأطباق[٤].

أما سكان المدينة فليس بين أيدينا تقرير دقيق لعددهم ،وإن كنا نقدر أنه بلغ نحو نصف مليون في عهد السامانيين وهم قوم يتصفون بالمروءة وحسن الضيافة .

ومياه سمرقند من وادي الصغد الذي يتفرع منه فروع[٥]كثيرة تروي القرى المجاورة له .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض ٤٠٦- ٤٠٧

(٢)- الحميري : الروض المعطار ص ٣٢٣- ٣٢٤

(٣)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ص ٣٣٦ - ٣٣٧ وص ٣٢٢

(٤)- نزهة المشتاق :مج١ ج ٨ ص ٤٤٩و (٥٠١ - ٥٠٢) والإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧٧- ١٧٨ ، ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤٠٧- ٤٠٨.

(٥)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٠٧- ٤٠٨.

وتربط المدينة عدة طرق تصلها ببلخ ،وكش ،ونسف ،وبخارى ، وغيرها .
وفي سمرقند كثير من القصور[١]، فيها واحد للسامانيين ،وآخر لرافع ابن الليث ، كما أنها حوت داراً للإمارة عرفت بالقلعة ،وهي داخل المدينة كما أنها عرفت بكثرة المزارات والمشاهد التي كان قبر قثم[٢] بن العباس أشهرها .

ويلحق بالمدينة إثنا عشر رستاقا مرتبة ذات شوارع مرصوفة بالحجارة ، وأكثر أسواقها بالربض ،وكان لكل رستاق مميزات وخواص قد لاتكون في غيره ، وقد فصل الجغرافيون في تحديد ذلك ،ولانجد كبير فائدة في إعادته هنا[٣].

أما نقودها : فكانت الدراهم الاسماعيلية ،والمكسرة العراض ، الدنانير كما كان لهم دنانير تعرف بالمحمدية ، تضرب من جواهر شتى ، من حديد ونحاس وفضة ، وغير ذلك[٤].

ومن المدن المنسوبة إليها : الدبوسية ،واربنجن ،وكش ، ونسف ،وآباركث ،وويذار ، واشتيخن ،والكشانية ، وخرغانكث ،وفرنكث ،وكبوذ بخكث .

وتعتبر مدينة واشتيخن مفردة في العمل ، ولها رساتيق وقرى ، وهي كثيرة البساتين ، وبها قلعة وربض وأنهار جارية ، وقد أقطعها المعتصم إلى محمد بن طاهر بن عبدالله .

أما الكشانية فهي أكثر مدن السغد عمارة ولها رساتيق ،وهي قلب مدن السغد ،وأهلها أيسرهم جميعا . تليها مدينة كش ونسف وهي مقدار ثلث فرسخ في مثله .

وسأتحدث بالتفصيل عن كل من كش ونسف وذلك لأنهما تعتبران من أهم مدن سمرقند .

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٨٧ ،١٧٩.
(٢)- ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٢٢.
(٣)- انظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١٠- ٤١١ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ص ١٨-١٩ .
الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٨٠- ١٨١.
ابن الفقية : مختصر البلدان ص ٣٢٦ .
(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤١١ ،والإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٨١ .

١)- كـش " :

وتأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة بيكند وهي من أعظم مدن الصغد لكنها كانت في العصر الساماني بحالة تدهور ولعل مرد ذلك إلى ارتفاع شأن سمرقند وبخارى[1]. وتتكون المدينة عادة من شهرستان، وربض، وحصن، والمدينة الداخلة مع القهندز في حالة خراب، والخارجة عامرة ودار الإمارة خارج المدينة، والربض بمكان يعرف " بالمصلى " والحبس والمسجد الجامع في المدينة، وجميع أسواقها في ربضها وهي مدينة مقدارها نحو نصف فرسخ في مثله، بناؤها من طين وخشب وهي خصبة جدا تأتي بواكيرها إلى بخارى، وهي كثيرة الأوبئة .

كان للمدينة الداخلة أربعة أبواب هي : باب الحديد، وباب عبيدالله، وباب القصابين، وباب المدينة الداخلة وليس بين أيدينا من معطيات تمكننا من تحديد مواقعها .

وللمدينة نهران كبيران يجريان على باب المدينة : نهر القصارين ويخرج من جبل سيام ، ونهر أسرود ، ولعل اسم النهر وحده هو مايسوقنا إلى الافتراض بأن " باب القصارين " كان من الناحية الجنوبية للمدينة .

وفي عامة الكور مياه جارية، وبساتين حسنة ومن جبالها تأتي العقاقير الكثيرة ومنها " القرنجين " .

والمسافة من سمرقند إلى كش يومان وبينها وبين نسف ثلاث مراحل[3].

وفي عصر الدولة السامانية كانت القلعة في حالة خراب كامل، والموضع المأهول بالسكان من المدينة هو الربض وله بابان أحدهما باب المدينة الخارجي والآخر باب " بركنان " الذي أخذ اسمه من اسم المدينة المجاورة له.

وقد عدد ابن حوقل : رساتيق كش كلها، ويبدو أن ترتيبها ليس له علاقة بموقعها، ولهذه الرساتيق أنهار ترويها[4].

---

(١)- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٢٣ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١٢- ٤١٣ .

(٢)- اليعقوبي : البلدان : ص ٢٢٩- ٢٣٠ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١١- ٤١٢ .
الحميري : نفس المصدر السابق ص ٥٠١ .
معجم ما استعجم : ج٤ ص ١١٤٢ .

(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١٢، الحميري : الروض المعطار ص ٥٠٠
المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٨٢ .

٢)- " نسـف " :

هي مدينة مجاورة لكش وعلى مايبدو أن العرب قلبوا اسمها المحلي وهو " نخشب " ولم يكن لنسف شهرستان في القرن العاشر وذلك لإن الجغرافيين لم يحدثونا إلا عن الربض والقلعة التي كانت في حالة خراب على رواية ابن حوقل وللربض أربعة أبواب :

١- باب التجارية
٢- باب سمرقند
٣- باب كش
٤- باب غويدين

وهي مدينة على مدرج طريق بخارى إلى بلخ في مستو من الأرض ،والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش وبينها وبين جيحون مفازة لاجبل فيها(١).

ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة وهو مجمع مياه كش حيث يصير منها وتقع دار الإمارة على شط هذا النهر بمكان يعرف " رأس القنطرة" والحبس عند دار الإمارة ، أما مسجدها فهو قريب من باب " غويدين " والمصلى بناحية باب التجارية داخل الباب وتقع أسواقها في الربض مابين دار الإمارة والمسجد الجامع .
وليس لها قرى ولانواح ولها منبران أحدهما " بزدة " والآخر " كسبة" ولكل منها مسجد جامع .

بينما تبعد بزدة عن نسف مقدار ستة فراسخ ، وأربع مراحل عن بخارى على طريق كالف والطريق من بخارى إلى نسف نحو ثلاثين فرسخا، أي حوالي (التسعين ميلا). ومن نسف طرق كثيرة إلى مدينة كندك وهي على بعد ثلاث مراحل من كش ويروي المقدسي: أنها تبعد مرحلة واحدة وهذا غير معقول والأول أقرب إلى الصواب(٢).

والطريق من سمرقند إلى زامين ، ثم إلى فرغانة والشاش ،ومن سمرقند إلى آباركث اثنا عشر ميلاً أي (نصف مرحلة) ومنها إلى رباط سعد خمسة عشر ميلا أي (مرحلة) وإلى زامين (مرحلة) وزامين مدينة حاضرة فيها كل مايحتاج إليه من المتاجر والصناعات وفيها مفرق الطريقين :

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٤١٣
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مج١،ج٨ ص٥٠٠

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٨٢.

١)- طريق لمن أراد فرغانة .

٢)- طريق لمن أراد الشاش [١].

والطريق من سمرقند إلى بلخ تخرج من سمرقند إلى كش مسافة يومين ثم إلى كندك ثلاث مراحل ويتصل طريق بخاري وبلخ بسمرقند [٢].

أما عن مسافات نسف : فالطريق من نسف إلى كش ثلاث مراحل ومن كش إلى الصفانيان ست مراحل ،ومن كش إلى نوقد قريش خمسة فراسخ على طريق نسف ، ومن كش إلى سونج فرسخان على اليسار ،وآسكيفنن على فرسخ من سونج أقرب إلى إسكيفغن من نسف ، ومن نسف إلى كسبه أربع فراسخ على طريق بخارى أسفل من الطريق [٣].

٣)- خوارزم [٤].

اسم الإقليم منقطع عن خراسان ومما وراء النهر تحيط به المفاوز من كل جانب ،وحدود خوارزم متصلة بحد الغز من الشمال والغرب ، أما من الشرق والجنوب فخراسان ومما وراء النهر.

وتقع خوارزم في آخر نهر جيحون ،ومدينتها في الجانب الشمالي منه ،ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى " الجرجانية " وهي أكبر مدينة بخوارزم بعد قصبتها وهي متجر الغزية ومنها تخرج القوافل إلى جرجان ، كما كانت تخرج إلى الخزر وخراسان ، وأريافها وطولها نحو ميل في مثله كما ذكر ياقوت [٥].

ويصف لنا المقدسي عاصمة خوارزم بقوله : " يسمونها شهرستان وهي على الشط نحو نيسابور أي في قدرها وهي شرق النهر ، لها جامع في وسط الأسواق على أساطين حجارة سود وفوقها سواري من الخشب ،ودار الإمارة في وسط البلد ولهم قهندز، قد خربها النهر ،كما لهم أنهار في البلد، وهو نفيس ذو علماء وأدباء ومياسير وخيرات وتجارات [٦]" .

---

(١)- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مج١ ،ج٨ ص (٧٠٠ ، ٧٠٨).

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٨٩ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض (٣٥٨ ، ٤٢٦).
الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٤٥- ١٤٦.

(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٩٥١ - ٣٩٦ - ٣٩٧- ٣٩٨ .
الشريف الادريسي : نزهة المشتاق مج١ ،ج٨ ص ٣١٢ وص ٦٩٦ - ٦٩٧.

(٥) - الحموي : ياقوت : المعجم ج٢ ص ٣٩٥- ٣٩٦ - ٣٩٧.
الحميري : الروض المعطار ص ٢٢٤ - ٢٢٥

(٦)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٨٧- ٢٨٨ .

ويروي الإصطخري : أن الأهالي قد هجروا القلعة والمدينة القديمة بل إن أبواب المدينة القديمة كان قد ذهب الماء بها وكان يخشى على القلعة من أن تتهدم بأكملها وقد ابتنى الأهالي دورهم شرقي خرائب المدينة (١).

وإلى جوار القلعة كان المسجد الجامع وقصر خوارزمشاه والحبس ، ويشق وسط المدينة قناة تقوم السوق على جانبيها والمدينة ثلث فرسخ في الطول ومثله في العرض أو ثلاثة فراسخ على حد ماورد عند ابن حوقل الذي ذكر أنه لم يكن في أيامه أي أثر للقلعة أو المسجد الجامع والحبس المجاورين لها (٢).

وبخوارزم مدن كثيرة غير قصبتها منها : دَرْغان ،وهَزَاراسب ، وخيوه ، وخُشْمِيثن وأرْدَخُشمِيثن ،وسافَرْد ، ونوزوار ،وكردران ، خواش وكُرْدار ، ومن القرى قرية براتكين ،ومذمينية ،ومرداجقان والجُرْجَانيَّة وقد ترك لنا المقدسي والاصطخري ذكراً لمدن خوارزم وقراها والمسافات التي تتصل بين كل منها وقدما وصفاً مفصلاً للطرق المختلفة على جانبي النهر (٣).

كما ذكر الإصطخري أسماء كل القنوات : وأهمها قناة " وداك الكبيرة " التي كانت تخرج من النهر فوق " كاث " قليلا أما أسفل المدينة فكانت تخرج قناة " بوه " وهي أصغر من قناة وداك قريبا من قرية اندراستان على مرحلة من كركانج مجرى النهر وقد كان هذا النهر فيما مضى يصل إلى أسفل المدينة نفسها ، وثمة فرع آخر من النهر ينحرف شرقاً فيمر بقرية " براتكين "أو"فراتكين" التي توجد على مسافة خمس مراحل من كان إلى الشرق من النهر وهذه القرية كبيرة وتقع في المفازة قرب الجبل وكانت تحمل منها الحجارة إلى مواضع مختلفة.

وإلى الشرق من المجرى الرئيسي للنهر كانت تجري قناة " كردر " الكبيرة مخرجها من النهر على أربعة فراسخ أسفل كاث (٤).

ومن الواضح أن شيئاً من أصاب مدينة خوارزم وربما كان يرجع ذلك قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي مع أن الأصطخري أوضح أنه وجد فيها في بداية العصور الإسلامية حزام زراعي ربط خوارزم - بخراسان وماوراء النهر (٥).

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٣٠١.

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥١.

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم ص (٢٨٧- ٢٨٨) و(٣٤٣- ٣٤٤).
الإصطخري : المسالك والممالك ص ١٦٨-١٦٩ ، الإدريسي :نزهة المشتاق مج١ ج٨ ص ٦٩٨- ٦٩٩
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٢٥.

(٤)- المقدسي : المصدر نفسه ص ٣٤٣.

(٥)- الإصطخري : المسالك والممالك ص ٣٤١- ٣٤٢.

وسأتناول بالحديث مدينة الجرجانية فهي من أهم مدن خوارزم

الجرجانيـــــة "

هي مدينة كركانج (بلسان أهلها)[١] وقد دعاها العرب بالجرجانية ،وأطلق عليها الاتراك والمغول فيما بعد أسم أركنج ، وتقع على مسافة من السد الذي مــر ذكره ،وعلى مسافة فرسخ من المجرى الرئيسي للنهر ،وتعتبر أهم موضع على الضفـة الشرقية لجيحون وللمدينة أربعة أبواب ، وتصل مياه القنوات إلى أبوابها ولاتدخل المدينة وذلك لضيق مساحتها وهي أكبر مدينة بخوارزم بعد قصبتها كما تعتبــر متجراً للاتراك ، ومنها تخرج القوافل إلى جرجان والخزر وخراسان [٢].

وفي عصر السامانيين كانت كركانج أقل شأنا منكاث وليس بين أيدينــــا معطيات عن المدينتين سوى ماجاء به ياقوت[٣] الذي زار كركانج إذ يعتبرهـــا " أثرى وأعظم مدينة زارها في حياته " .

ويقع على المجرى الرئيسي لنهر جيحون رستاق عاصمة خوارزم ،وتقــــع المدينة نفسها على بعد اثنى عشر فرسخاً من قناة " كاوخوارة "[٤].

وفي غربي جيحون أنهار كثيرة : منها نهر هزاراب وهو يأخذ من جيحون مما يلي آقل وهو نصف (غاوخوارة) كما ورد عند ابن حوقل ، وتعمل فيــه السفن وعلى نحو فرسخين من هزاراسب نهر يعرف " بكردارن خواش " وتجري فيـه السفن إلى خيوة الخ... إذ لامجال لتعدادها جميعا وقد ذكرها ابن حوقل[٥].

ناحية خوارزم : خصبة جداً وكثيرة الأطعمة والحبوب والفواكه يرتفع منها القطن والصوف وكثير من الأمتعة التي تنقل إلى سائر الأنحاء.

---

(١)- ياقوت : معجم البلدان : ١٢٢/٢٠ .

(٢) - الإصطخري : المسالك والممالك : ص ٣٤٢ ،ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٩١ .

(٣) - الحموي :(ياقوت) المعجم ج٢ الإطالة على مادة خوارزم .

(٤) - الإصطخري : الماسلك والممالك ص١٦٨ زكان وخوارة تفسيره آكل البقر.

(٥) - ابن حوقل : صورة الأرض : ص٣٩٦ وردن عند ابن حوقل (غاوخوارة).

وخوارزم قليلة المعادن فلايوجد بها ذهب ولافضة وكل يسار أهلها والأموال الطائلة في حوزتهم مردها إلى التجارة واقتناء المواشي إذ يشتغل أغلبهم بالتجارة مع بلاد الترك والخزر[(١)].

ويقع إليهم من الترك ومن تلك البلاد التي يتعاملون معها المواشي والدواب والرقيق والأوبار مثل الفنك والسمور والثعالب والأرانب وغير ذلك من أصناف الوبر[(٢)]. ووصف أهل خوارزم بالطموح والمغامرة وهم أكثر أهالي المنطقة انتشاراً وسفراً وليس بخراسان مدينة كبيرة إلا وبها جمع منهم ولسانهم لسان فصاحة ،إذ لايوجد بكل خراسان مثلهم في النطق ، يلبسون القلانس الطويلة ويتصفون بالشجاعة والبطولة والبأس في الشدة ولاسيما أنهم ثغر الترك الغزية[(٣)].

وانتقل للحديث عن مدينة أسفيجاب :

إذ تعتبر أيضا من بلاد ماوراء النهر وفي عصر السامانيين كانت ولاية أسفيجاب هي الأرض المزروعة الواقعة في حوض نهر " آريس[(٤)]" .

ووصف الاصطخري الرحلة من الشاش إلى اسفيجاب أنها تتم في أربعة أيام[(٥)] ومدينة أسفيجاب نحو الثلث من بنكث من حيث رقعتها ، ولم يبق فيها إلا الشهرستان والربض ، وقلعتها في حالة خراب ،والسور الذي يحيط بالربض مقدار فرسخ وللشهرستان أربعة أبواب : هي باب نوجكث وباب فرخان وباب شكرانه وباب بخارى وبداخله كانت دار الإمارة والحبس والجامع والأسواق وقد ذكر المقدسي فيها سوق الأنسجة القطنية " سوق الكرابيس[(٦)]"

---

(١)- الإصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧٠ .

(٢)- الإصطخري : نفس المصدر ص (١٧١ - ١٧٢) .

(٣)- الإصطخري : نفس المصدر ص (١٧١ - ١٧٢) .

(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك ص (٣٤٥ - ٣٤٦) .
المقدسي : احسن التقاسيم : ص ٣٤٢ .

(٥)- الإصطخري : المسالك والممالك ص (٣٣٦ - ٣٣٧) وص ٣٣٣ .

(٦)- المقدسي : احسن التقاسيم : ص (٢٧٢ - ٢٧٣) .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٨٩- ٣٩٠ .

وكانت أسفيجاب ثغراً جليلاً ودار جهاد لذلك نالت أهمية كبرى من بنكث ، وكان بها ألف وسبعمائة رباط للمطوعة ، وهي كغيرها من الثغور قام بتشييد رباطاتها أهل المدن الكبرى من أجل مدنهم ، ومن هذه الأربطة رباط النخشبين ، ورباط النجارين والسمرقنديين وماتبق بناه أهل الخير من الأثرياء مثل رباط ، قراتكين ، الذي كان حاكماً لاسفيجاب في عهد نصر بن أحمد .

وكانت تدخل ضمن ولاية أسفيجاب جميع الأراضي الممتدة إلى صوب الشرق إلى وادي تلاس بما فيه ذلك الوادي نفسه والممتدة صوب الشمال الغربي إلى سوران (حيران[1]) .

وبهذا نكون قد بينا أبرز ما يتعلق بإقليم ماوراء النهر من مدن وقرى وثروات وخصائص ، وهذا يقودنا إلى تتمة البحث حول مدن السامانيين وإقليم سجستان خاصة .

سجستان[2] :

أحد أقاليم ماوراء النهر المهمة والتي قامت فيها الدولة السامانية وإن كان بعضهم يعدها إقليما منفصلا ، ويحيط بسجستان ممايلي المشرق مفازة بين كرمان وأرض السند وشيء من عمل الملتان ،ومن الغرب خراسان وجزء من الهند ومن شماليها الهند ، ومن الجنوب مفازة تقع بين سجستان وكرمان .

وسجتان كورة متصلة العمارة ، منقطعة المساكن ، قليلة المدن كثيرة القصور وقصبتها زرنج وهي بلد جليل له من الكور مثل مابخراسان وأكثر غير أنها منقطة ومتصلة ببلاد السند والهند ومن مدنها : زرنج ،الطاق ، والقرنين ، وخواش وفره وجزة وبست وروذان ، وسروان والزالقان ، وبغنين ودرغش ودرتل وبشلنك ومنجواي ،وكهك وغزنة والقصر وسيوي واسفنجاي وماهكان ومدينتها العظمى زرنج .

---

(١)- الحموي (ياقوت) : المعجم ج٤ ص ٦٧١ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٩٧- ٢٩٨ ومايليها .
الحميري : الروض المعطار ص (٣٠٤- ٣٠٥) سجستان .
ابن رستة : الأعلاق النفيسة نقلا عن أبي زيد البلخي ص ٣٦٠

زرنـــج(١):

وهي مدينة عليها حصن ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان فيه دار الإمارة لآل الصفار وإلى غير ذلك من المحال والفنادق وعليه سور وحصن دائر بالربض وخندق حصين على الربض وفيه ماء ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية إليها ولها خمسة أبواب :
أحدها الباب الجديد ، والآخر الباب العتيق ،وكلاهما يخرج منها إلى فارس والمسافة بينهما قريبة وباب كركوية يخرج منه إلى خراسان ،والرابع باب بنشك يخرج منه إلى بست ،والباب الخامس يعرف بباب الطعام يخرج منه إلى الرساتيق ويعتبر باب الطعام أعمر أبوابها وجميعها من الحديد .

وللربض ثلاثة عشر بابا منها باب مثيا الذي يفضي إلى فارس ،ويليه باب وخان ثم يليه باب شيرك الخ ... وقد اتى ابن حوقل على ذكر الأبواب كلها.

وأبنية المدينة جميعها من الطين ويقع المسجد الجامع في المدينة منها دون الربض إذا دخلت باب فارس منها ، وتقع دار الإمارة بين باب الطعام وباب فارس خارج المدينة ،والحبس في المدينة عند الجامع وفيها دار إمارة قديمة على ظهر الجامع نقلت إلى خارج الربض .

وبين باب الطعام وباب فارس قصران ليعقوب بن الليث ولعمرو بن الليث ودار للإمارة في دار يعقوب بن الليث .
وفي داخل المدينة بين باب كركوية وباب بنشك أبنية عظيمة تسمى " أرك " كانت خزانة لعمرو بن الليث ،وفيها أسواق عامرة حول المسجد الجامع ، وكذلك أسواق الربض ، ومنها سوق يسمى سوق " عمرو " بناه ووقفه على المسجد الجامع والبيمارستان وفي المدينة الداخلة أنهار كثيرة منها :
نهر يدخل من الباب العتيق ،والثاني من الباب الجديد ، والثالث من باب الطعام ومقدار هذه الأنهار إذا اجتمعت مايدير الرحى .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٩٧ .
الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص (٣٠٤- ٣٠٥) " سجستان " .
ابن خرداذبة : نفس المصدر السابق ص ٣٠٥ .

وعند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجاري ، ويخرج ويتفرق في بيوت البلد ، ودورهم بالقني ومعظم دور المدينة والربض ذوات أنهار جارية وبساتين ،وفي ربضها أنهار تأخذ من هذه الأنهار التي تدخل المدينة .

والسوق ممتدة من " باب فارس " من المدينة إلى " باب مشيا " وسجستان بشكل عام ذات أرض سبخة ورمال ، وهي بلاد حارة يكثر فيها النخيل وتنزل فيها الثلوج ، وهي أرض سهلة لايرى منها جبل ،وأقرب جبالها بناحية " فرة " وهي كثيرة الرياح لذلك تنضب عليها أريحة لطحن القمح .

أرضها خصبة كثيرة التمور والأعناب والغلال ويحكى أن المدينة القديمة أيام العجم فيما بين كرمان وسجستان بالقرب من " دارك " بحذاء " راشك " وهي على يسار الذاهب من سجستان إلى كرمان وعلى ثلاث مراحل .

وأبنيتها وبعض بيوتها لازالت قائمة واسم هذه المدينة " رام شهرستان" ويقال إن نهر سجستان كان يجري عليها قديما ،ثم انقطع " بَبِشق " بعد أن انخفض الماء عنه فتعطلت هذه المدينة وتحول الناس عنها وبنوا زرنج التي هي قصبة سجستان الحالية .(١)

وأعظم أنهارها " هيل مَنْد " الذي يخرج من ظهر الغور ، وتمر على حد الرجح وبلدي الدوار ،ثم يجري على بست حتى ينتهي إلى سجستان حتى يقع في بحيرة " زره " إذ يرتفع الماء فيها وينقص بقدر زيادة المياه ونقصانها وطولها نحو ثلاثين فرسخا من ناحية كوين على طريق قوهستان إلى قنطرة كرمان على طريق فارس وعرضها مقدار مرحلة وهي عذبة الماء وحولها قرى سوى الوجه الذي يلي المفازة .

ونهر هيل مَنْد هو نهر واحد من بست إلى أن ينتهي الى مرحلة من سجستان، وينشق منه عدة أنهار تسقي الرساتيق حتى تنتهي إلى حد نيشك ، ونهر يأخذ منه يعرف " بسناورذ " يجري على فرسخ من سجستان وهو النهر الذي تجري فيه السفن من بست إلى سجستان .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض ،ص (٣٥١- ٣٥٢)
المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣١٢- ٣١٣
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٩٧

وأنهار مدينة سجستان ملها من " سناورذ " ثم ينحدر فيأخذ منه نهر شعبة ليسقي حوالي ثلاثين قرية ،ويأخذ منه نهر ميلي ويسقي تلك النواحي ثم تقع فضلته في بحيرة " زرة " يأتي بعده نهر " بشلنك " الذي يخرج من قرب الفور وقلما يفضل منه للبحيرة المذكورة (١).

وبالش (٢):

اسم الناحية ،ومدينتها سيوي ، والوالي فيهم بالقصر ، واسفنجاي أكبر من القصر ، ورخج اسم الإقليم ومدينها " بنجواي " ولها من المدن كهك ، ورخج إقليم بين بلدي داور وبالش وعامتها صواف وتقدم المدينة مالاً عظيماً لبيت المال ،وغلاتها كثيرة وهي في غاية الخصب والسعة.

وبلد الداور إقليم خصب وهو يعتبر ثغر الثغور ، وكل من بغنين ، وخلنج وبشلنك ،وكابل كلها نواح لها مدن بأسمائها وتقع على مجرى هيل مند على الشط . وفي بعض هذه النواحي من قد أسلم أما الخلج فهم صنف من الأتراك، وهم أصحاب نعم يتخلقون بخلق الأتراك ويتزيون بزيهم (٣).

بست (٤):

مدينة ليست في أعمال سجستان وتأتي بعد زرنج أكبر منها ، وهي قصبة جليلة ،أهلها أهل دين ويسار ومروءة ، ويتصفون باللباقة والدراية ، وزيهم هو زي أهل العراق وبها متاجر إلى الهند كما يوجد فيها نخيل وأعناب وفاكهة وهي خصبة جداً ولكنها كثيرة الأوبئة ،ومتطرفة صغيرة الرقعة ،لها مدينة عامرة فيها جامع وربض وأسواق ، وشربهم من نهر " هيرميد " ونهر آخر اسمه " خردروي " ويجتمع النهران على فرسخ وعلى هيرميد جسر من سفن بقرب مجمع النهرين وينسب أبو زيد البلخي هذه الكورة إلى سجستان (٥).

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٥٢ - ٣٥٣.
المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣١٢- ٣١٣.
ابن خرذذابة : المسالك والممالك ص ٢٩٧- ٢٩٨.
(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥٤- ٣٥٥.
(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض ص (٣٥٢- ٣٥٣).
(٤)- ابن خرذذابة : المسالك والممالك ص ٣٠٤.
(٥)- ابن رسته : الأعلاق النفسية ص ٣٠٥ على لسان أبي زيد البلخي.

غزنيـــن

قصبة جليلة ليست بالكبيرة إلا أنها رحبة كثيرة الخير والنعيم رخيصة الأسعار لها مدن جليلة وهي أحد فرض خراسان وخزائن السند .

بردها شديد وثلوجها كثيرة ، وهواءها نقي ولكن ماءها غير مري ، وهي جانبان : القلعة التي تقع في وسط المدينة ينزلها السلطان ، والجامع مع تجاه القبلة مع بعض الأسواق التي توجد في المدينة ، وبقية الأسواق والبيوت تقع في الربض .

وللمدينة أربعة أبواب : باب الباميان ، وباب سنان ،وباب كردن ، وباب " السير" وفيها نهر بلابساتين وأهلها أصحاب ثروة .

ثم تأتي كابل وربضها عامر وبها يجتمع التجار ، ويوجد لها قهندز حصين وعجيب ولها شأن كبير بين سائر المدن ، وهي أكثرهن نحو السند ولهاشآن عند الهنود . وقد اعتبر أبو زيد البلخي غزنين من سجستان(١).

" القرنيـن ":

مدينة لها قرى ورساتيق ، وهي على مرحلة من سجستان على يسار الذاهب إلى بست وعلى فرسخين من " شروزن" ومنها آل الصفار الذين تغلبوا على فارس وكرمان وسجستان(٢).

" الطـاق "

مدينة صغيرة على مرحلة من زرنج ، وهي على ظهر العائد من سجستان إلى خراسان لها رستاق ،وبها كروم وأعناب ، ويتسع بها أهل سجستان .

تليها مدينة خوارش من قرنين وعلى مرحلة عن يسار الذاهب إلى بست ، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ ،وهي أكبر من قرنين ،وبها نخيل وأشجار .

تأتي بعدها فره ،وهي مدينة أكبر من المدن المذكورة ، لها رستاق يشتمل على نحو ستين وبها نخيل وفواكه وزروع ، وعليها نهر فره ، وأبنيتها من الطين ، وتقع في أرض سهلة.

---

(١)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٠٣ .
ابن خرداذبة : المسالك ص ٣٠٤ .
(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

وتأتي بعدها جزة المتصلة بعمل فره على يمين الذاهب من سجستان إلى خراسان ، على نحو مرحلة ،وهي ناحية مائية مغيرة نحو القرنين ، ولها قرى ورساتيق ماؤها من القني وهي خصبة أبنيتها من الطين .

وسروان مدينة مغيرة نحو القرنين إلا أنها أعمر وأكثر سكانا، وبها فواكه ونخيل وأعناب وكروم ، وتنقل إلى سائر الأنحاء ،وهي من بست على مرحلتين ولها ناحيتان لمنزلين يسمى أحدهما " فيروزقند " والآخر سروان على طريق بلدي الداور . والزالقان التي تقع على مرحلة من بست وبها فواكه ونخيل وزروع - بناؤها من الطين ،وهي تقارب القرنين في الكبر ، ومياهها أنهار جارية.

تليها وروذان ، وهي أصغر من القرنين ،وبقرب فيروزقند على يمين الذاهب إلى الرخج ، وأكثر غلاتها من المنج، وفيها زروع وفواكه ومياهها جارية.[1]

وسائر المسافات بسجستان مجمله[2] وقد تحدث عنها ابن حوقل في كتابه صورة الأرض وإن كلا من بست وغزنين كانتا قصبتين تابعتين للدولة السامانية[3] إضافة إلى المناطق المجاورة ، والتي لابد من الصاق بعضها إلى بعض بالمجاورة .

وقد كانت نواحي متباينة الأعمال ،ولكل منها قاضي وصاحب خبر وبريد ، وصاحب معونة يعرف ب " البندار " أي من يطالب بالخراج ويجيبى الأموال ، وكان أكثرها لصاحب خراسان قديما وهو ،محمد بن إياس .

وفي زمن الدولة السامانية استولى التبكين الحاجب على كابل وجزء من الهند وغزنة وجميع ماجاورها من الأعمال ، ومنها ماهو مجموع على جهته ومحمول بذاته ...وعلى الأرجح ويبدو أن إضافة بست ورخج ، وكابل إلى سجستان كان لاتصالها بها .

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٥٤ .
(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٣٥٦- ٣٥٧ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥٦.

وقد كانت سجستان والرخج دون بست في جميع أعمالهاوقوانين آدائها وهي مئة ألف دينار ، ومن الورق مائة ألف درهم ، وإن كلا من غزنة وكابل ومايصاقب هذه الأعمال كانت جبايتها أيام الدولة السامانية ألف ديناره ومن الورق ستمائة ألف درهم(١).

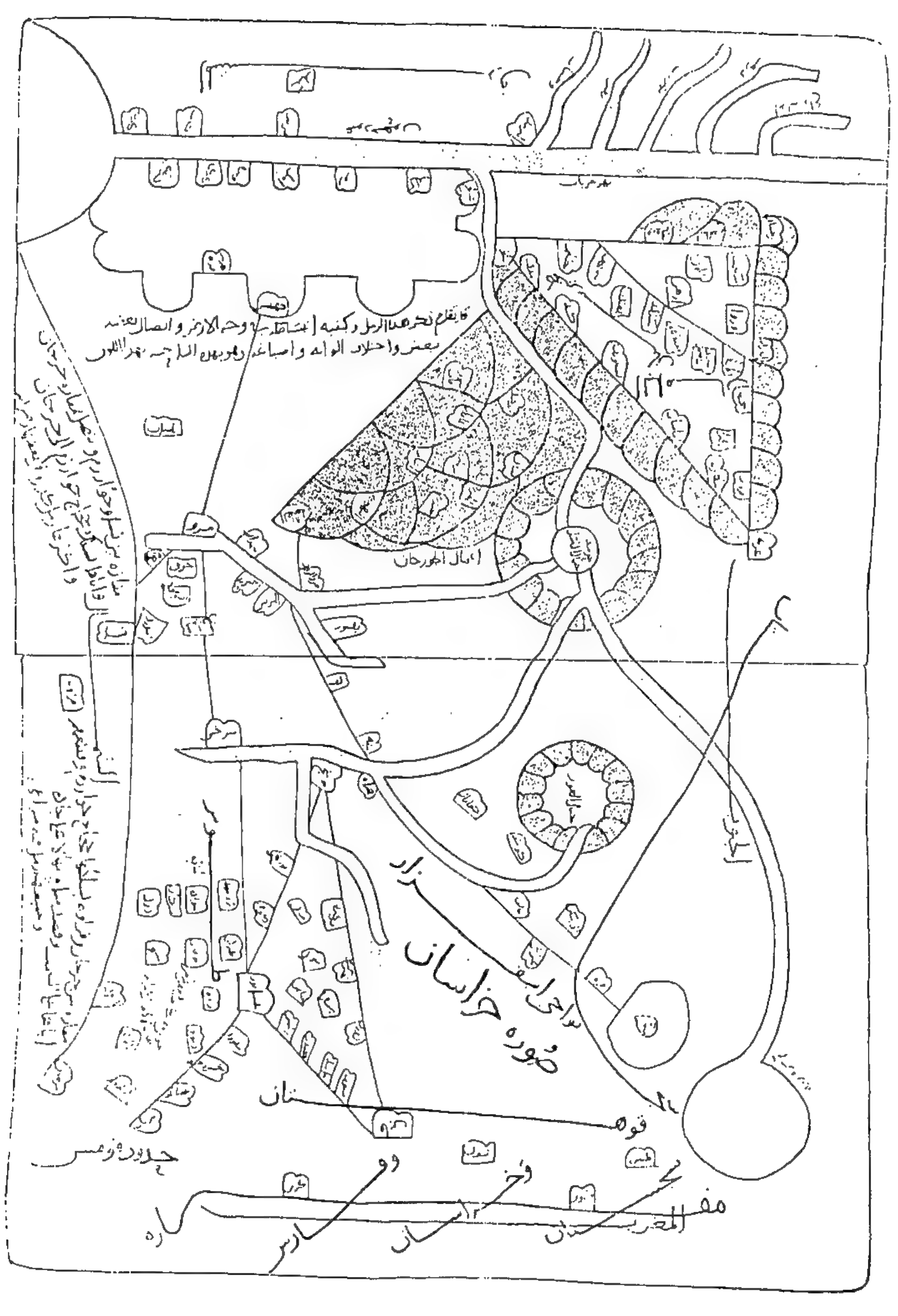
وأول من ملك هذا الإقليم كله اسماعيل بن أحمد الساماني سنة ٣٨٧م،ثم رحل إلى بخارى وأضاف إليه المعتضد آنذاك كرمان وجرجان ، كما أضاف إليه الخليفة المكتفي سنة ٩٠ هـ الري والجبال إلى عقبة حلوان(٢).

وهكذا نكون قد أتينا على تحديد الموقع الذي قامت عليه الدولة السامانية وبينا حدوده وأشرنا إلى أبرز مدنه وقراه ، ومايتعلق بهذا الموقع من ظواهر جغرافية وعمرانية وسكانية ، وماقيل في طبيعته التي غلب عليها الخصب وكثرة الأنهار والمياه ،ومارآه القدماء من طباع أهل هذا الإقليم وصفاتهم وخصائصهم وهذا كله يقدم صورة واضحة تعيننا على دراسة العصر الساماني واستجلاء أحواله وأخباره ، وهو مايكون في الفصول القادمة .

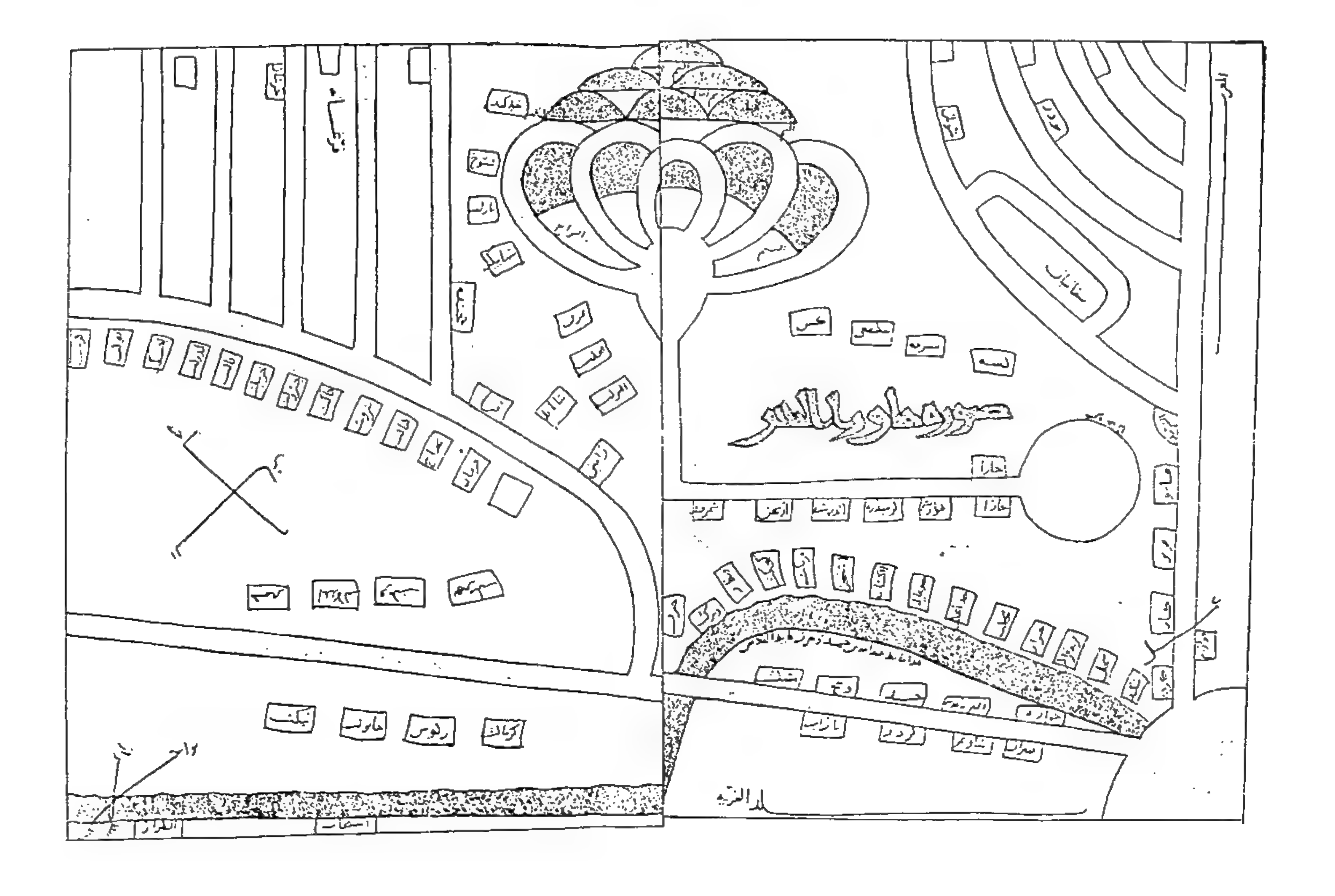
---

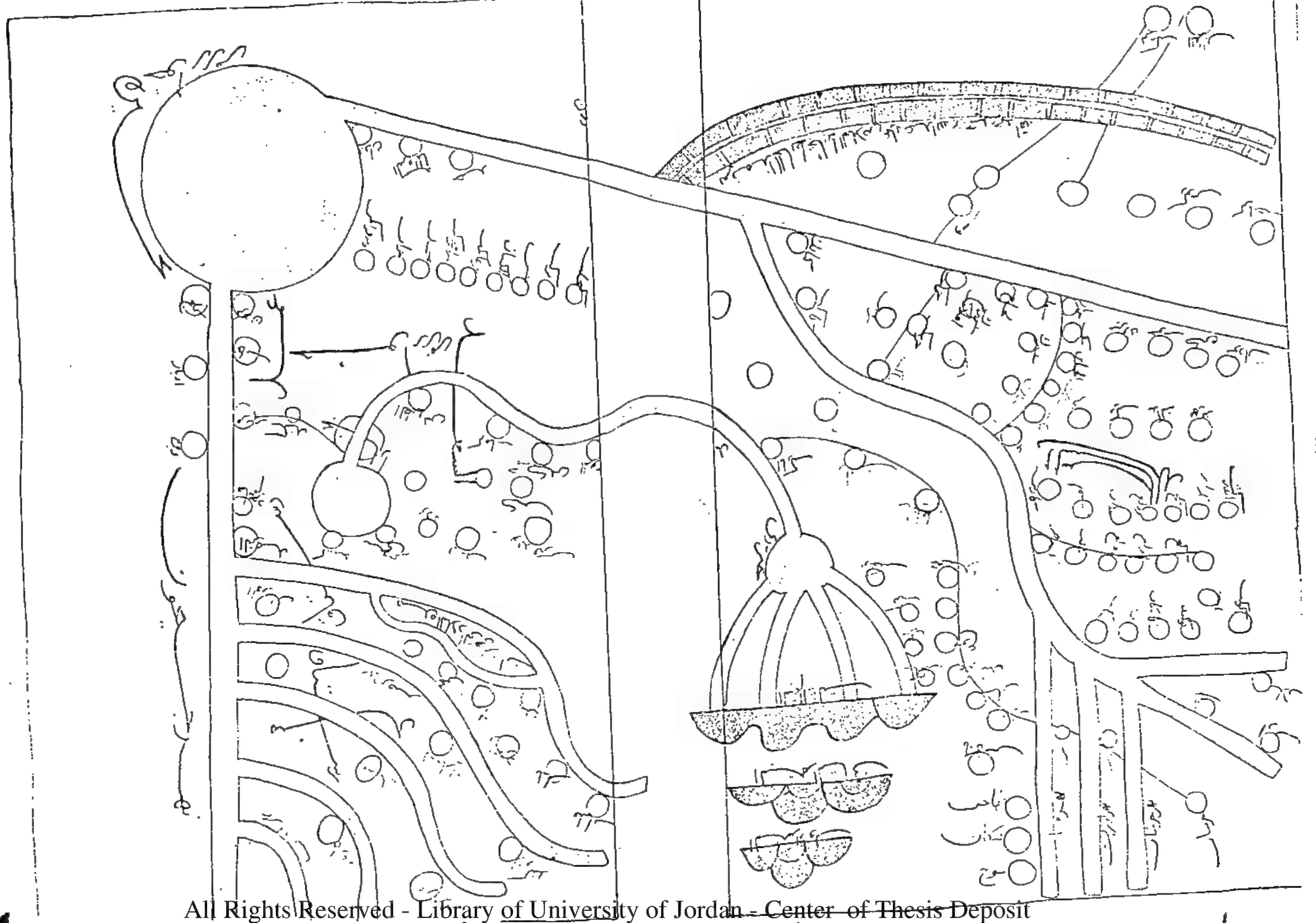
(١)- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥٧ .

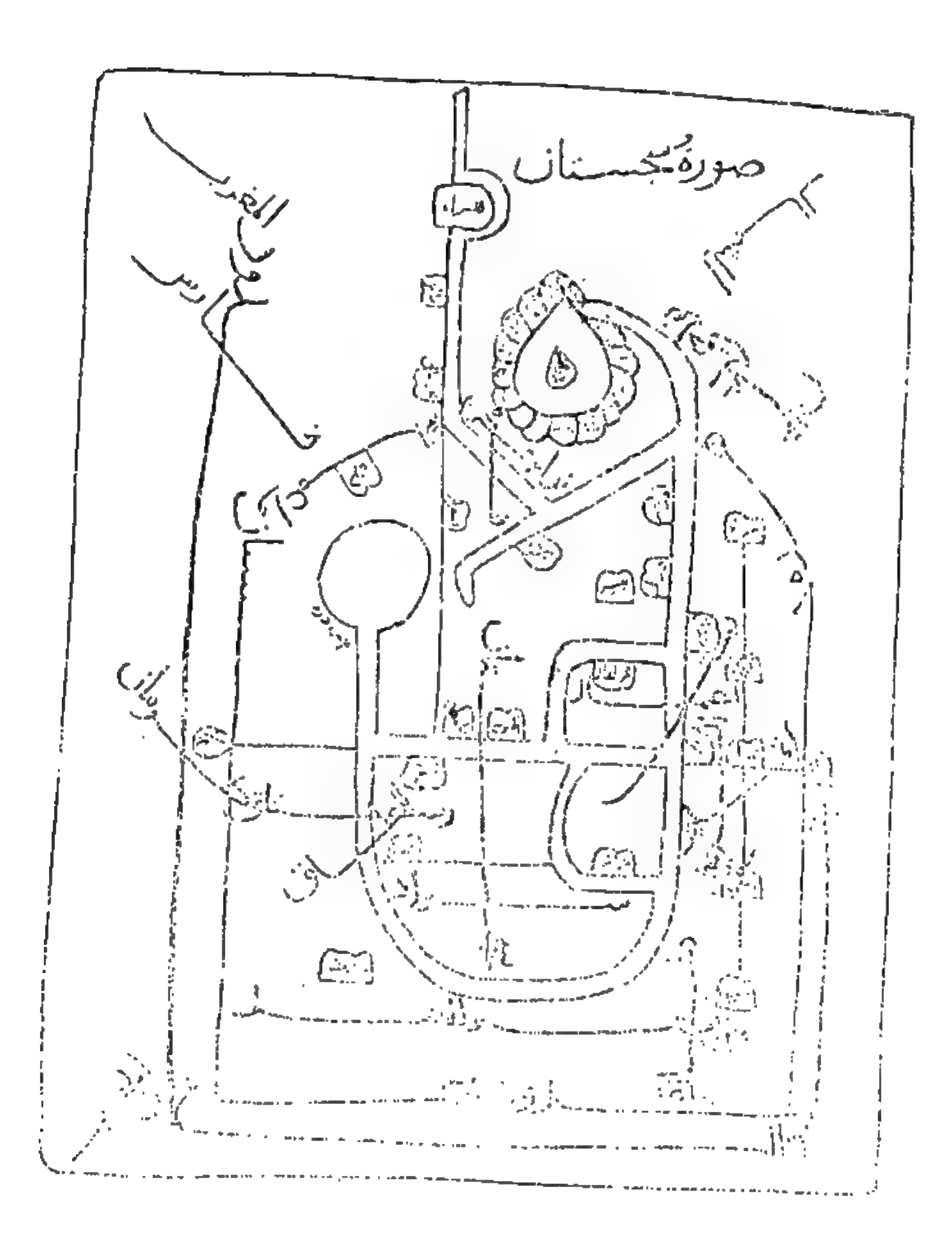
(٢)- ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٣٦٠- ٣٦١
ابن حوقل : نفس المصدر السابق ص (٣٣٨ - ٣٨٧- ٣٩٠).
النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٣٧

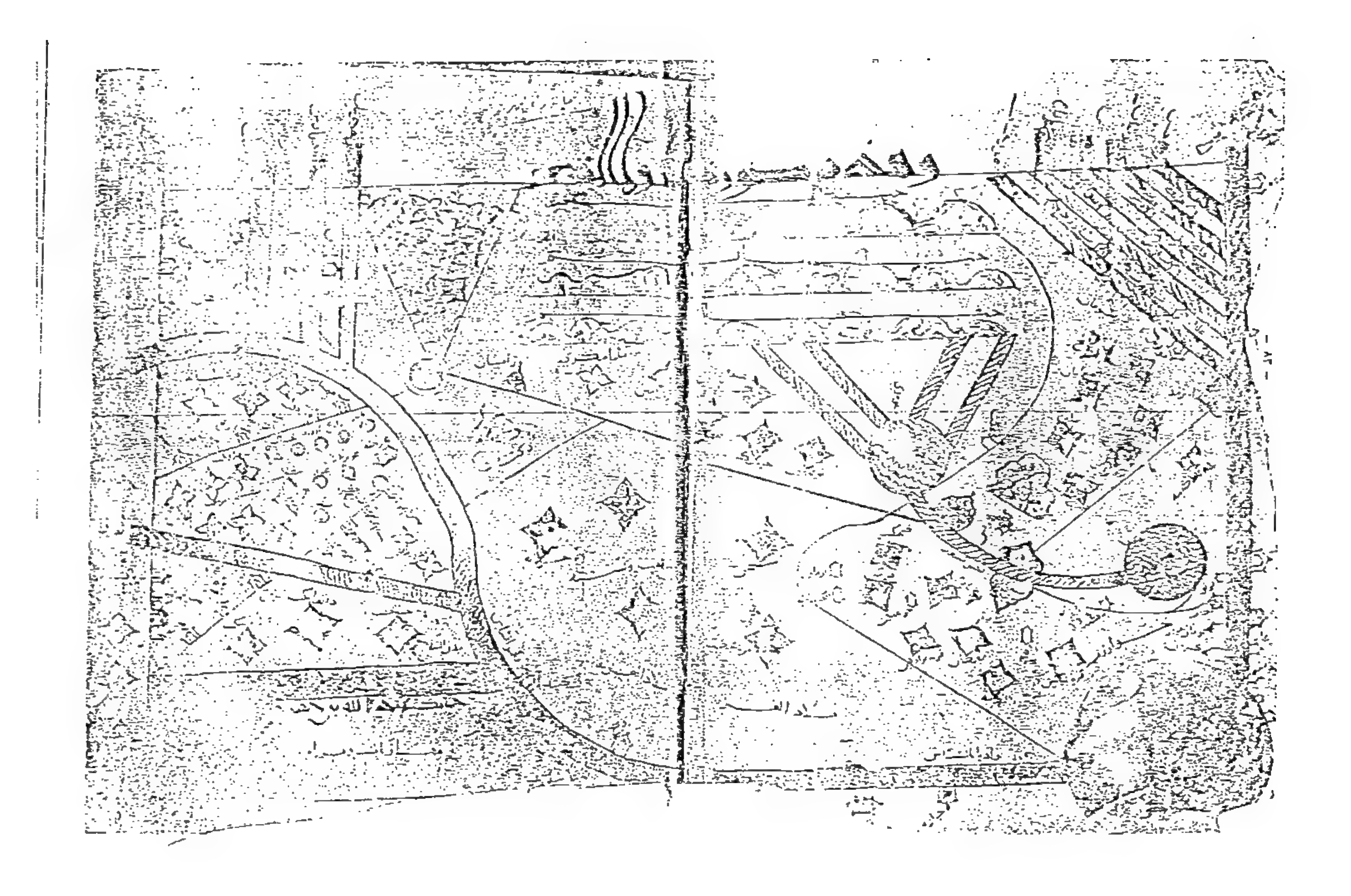


صورة خراسان




نهر جيحون


صورة سجستان



" الفصل الثانـــــي "

" مراحــل الفتح الاسلامي لبلاد خراسان وسجســـتان
وماوراء النهـــــــــر
والأوضـــــاع الاجتماعيـــــة فيهـــــا "

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

سلفت الإشارة في الفصل المتقدم إلى الموقع الجغرافي الذي انتشرت عليه الدولة السامانية ، ويحسن بنا قبل الشروع في الحديث عن مراحل الفتح الإسلامي لتلك المنطقة أن نشير إلى الوضع السياسي الذي كان سائداً قبل الفتح مباشرة ، ثم نتحدث عن الفتح الإسلامي لتلك البلاد .

فقد آل أمر تلك البلاد إلى سيطرة فئة من ملاك الأراضي ،ثم صاروا حكاماً لها وكانوا يعرفون (بالدهاقنة) ،أو (الدهاقين)[1]، وكانت تلك المنطقة - كما يشير النرشخي - أرضاً بكراً ، سكنها التركستانيون الشرقيون ،واختاروا من بينهم أميرا ولوه عليهم يدعى (أبرزي) أقام في بيكند ،مما حمل الأغنياء وهم من الدهاقين وملاك الأراضي على الفرار منه وترك البلاد متجهين نحو الأقسام الشمالية المجاورة[2].

ولما تمادى (أبرزي) في طغيانه استنجدت الطبقات الفقيرة بصاحب البلاد المجاورة من الأتراك وهو (قراجور) الذي سيّر جيشاً لنجدتهم بقيادة ابنه (شيركور) ، فقضى على حكم (آبرزي) وأخذه أسيراً . ثم استدعى الناس الذين فروا من ظلم الأمير ،وأغلبهم من الدهاقين والأغنياء ،كما سلف ،فجعل منهم طبقة النبلاء عرفت باسم (خدات) وجعل من بينهم دهقان لمدينة بخارى وهو ابن دهقان سالف ، يسمى (بخارخداه) ثم أُطلق هذا اللقب على ملوك بخارى .

وقد أُصبحت هذه الفئة الحاكمة هي المسيطرة في البلاد ، ولم يكن هناك من قوة تقف في وجه هذه السيطرة ، بل إن هذه الفئة لم تجعل فوارق بينها وبين جماعة ارستقراطية أخرى ، وهي جماعة رجال المال وملاك الأراضي ،فاتحدت الفئتان في حلف مع رجال الدين فيما يبدو ، يدل على ذلك ماذكره الطبري عرضاً إذ قال : فجمع ملوكه وأخباره ودهاقينه[3]، وقد ورد ذكر الأخبار إلى جانب الدهاقين أكثر من مرة . ويبدو أن رجال الدين عمرئذٍ كانت لهم مكانة

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :ج٦/ص ٤٦٩ - ٤٧٠.
والبلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٨٥ . النرشخي :تاريخ بخارى ص ٩٠.

(٢)- النرشخي: تاريخ بخارى : ٢٠-٢١- ٢٣ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ٥٨- ٥٩.

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٦٩/٦- ٧٤٠، وص ٤٠٠ ز احداث سنة ٥٨ هـ
البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨٥- ٣٨٦.

بارزة في نفوس الناس وسلطة ونفوذ ، وقد حازوا على ثقة الناس ،كما يشير النرشخي [١].

وكان حاكم بخارى في الوقت الذي بدأ فيه ظهور الإسلام (بيدون) الذي قام بتجديد القلعة التي أقامها (آفراسياب) أو (سيشاوس) على رواية أخرى فخلد ذكره [٢].

ويشير النرشخي إلى تولي (خاتون) الملك بعد موت زوجها (بيدون بخار خداة) ذلك أنه كان له ولد حدث هو (طغشادة) عند موته ، فتولت خاتون الملك عنه ، ودامت مدة ملكها خمسة عشر عاماً . وفي عهدها بدأت طلائع جيش الفتح الإسلامي تصل إلى بخارى وماجاورها ، وشرعت خاتون تحاول الحفاظ على ملكها عن طريق عقد الصلح أو المعاهدات مع الفاتحين الجدد [٣].

وقد كانت المنطقة بشكل عام تعاني من التمزق السياسي ، إذ انقسمت إلى دويلات صغيرة وإمارات متفرقة ، مما جعل الناس يعيشون في قلق واضطراب ، وهذا مما سهل الطريق أمام الفاتحين المسلمين [٤].

وتجدر الإشارة إلى أن أخبار الفتوحات الإسلامية لمنطقة ماوراء النهر يكتنفها شيء من الغموض ، ولاسيما تلك التي تمت في أوائل العصر الأموي ، ويعود ذلك إلى اقتضاب تلك الأخبار ، والمبالغة فيها أحياناً ، والاختلاف في تواريخها أحيانا أخرى . من ذلك مثلا العمليات العسكرية التي قادها قتيبة بن مسلم الباهلي [٥]، وصلت إلى (كاشغر) في القسم الغربي من الصين ، والتي كانت تستوجب طرقا عسكرية جديدة ،وتجهيزات مختلفة ،نظراً لطبيعة المنطقة الجبلية الوعرة والقاسية ، ومع ذلك فإن الأخبار لم تفصل في مثل هذا كثيرا.

---

(١) _ النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٩ ،٤٠ .

(٢) _ المصدر السابق : ص ٤١ .

(٣) _ المصدر السابق : ص ٢٣ .

(٤) _ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٠٢/٦- ٤٠٣ و ٤٢٤- ٤٢٥ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص ٥٩- ٦٠ .

(٥)_ البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٣٢- ٣٣٣ النرشخي : تاريخ بخارى ص ٦٩-٧٠ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ٥٨- ٥٩.

وتجدر الإشارة إلى أن فتح خراسان وماوراء النهر قد تعاقب عليه عدد من القواد الذين توالوا على قيادة جيش الفتح الإسلامي ، وكان عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان رائدهم في ذلك ثم تلاه سعيد بن عثمان بن عفان ، فسلم بن زياد بن أبية إلى أن قاد الجيوش وفتح المناطق قتيبة بن مسلم الباهلي. كذلك فإن المعارك الأولى للفتوحات كانت تتصف بأنها على شكل غارات سريعة يقوم بها المسلمون ثم يعودون إلى خراسان ، ولاسيما في فصل الشتاء ، لصعوبة القيام بأي حملة كبيرة فيه لقساوة المناخ وشدة البرد ووعورة الطريق(١).

وكان للانتصارات التي قام بها عبيدالله بن زياد(٢) بن أبي سفيان في إيران الشرقية أثر كبير في نفوس المسلمين ، مما شجعهم على التقدم والاستمرار في الفتوحات في شرق الخلافة الإسلامية ،فقاموا بغزو الصغد .

* - أبرز مراحل الفتح الإسلامي :

توجهت جيوش الفتح الإسلامي إلى بخارى منطلقة من خراسان ، وقاد الحملة آنذاك عبيدالله بن زياد ، سنة (٥٣ هـ) وأوئل (٥٤ هـ) ،وكانت خاتون هي القائمة بأمور المملكة ، واستطاع عبيدالله فتح (بيكند) و (رامتين) ، وأخذا كثيراً من الرقيق .

ولما وصل إلى بخارى كانت خاتون قد استنجدت بجيرانها الأتراك طالبة العون منهم واحتالت على عبيدالله بأن طلبت مه مهلة سبعة أيام كي تفع نفسها تحت تصرفه ،وأرسلت له شيئا من الهدايا ، فقبل منها ذلك . وفي هذه المدة وصلت إمدادات الترك ونشبت معارك ضارية انجلت عن هزيمة خاتون والترك معها وانتصار المسلمين الذين تعقبوا الأتراك وغنموا غنائم كثيرة . فطلبت خاتون من جديد الصلح ،فوافق عبيدالله على أن تدفع مليون درهم ،مع أربعة آلاف من الرقيق ، وعاد دون أن يفتح بخارى .

---

(١)- البلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٩٤- ٣٩٥
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٠١/٦و ٤٥٥و ٤٧٣و ٤٩٢.

(٢)- ابن الأعثم الكوفي : الفتوح : ١٣٣١- ١٣٣٢، ١٣٣٤ .
النرشخي : تاريخ بخارى : الترجمة ص ٤٣٥،، النرشخي : ص ٦٢
والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٣٢

(٣)- النرشخي: تاريخ بخارى : ص ٦٢-٦٣،وابن الاعثم : الفتوح ص ١٣٣١- ١٣٤٠، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٠٩/٦،و ٢٩٠- ٢٩٦،والبلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠١ ،والمقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣٢٣ وصالح مهدي عماش قتيبة بن مسلم: ص ٦٤-٦٥ .

وفي سنة ست وخمسين للهجرة (٦٧٥م) عزل عبيدالله بن زياد عن إمارة خراسان ، وصار الأمر إلى سعيد بن عثمان الذي عين أميراً جديداً لذلك الإقليم[١].

وبدأ سعيد بن عثمان يعد لفتح بخارى ،ولم تستطع خاتون خداعه ، ورد ما أرسلته له من هدايا ، وألغى الصلح الذي عقدته مع سلفه عبيدالله بن زياد ، وتجمع عسكر سعيد ، فألقوا الرعب في قلب خاتون وعسكرها ، فكررت رجاءها لسعيد أن يقبل بالصلح ، وزادت من المال الذي أرسلته والتنازلات ، وقطعت عهداً على نفسها بألا تقطع طريق جيشه أو تضايقه ، وأن تسهل له الدخول إلى سمرقند ، ووافقت أن تضع بين يدي المسلمين مجموعة من الرهائن من كبار قومها وقوادها ، فوافق سعيد على ذلك .

ويشير النرشخي إلى أن الرهائن الذين قدمتهم خاتون كانوا ممن لايرضون عن سيرتها وحكمها ، فقدمتهم لسعيد تخلصا منهم ،وتخلصا من جيش المسلمين في آن واحد[٢].

وقيل : إن سعيداً بعد أن قبل الصلح أصابه مرض ، فقدمت خاتون تعوده ، وحملت كيسا فيه ثمرتان قدمت له واحدة منهما علاجاً له ، وأشارت عليه بأخذها فقد احتفظت بهما منذ زمن لنفسها ، ولما فتح الكيس سعيد وجد فيه تمرة قد يبست لتقادم العهد عليها ، فأرسل لخاتون أحمالا من التمر ،فأبلغته أن هذا التمر نادر ببلادها . ويبدو أن اهالي بخارى لاحظوا شيئا من المودة بين خاتون وسعيد ،فأشاعوا أنه عشقها وفي أغانيهم التقليدية مايشير إلى ذلك[٣].

ولما فرغ سعيد من بخارى[٤] اتجه إلى المدن الأخرى ،ففتح سمرقند ، وأخذ منها أموالا طائلة وثلاثين ألفا من الرقيق[٥]، بعد أن فتحت المدينة أبوابها ودخلها في ألف فارس ،واستقبله أهلها بالهدايا ،ثم فتح الصغد.

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ،ص ٦٢ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٦٢-٦٣ ،الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٣٠٤/٦، ٣٠٦ .
البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠١- ٤٠٣ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٦٤ .

(٤)- ابن الأعثم : الفتوح : ص ١٣٣٥ - ١٣٣٦ .
البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٩٨- ٣٩٩ .
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ١٦٥/٥ .

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٦٥.

ولما وصل إلى بخارى أرسلت خاتون من يطلب الرهائن منه فقد وفت بعهدها ،فرفض سعيد ،ولم يأمن غدرها ،فاستبقاهم عنده حتى عبر نهر جيحون ووصل إلى مرو ، ومن ثم إلى نيسابور ، ولما وصل إلى المدينة أمر الغلمان فأخذوا سيوف الرهائن ، ومابحوزتهم من سلاح ومال ،وتركهم ،ولكنهم لم يتركوه ، فباغتوه على حين غرة منه في داره وقتلوه .

وبعد مقتل سعيد بن عثمان صار سلم بن زياد بن أبيه أميراً لخراسان فأعاد تنظيم جيش الفتح وتجميعه ، حتى كون جيشاً ضخماً توجه به إلى بخارى لفتحها ، فاستنجدت خاتون من جديد بالترك المجاورين لها في الصغد ، وببيدون ملك التركستان . ولما استبطأت الإمدادات عقدت صلحاً مع سلم بن زياد،وفتحت له أبواب القصر الخارجية . وفي هذه الإثناء وصلت جيوش الترك وإمدادات بيدون ،فأغلقت الأبواب في وجه المسلمين ، ونكثت في عهدها ، وبايعت بيدون[1].

عند ذلك أرسل سلم من يستطلع الأمر له ، وكان رأس المستطلعين المهلب ، فذهبوا خفية دون علم أحد ،لأن المهلب قال لسلم : " لايوفد مثلي في هذه المهمة ،أنا رجل مشهور ، فأرسل شخصا إذا عاد سالما يخبرك الخبر اليقين ، وإذا هلك لاتظهر الهزيمة في جيشك[2]" ، فأصر سلم على إرساله . ولم علم المسلمون بالخبر ظنوا ظن السوء ، وقالوا أرادوا أخذ الغنائم وحدهم ، فلحق عدد منهم بالمهلب ، فلما أدركوه انكشف أمره للأعداء ، ونشبت معركة قاسية على المسلمين ، فاستنجد المهلب ، وجاءت النجدة ، واحتدمت المعركة ، وتشجع المسلمون ، فكتب النصر لهم ، وهزم الأتراك ، وقتل منهم عدد كبير ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة[3].

ولجأت خاتون من جديد إلى طلب الصلح وإعلان خضوعها للمسلمين ، فقبل سلم ذلك ، وصالحها، وعادت جيوش الفتح إلى خراسان .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٦٥- ٦٧ ،ورد فيه الأسم(مسلم) بدل (سلم) على خلاف باقي المصادر .
البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠٣-٤٠٤

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٦٦ . وانظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٢٦/٦ و ٣٩٤ ومايليها ،وابن الأعثم : الفتوح ١٣٤٠- ١٣٤١.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٦٧ - ٦٨ ،
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٢٢/٦- ٣٢٧.

ولعلنا نجد فيما جرى دليلاً على أن بعض الجنود في جيوش الفتح كانوا يسعون قبل كل شيء للحصول على الغنائم ، ولم يكن يهمهم كثيراً النتائج الأخرى للحرب كنشر العقيدة الجديدة وإقامة العدد بين الناس ، لذلك ما إن علموا أن سلماً أرسل المهلب حتى خافوا على نصيبهم من الغنائم وخالفوا أوامر قائدهم وانطلقوا وراء المهلب حتى كادوا بفعلهم هذا يهلكونه ويهلكون أنفسهم تماما كما حصل في وقعة أحد .

والأمر الآخر هو استماتة خاتون في الإبقاء على ملكها ودولتها مستقلة ، ولذلك فإنها تنقض الصلح والعهد كلما وجدت عندها مقدرة لرد المسلمين ، فإذا لم تستطع عادت من جديد وبشتى الوسائل لتحصل على صلح وعهد جديد من المسلمين الذين كانوا يقبلون ذلك عن قدرة حينا ، ومحاولة لإعادة تجميع صفوفهم من جديد حيناً آخر .

وفي هذه الأثناء ظهرت أحداث جديدة كان لها أثر كبير في مجريات الأمور . فقد حاول الأمراء المحليون في بلاد ماوراء النهر توحيد صفهم والعمل من أجل مقاومة الفاتحين ، مستغلين الفتنة التي ظهرت بين العرب عقب وفاة يزيد بن معاوية (٦٨٣م) فقد انتقلت الفتنة إلى صفوف المقاتلين في خراسان وماوراء النهر ، مما اضطر سلم بن زياد أن يغادر خراسان حتى تتم مبايعة خليفة جديد للمسلمين[1] وكان من آثار تلك الفتنة قيام بعض الحروب بين القبائل العربية انتهت بسيطرة زعيم القيسيين عبدالله بن حازم ، وظل أميراً على منطقة خراسان وماحولها حتى سنة (٧٢ هـ)(٦٩١- ٦٩٢م) وقام خلال مدة إمارته بضرب السكة باسمه بما في ذلك النقود الذهبية[2].

وقتل عبدالله بن خازم فيما بعد بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان لرفضه مبايعته . وكان ابن حازم قبل مقتله قد أرسل ابنه موسى بجيش إلى الترمذ ففتحها واستولى عليها ، وتحصن فيها ، وانضم إليه ثابت بن قطبة ، وكان مقربا إلى قلوب الأهالي محبوبا عندهم ، فاستمال إليه الأمراء المحليين وأحاط نفسه بحرس كبير أعانوه على طرد عمال يزيد من المنطقة ووضع يده على أموال الخراج.

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٢٦/٦ - ٣٢٧

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٩٦/٦ ، و٤٧١/٥- ٤٧٤، ٥٥١- ٦٢٣ و ١٧٦/٦- ١٧٨.

(٣)- البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ، و ٤٠٧ - ٤٠٩ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك / ٦/ ٦٢٣ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ٣٥.

وقد نجح موسى أيضا بانزال هزيمة منكرة بجيش الترك ، واستطاع أن يتغلب على ثابت بن قطبة إثر النزاع بينهما ،وقتله ، مما حمل كبير الامراء المحليين على التقهقر أمام موسى(١).

وكان لهذه الانتصارات التي قام بها موسى أثر كبير في تسهيل مهمة القائد العربي الجديد الذي وجهه الحجاج إلى قيادة حملات في ماوراء النهر ونشر الإسلام هناك سنة (٨٦ هـ (٧٠٤ م) ، وهو قتيبة بن مسلم الباهلي .

وحتى سنة (٨١ هـ) (٦٩٩م) كان المسلمون قد سيطروا على قسم كبير من بلاد ماوراء النهر وخراسان في القسم الغربي من أفغانستان ، كما أن الخلافة العربية الإسلامية قد امتدت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فوصلت جيوش الفتح إلى القفقاس ، وآسيا الصغرى ،والأناضول ، وسواحل المحيط الاطلسي(١)واستقر الوضع من الناحية السياسية للخليفة عبد الملك بن مروان ولاسيما بعد أن قضى على التمرد الذي قاده عبد الرحمن بن الأشعث (٣). فقام عبد الملك بعدد من الإجراءات الإدارية والتنظيمية كان لها أثر في تعزيز أمور الدولة من الناحية الاستراتيجية ، ومن ذلك أنه ارسل قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على خراسان، وأوكل إليه الحجاج بن يوسف الثقفي قيادة جيش المشرق الشمالي ، وكان قتيبة مقربا إليه(٤).

وقد كانت هذه الإجراءات ضرورية وملحة في وقت اتسعت فيه حدود الدولة وكان لابد من حمايتها والقضاء على أخطر قوتين في المشرق يمكن أن تهددا أمن الخلافة والقضاء على أخطر قوتين في المشرق يمكن أن تهدد أمن الخلافة العربية الإسلامية ،وهما الدولة الهندية في الجنوب الشرقي والإمارات التركية في ماوراء النهر.

---

(١)- البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ،و٤٠٧- ٤٠٩،والطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦٢٣/٦، وصالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص ٣٥.

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٣٤/٦، ٤٣٦، و٤٢٦ .

(٣)- المصدر نفسه : ٤٢٣/٦

(٤)- المصدر نفسه : ٤٢٤/٦ - ٤٢٥. والبلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠٩ ، النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٦٩ - ٧٠ ، وصالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ٥٣- ٥٤ .

وكان لتعيين قتيبة بن مسلم أثر بارز في مجريات الأمور ، فقد كـــان يتصف بحدة الذكاء والطموح ، والمكر ،والفطنة ،والشجاعة ، وكل ذلك هيأ له أن يحكم سيطرته على منطقة ماوراء النهر ، وقد أعاد تنظيم الجيش ،وتقوية صفوفه ثم أخضع خراسان كلها ، وفتح طخارستان(١) ، وسيطر على مرو، وبلخ ،ثم عبر نهر جيحون سنة (٨٨ هـ) (٧٠٦م) بقصد فتح مدينة بيكند ،والتي تعرف بمدينـــة التجار أو (المدينة الصفرية) ، وكانت مدينة حصينة منيعة ، وزاد من مناعتها أن أهلها علموا باتجاه جيوش الفتح إليهم ، فحصنوا المدينة وأعدوا العـدة للحرب ،وهذا كلف المسلمين حروبا طاحنة ، واضطرهم إلى محاصرتها مدة خمسين يوماً ، ثم دخلوها بالحيلة . فقد حفر المسلمون ثغرة كي ينفذوا منها إلـى داخل السور تشجيعا للناس على اقتحامه والإستيلاء عليه ،وهذا ماكان .

وطلب أهل بيكند الامان ، فصالحهم قتيبة على مال أخذه منهم، وأمر عليهم(٢) ورقاء بن نصر الباهلي ، وتوجه إلى بخارى ،وفي إثناء غيابه تمـرد أهل الحصن ،وقتلوا الامير ، فعاد إليهم وأعمل السيف فيهم واستباح المدينـة الناقضة للعهد ، وقتل المحاربة ، واسترق غيرهم ، ثم أرسل رسالة إلـــى الحجاج بن يوسف يخبره فيها بفتح بيكند ، فسره ذلك ، وأرسل له يشجعه علـى المضي في فتوحاته .

وبعد أن فرغ قتيبة من أمر بيكند ،انطلق إلى خنبون(٣) وتارات ، واستولى عليهما مع عدد من القرى الصغيرة ، ثم ذهب إلى وردانة وخاض حروبا مع ملكها وردان خداة(٤) وانتصر عليه .

وفي وسط قرى بخارى ،فيما بين تارات وخنبون ورامتين ، تجمعت قـــوات كثيرة من الترك لمقابلة قتيبة وجيشه ، فجاء (طرخون ،الصغد) و(خنلاخـــداة)

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص٦٩،والطبري : تاريخ الرسل والملوك ،٥/٤٢٨-٤٢٩ .
ابن الأعثم : الفتوح ٧/٢٢٥ .
البلاذري : فتوح البلدان ص : ٤١٠- ٤١١ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٧٠ .

(٣)- ياقوت : : معجم البلدان : ٤٦٩/٣،وخنبون من قرى بخارى بما وراء النهر ، بينها وبين بخارى أربع فراسخ على طريق خراسان .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٧١ .

و(وردان خداة) بمن معهم من الجنود ، وانضم إليهم ملك الصين الذي استنجدوا به ، ومعه أربعون ألفا[1]، واشتد الأمر على قتيبة وجنوده ، وكانت بهم حاجة إلى السلاح ، وكادت الصفوف تتزعزع نتيجة لبعض الشائعات التي أخذت تنتشر بين صفوف المسلمين ، فحزم قتيبة أمره ،وبدأ يستحث القوات للنصر ويرغبهم في القتال والغنائم التي تنتظرهم وبدأت المعركة ، واحتدم القتال بعنف ، وكان النصر حليف المسلمين على الرغم من تفوق جيوش الترك عدداً وعُدة ، وبدأ هؤلاء بالهرب والاعتصام في بيكند ، مما حمل قتيبة على محاصرتها من جديد . وكان الحجاج قد بعث إليه بجيش كبير لمساعدته من ناحية كش ونخشب من الخلف ، فسقطت بيكند بعد حصار دام خمسين يوما ، وكان لفتح هذه المدينة أهمية كبيرة لأنها بمثابة الباب الجنوبي الغربي لبلاد ماوراء النهر[2].

وتحسن الإشارة إلى الاسلوب الذي اتبعه قتيبة في فتوحاته ، وهو أسلوب تميز بحدة الذكاء والحنكة العسكرية ، فقد استغل كل شقاق بين السكان وأمرائهم لينفذ منه إلى زعزعة صفوفهم ، كذلك حاول عزل بخارى عن حلفائها الأتراك الذين كانوا يدخلون طرفاً في القتال كلما طلب منهم ذلك ، إضافة إلى أن قتيبة كان قد سيطر على سهوب تركستان الجنوبية كلها .

كذلك فإن تقدمه نحو البلاد كان ببطء شديد ،وذلك ليستطيع إحكام قبضته على المناطق المفتوحة والسيطرة على مجريات الأمور من جانب ،وليستنى له جمع المعلومات اللازمة عن المنطقة واتخاذ الاحتياطات اللازمة سواء من حيث القتال والاستعداد له أو من حيث عقد الصلح أو المهادنات بين بعض الأطراف[3]،وهنا تبرز قدرة القائد قتيبة بن مسلم على حل كل المعضلات واستنباط الحلول لكل المشاكل المعقدة التي واجهته على صعيد الناحية العسكرية ، وذلك بابتداع وسائل قتالية جديدة تستوعب كل الظروف الصعبة الموجودة في المنطقة ،وتسهل عليه عملية الفتوحات المقررة والتي أوكل الحجاج مهمة تنفيذها إلى قتيبة .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٧١ - ٧٢

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٢٤/٦ - ٤٢٥ .
البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠٩- ٤١٠
ابن الأعثم : الفتوح : ص ١٤٣٢ - ١٤٣٣ .

(٣)- صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص ٢٨، ٣٠

وقد بدت حنكة قتيبة على صعيد مواقفه من الأمراء المحليين، كموقفه من أمير الصغانيان مثلا ، إذ دعاه إلى مساعدته ضد عدوه ملك أخرون وشومان ، فهب قتيبة لنجدته ،ومساعدته (سنة ٧٠٥م)[١] .

كذلك فقد أعان خوارزمشاه على أخيه الأصغر (خرزاذ) وعلى الدهاقنة الذين ثاروا عليه.

ولهذا نجد أهالي خوارزم وبخارى لم يترددوا في معاونة قتيبة وجيشه في حملته على سمرقند ،وهذا ما أشار إليه اخشيد الصغد (غورلا) بقوله يخاطب قتيبة :

" إنما تقاتلني باخوتي وأهل بيتي من العجم ،فأخرج إلي العرب [٢]".

ومضى قتيبة في تنفيذ مخططه [٣]فبدأ بمحاولة عزل بخارى ،كما سلف ، عن حلفائها الترك ،وأخذ يخضع الإمارات الصغيرة أولاً ثم وردان ،ودرامنين والصغد ،وكش ،وهو يقصد بذلك اخراج الترك من طريقه . أما باقي الإمارات فقد انضمت إلى بخارى لتشد من أزرها ،وساعدهم في ذلك أمير فرغانة وزعماء الترك .

ويبدو أن قتيبة كان يقدّر أن حلف الأتراك لن يدوم طويلا وذلك لتباين المصالح والاهداف فيما بينهم ،ولعلمه بطبيعتهم التي تعتمد على عدم الاستقرار والتلهف على الغنائم.

وقد استطاع قتيبة بحنكته ودهائه أن يثبت أقدامه في المنطقة وأن يحول الهزيمة إلى نصر ، مستغلا بذلك كل مايستطيع من قوة ودهاء ،فاعتماده على مهادنة بعض الامراء المحليين كان مهدداً بالاخفاق ، لأنهم كانوا يتراجعون كثيراً عن عهودهم ، ولكن قتيبة كان متنبها لذلك الأمر واعياً له ، فعندما

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٣٠/٦.

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٢٤/٦ - ٤٢٥، ٤٣٦ - ٤٣٩ .
البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٠٩- ٤١٠، ٤١٤.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٧١- ٧٢ و ٧٣ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ٢٩-٣١ .
الثعالبي : لطائف اللطف : ص ٣٤-٣٥ .
النرشخي : تاريخ بخارى : آرمينوس ، فاميري ، الترجمة ص ١٠٥

عاهد أمير الصغد واستماله إليه أوقع انشقاقا في صفوف الترك وغير مجريات الحرب لصالح الفاتحين ، ولم يأمن قتيبة غدر أمير الصغد ، فأرسل إليه يرغبه ويرهبه ، ويذكره بأن الترك وغيرهم لن يتركوا هذا الأمير بحاله إذا خرج العرب وانفضوا عنه ، وهو بذلك يحمله على البقاء على عهده مع جيوش الفتح ، وقد اقتنع أمير الصغد بذلك ،وظل على ولائه للعرب ، مما أدى إلى انسحاب الباقين من الترك والتراجع أمام جيوش الفتح ،وبذلك تخلص قتيبة من مخاطر كثيرة [(١)].

ولكن طبع الغدر لم ينته من قلوب أهل المنطقة ، ولم يستطيعوا تمثل الدين الجديد ، فكانوا يعلنون الإسلام ، ويعبدون النار والأصنام سراً ،وغدروا بجيوش المسلمين ثلاث مرات متتالية ، وهذا ماحمل قتيبة على تجهيز حملة كبيرة لفتح بخارى للمرة الرابعة ، سيطر خلالها على البلاد كلها ،وأمر بنشر الإسلام بين الناس ،ورأى من الحكمة أن يبقى العرب بينهم ، فطلب من أهل بخارى نصف بيوتهم كي يستقر بها العرب ويعلموا الناس الدين الجديد ، وبذلك استقر فتح بخارى ،ودخل الناس في الدين الجديد ، وانتشر بناء المساجد ،وهدمت مواضع النار والأصنام [(٢)].

أما أمير الصغد فقد قتل في هذه المرة ، وذلك بعد أن أمر قتيبة عدداً من المقاتلين بالدخول إلى المدينة وبناء مسجد فيها [(٣)]. وقيل بل إن رجال أمير الصغد انقضوا عليه لقبوله بالصلح ودفع الجزية للمسلمين ،وعندما علم الأمير بذلك قتل نفسه بسيفه [(٤)].

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٤٣٠- ٤٣٢، و ٤٣٦ - ٤٣٧ .
البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤١٠- ٤١١،
النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٧١ - ٧٢ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص ٧٩- ٨٢ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٧٣ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٤ .

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٤٤٢ - ٤٤٣ و ٤٣٢.

وسلفت الإشارة إلى أن قتيبة بن مسلم ساعد ملك خوارزم ضد أخيه ،وثبته في ملكه ،على أن يسمح ملك خوارزم لجيش الفتح بدخول مملكته ،وأن يكون حليفا للمسلمين وتم ذلك سنة (٩٣هـ) (٧١١م)(١).

ويبدو أن ماقام به قتيبة مع خوارزمشاه كان يهدف من ورائه أموراً أخرى غير المخالفة العسكرية ، فقد كان يريد أن يشجع باقي أمراء المناطق على أن يحتذوا حذو ملك خوارزم ويقبلوا فكرة الصلح وعدم الوقوف في وجه الحملة القادمة على سمرقند ، وقد نجحت هذه الفكرة ، ولم يتردد أهالي بخارى وخوارزم في مساعدة جيوش الفتح وتقديم العون لها(٢).

وكانت سمرقند حين تقدم جيش الفتح إليها تعاني من اضطرابات كثيرة ، ومشاكل مختلفة ،مما أتاح الفرصة لقتيبة كي يتدخل فيها متذرعا بمساعدة أبناء حليفه طرخون الملك السالف الذي كان حليفاً له ، وخطب في الناس مشيراً إلى أن الصغد خالية من عاملها ، وأنهم نقضوا العهد الذي كان بين المسلمين وبين طرخون ،فكسب تعاطف كثيرين من الأهالي .

وتقدم قتيبة ومعه أهل بخارى وخوارزم إلى سمرقند وحاصرها سنة (٩٣ هـ) ، فتحصن ملك الصغد داخل الحصن ،واستنجد بالدول التركية المجاورة ،وهي الشاش ،وأشروسنة ، وفرغانة ،فارسلوا النجدات التي تحصنت وراء أسوار سمرقند(٣).

وحاصر قتيبة المدينة شهراً كاملاً ، حاول خلاله اقتحامها عدة مرات ،ولم يفلح إلا بعد خطة محكمة عن طريق فتح ثغرة في السور والمناورة بعدد من الرماة المهرة ، فدخلوا إلى المدينة ، وكتب النصر للفاتحين ، واضطر حاكمها إلى عقد صلح يقدم فيه الطاعة مع سبعمئة ألف درهم ، مع قبول المسلمين ضيوفا مدة ثلاثة أيام.

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، و٤٦١، ٤٦٩- ٤٧٤.
اليعقوبي : التاريخ : ٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢)- البلاذري : فتوح البلدان : ص٤٠١.
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص١٠٣- ١٠٥.

(٣) - الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٤٧٣- ٤٧٨.

بيده

وقام قتيبة بهدم الأصنام وتكسيرها، وأخذ ماعليها من مجوهرات وذهب، وشيد عدداً من المساجد، ولما رأى الناس أن هذه الأصنام لاتوءذي من يقترب منها ولاتمسه بضرر، تركوا عبادتها وأعلنوا إسلامهم(١).

ويروي البلاذري أن وفداً من أهل سمرقند قدم إلى دمشق وشكا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكن فيها المسلمين دون إذنهم أو رضاهم، فكتب عمر إلى عامله أن ينصب قاضيا للنظر في الأمر، فإن قضى بإخراج المسلمين فليخرجوا، ولكن أهل المدينة ضاقوا ذرعاً بالحرب فأقروا المسلمين بين ظهرانيهم(٢).

ومن الإجراءات التي اتخذها قتيبة بن مسلم بعد الفتح إذ ابقى(غورلا) حاكماً على الصغد، وفق شروط محددة قبل بها الطرفان، وبنى فيها مسجداً باسمه(٣).

ويبدو أن قتيبة كان حكيما في تصرفه، لأن استتباب الأمن في هذه المناطق المفتوحة يحتاج إلى جهد كبير وجيش كثير، فإبقاء الأمراء على مدنهم يخفف من الأعباء قليلا، أنه يرغب الناس بالدين الجديد وينبههم على العدل الذي جاء به الإسلام.

وكانت معركة سمرقند فاصلة لكلا الطرفين فهي الحاسمة التي فتحت السبل أمام باقي المدن. وقد رأى قتيبة أنه لا استقرار بغير القضاء على باقي المدن المجاورة مثل أشروسنة والشاش وفرغانة، فاتجه إليها مستخدماً معه عدداً من الجنود من أبناء المناطق المفتوحة، ووصل إلى خجندة، عاصمة أشروسنة، واجتمع عليه الأهالي، وأبدوا مقاومة عنيفة باءت بالإخفاق أمام قوة جيش الفتح. ثم سار إلى فرغانة سنة (٩٥هـ) (٧١١م) وفتحها(٤).

---

(١)- البلاذري: فتوح البلدان: ص٤١٠- ٤١١، وصالح مهدي عماش: قتيبة بن مسلم: ص١٠٦- ١٠٨، وابن الأعثم: الفتوح ص٢٣٨٧.

(٢)- البلاذري: فتوح البلدان ص٤١٠- ٤١١.
الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٦/ ٤٧٢- ٤٧٥
ابن الأعثم: الفتوح ص ٢٣١٧ - ٢٣١٨.
صالح مهدي عماش: قتيبة بن مسلم ١٠٧-١٠٨

(٣)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٦/٤٨٣- ٤٨٤.
ابن الأعثم: الفتوح: ٧/١٢٥٠، ١٢٤٨.

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦/٤٨٤- ٤٨٥ ومايليها.
ابن الاعثم: الفتوح ٧/١٢٥٤، ١٢٥٥

ثم واصل فتوحاته ، فاتجه نحو تركستان الشرقية التي أبدت مقاومة عنيفة لإغراق أهلها بالوثنية البوذيسة ، وتشير الروايات إلى أن جيوش قتيبة وصلت شمالاً حد الشاس ،وجنوب شرق كاشغر وفرغانة وسيطرت على المنطقة (١).

وظهر تمرد في مدينة الشاس ،فتوجه إليه قتيبة بجيش للقضاء عليه وفي إثناء ذلك بلغه نبأ موت الحجاج بن يوسف الثقفي ، فغادر فوراً إلى مرو وأقام فيها ، ثم بلغه موت الخليفة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة بعده.

وكان قتيبة ممن وافقوا على خلع سليمان من ولاية العهد وجعل الخلافة لعبد العزيز بن الوليد ، فخاف من سليمان الخليفة الجديد ، وأرسل له ثلاث رسائل يبايعه بواحدة ، ويعلمه بفتوحاته وانتصاراته في الثانية ، ويخلعه في الثالثة ،وكان قتيبة يخشى أن يعزله سليمان ويولي مكانه يزيد بن المهلب ، ولما وصلت رسائله إلى سليمان ، كان عنده يزيد بن المهلب فأقرأه ماكتب فيه قتيبة في رسائله فتغير لونه (٢).

ثم أن سليمان بن عبد الملك أرسل بكتاب تولية قتيبة حيث هو ، وفي أثناء عودة الرسل إلى قتيبة كان قد خلع سليمان ،وأعلن العصيان فلم يجبه أحد من الناس ، وثاروا به فقتلوه ،وقتل إخوته معه وهم يذودون عن داره ،وعلى الرغم من الانتصارات العظيمة التي حققها قتيبة ،والغنائم الكثيرة التي فرقها على جنده ، لم يستطع استمالة جميع الناس إليه ، بل إن هذه الانتصارات كانت نقمة على قتيبة ، لأنها أثارت في نفوس عدد من الجنود الحسد والغيرة ، فهو الذي فتح البلاد ، ووصل إلى ماوراء كاشغر (٣)، حتى طلب منه ملك الصين المفاوضة معه ،كما أنه هاجم أمراء الإيغور وفرق جمعهم ، فهذه المفاخر كلها لقتيبة أثارت عند ضعاف النفوس كوامن الغيرة والحسد بدلاً من الإحترام والطاعة ،

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٥٠٠- ٥٠١.
البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٣٢
النرشخي : تاريخ بخارى : الترجمة : آرمينوس فاميري ص ٧٠-٧١.

(٢)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦/٥٠٧- ٥٠٨ .
البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٤-٤٢٥.
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم ص ١٣٠- ١٣١ و ١٤٣ - ١٤٤

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٥٠٠- ٥٠٤
ابن الأعثم : الفتوح : ٧/٢٥٠ - ٢٥١

وأدى ذلك إلى اغتياله . وقد كان أخوه نصحه أن يذهب إلى ماوراء النهر ويقيم لنفسه ملكاً مستقلا ، ولكنه رفض ذلك ، لأنه يتنافى مع المبادئ والقيم التي نذر نفسه من أجلها ، فمات غيلة [(1)]. وقيل إنه قتل وهو ابن خمس وخمسين سنة ، كما روى البلاذري[(2)]، اما الطبري فأشار إلى أنه قتل سنة (٩٦هـ)(٧١٤م) وهو في الرابعة والسبعين من عمره .

وبموت قتيبة بن مسلم فقد العرب المسلمون كثيراً من مواقعهم، وخسروا ثمرة انتصاراتهم ، فبعد أن أقام قتيبة دولة عظيمة في الشرق وصلت إلى حدود الصين ، وقضى على مافيها من وثنية ، وغرس العقيدة الإسلامية في النفوس حتى صارت هذه المناطق من أكثر المناطق حماساً وتعقباً للعقيدة ، بعد ذلك بدأت الثورات المحلية تظهر ، وأخذ العرب يواجهون مقاومة الثائرين الأتراك[(3)]، ويخسرون مواقعهم ، لأن الذين جاؤوا بعد قتيبة لم يكونوا بكفاءته ومقدرته [(4)].

تلك هي أبرز مراحل الفتح العربي الإسلامي لمنطقة خراسان وماوراء النهر وقد تمت كلها في عهد الأمويين . ويلاحظ ـ كما أشرنا ـ شيء من الاختلاف في الروايات أو الاضطراب في التواريخ والأحداث ، ويعود هذا الأمر إلى تأخر تدوين الأحداث والاعتماد على الروايات الشفوية .

وعلى الرغم من أن الفتوحات الإسلامية لتلك المناطق قد حملت معها مبادئ الدين ونشرتها بين الناس [(5)]، إلا أن الاهالي كانوا يقومون ببعض الثورات ضد الولاة الامويين[(6)] الذين كانوا يتشددون أحيانا في تنفيذ أوامر الخليفة وجباية الضرائب .

---

(١)ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٥٠٧ـ ٥٠٨ .
البلاذري : فتوح البلدان : ص ٥٢٠.
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ١٤٤ـ ١٤٥.

(٢)ـ البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤١٢ـ ٤١٣، الثعالبي : لطائف اللطف : ص ٣٤
اليعقوبي : التاريخ ٢/٣٤٦.

(٣)ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٥٠٦ومابعدها ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٥١٧،
و ٤٠٧ ـ ٤٠٨، ٤١٠، ـ ٤١١.

(٤)ـ المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣، النرشخي : تاريخ بخارى : أرمينوس فامبري ، الترجمة
ص ٧٠ـ ٧١ . اليعقوبي : التاريخ ٢/٢٨١.

(٥)ـ النرشخي : تاريخ بخارى : الترجمة ١٢٨، الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٦/٤٢٤،
٤٢٥، ٤٣٦، ٤٤٢ومابعدها .

(٦)ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٣٩٨ـ ٤٠١ .

وكان لتغيير الولاة المستمر على تلك المناطق أثر في اضطراب الأمور لأنّ كل واحد له منهج وطباع تختلف عن سلفه ، وبعضهم كان يجتهد في الأمور على غير مايراه الآخرون ،من ذلك مافعله الجراح بن عبدالله والي خراسان إذ كان يأخذ الجزية ممن أسلم من أهل المنطقة ، وهو مخالف لنصوص الشريعة حتى اضطر عمر بن عبد العزيز الخليفة الورع أن يكتب إلى ملوك ماوراء النهر يدعوهم إلى الإسلام ، وينبه عماله على المناطق إلى ضرورة نشر تعاليم الإسلام بين الناس ،والتمسك بها ، ورفع الجزية عمن أسلم منهم .

وكانت قد وصلت إلى عمر شكاية الناس من شدة الجراح وجفاء طبعه وأنّه كان يقول : " خراسان لايمكن حكمها إلا بالسيف والسوط[1]". فلما تأكد من ذلك عزله ، وعين عبد الرحمن بن نعيم الغامدي مكانه[2].

ومع كل الإصلاحات والإجراءات التي قام عمر بن عبد العزيز ،فإن الثورات ظلت مستمرة حتى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك إذ كان سعيد بن عبد العزيز قد ولي أمر خراسان وماوراء النهر سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠- ٧٢١ م) وكان هيناً ليناً فاستطاع أن يستميل الدهاقنة والأمراء ، وعاملهم معاملة حسنة بعيدة عن القوة والحزم ،ولكنهم استغلوا لينه وبدؤوا يتطاولون عليه ، مما أدى إلى عزله وتولية سعيد بن عمر الحرشي مكانه .

وقد خاض الوالي الجديد حروباً كثيرة في سمرقند والصغد[3]، وكان النصر حليفه فيها . وهاجر عدد من أهل الصغد في عهده ،وتركوا موطنهم وكان معظمهم من الدهاقنة ، وذلك بناء على إشارة من أمير فرغانة الذي مالبث أن وشى بهم إلى المسلمين فأبادوهم .

---

(١)- البلاذري : فتوح البلدان ٤١١ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٩٩،٤٢٧/٦، ٥٥٠، ٥٥٨ ومابعدها ،و ٥٧٨- ٥٨٢ ،
والبلاذري : فتوح البلدان : ص٤١١،٤١٤- ٤١٧ .
النرشخي : تاريخ بخارى ص ٨٧- ٨٨.

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦٢١/٦- ٦٢٢.
النرشخي : تاريخ بخارى : ٩٩، ١٠٤ .

وفي الوقت نفسه قام سعيد بحملة كبيرة في بلاد ماوراء النهر ، بلغ فيها فرغانة ، ولكن نصره لم يتم ،لأن الترك كمنوا له في الطريق وانقضوا عليه جيشه فكبدوه خسائر كبيرة ، وعزل على إثرها من ولاية سمرقند[١].

وخلفه في الولاية أسد بن عبدالله القسري الذي أعاد بناء مدينة بلخ[٢]، ودعا أهل بخارى إلى الإيمان ، وكانوا أهل ذمة ،فأجابوه وأسلموا في الظاهر وأبطنوا خلاف ذلك ، ولما بلغه ذلك بعث إلى عامله عليهم شريك بن حريث وأمره أن يقبض عليهم ، ويسلمهم لملك بخارى يفعل بهم مايشاء ،فقام بخار خداة طغشاوة بضرب أعناق بعضهم ، وطلب عدداً منهم ،واسترق الباقين .

ومع ذلك فإن مهمة أسد بن عبدالله لم يكتب لها التوفيق التام.

وجاء بعد أسد أشرف بن عبدالله السلمي (٧٢٧- ٧٢٩م) وكان فطناً نبيهاً حسن التصرف في الأمور ، فاطلع على كل ماكان يدور حوله من كبيرة وصغيرة ، وعمد إلى حماية الثغور من هجمات الأعداء ، فأمر بتشييد الرباطات في أماكن كثيرة ، وأحكم قبضة الخلافة على المناطق المفتوحة ، فأثار بذلك حفيظة الدهاقنة وعمال الدولة الذين كانوا يحاولون الحفاظ على مجتمعهم الارستقراطي وعدم اتخاذ مواقف أكثر ليونة تجاه الدين الجديد ، فحقدوا على أشرف وعادوه [٣].

كما أن وجود المسلمين في تلك المنطقة المترامية الأطراف ومحاولتهم الحفاظ على ماوصلوا إليه في الفتوحات كان يتطلب أموالاً كثيرة ونفقات باهظة لتجهيز الجيش الذي عليه أن يكون مستعداً على الدوام ، ولم يكن من مصدر سوى أموال الخراج والجزية ، ولذلك عمد بعض الولاة إلى أخذ الجزية ممن اعتنقوا الإسلام - كما سلفت الإشارة - فأثاروا نقمة في نفوس الناس أدت إلى ثورات متكررة أخرجت من أيدي المسلمين بعض المناطق ،ولم تعد بخارى مثلا إلا في عام(٧٢٩م[٤]) .

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦٠٥/٦ - ٦٠٦ ، ٦١٠ - ٦١١

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/ ٦١٩ .
البلاذري : فتوح البلدان : ٤١٦ - ٤١٧ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ٨٧- ٨٨ .

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/ ٥٦٧ - ٥٦٨

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٤٥/٦ - ٤٤٦ ، ٥٧٥ - ٥٧٦ .
٦٠٨- ٦٠٩ ، ٦١٦- ٦١٧ .
البلاذري : فتوح البلدان : ٤١٧ - ٤١٨ .

وقد اضطر المسلمون في هذه الفترة إلى خوض معارك كثيرة ففي عام (٧٣٠م) واجهوا قوات خاقان الترك الذي انضم إليه إخشيد الصغد ،واضطر الوالي الجديد الجنيد بن عبدالله إلى بذل جهد كبير وقتال عنيف حتى يحافظ على جيشه [١].

وإلى الفترة نفسها يعود ظهور بدايات الثورة ضد الأمويين ،فإن ماقام به أسد بن عبدالله من قبل من أعمال لتوطيد دعائم الحكم الأموي قد أثار مخاوف بعض الذين ينتظرون الفرصة المناسبة للثورة على الدولة ، كذلك فقد تابع بعده نصر بن سيار ماكان بدأ أسد ،وأعطى وجها قويا للخلافة الأموية ، واستغل سقوط دولة الترك الغربيين فأعاد السيادة العربية على حوض سيحون وعقد معاهدات مع أمراء أشروسنة والشاش ،وكانت موفقة [٢]. كما وجه جيشا إلى كابل شاه أرغمه على دفع الجزية والطاعة ، واستمر في دعوة الناس إلى الإسلام ورغبهم إن هم أطاعوه . وتشير الأخبار إلى أن ولاية خراسان في عهد نصر ابن سيار كانت في أوج الرخاء والعمارة والاستقرار [٣].

ولكن هذا الاستقرار كان نسبيا ،لأن دولة بني أمية كانت تعاني من اضطرابات وفتن كثيرة في آخر عهدها ، وهي التي أدت في النهاية إلى سقوطها ، وقد انتقلت هذه الاضطرابات إلى خراسان ماوراء النهر ، وكان أمر ابي مسلم الخراساني قد بدأ يستفحل ، ففي سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م) أمر ابراهيم بن محمد ابن علي أبا مسلم الخراساني أن ينصرف إلى شيعته ،ويجمعهم بخراسان ، ويعلن الدعوة العباسية على إظهار التسويد [٤]. فسعى أبو مسلم بين المدن ينشر الدعوة ويجمع الناس ، وكان من أنشط الدعاة إلى العباسيين ،وقال الناس : " رجل من أهل البيت ، ودعوا إلى طاعة بني العباس [٥].

---

(١)- كرديزي : زين الأخبار ٨٤- ٨٥.

(٢)- البلاذري : فتوح البلدان : ٤١٧ - ٤٢٠.
كرديزي : زين الأخبار ٨٤- ٨٥.

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٨٥/٦- ٤٨٦.

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٥٣/٧.

(٥)- المصدر نفسه : ٣٥٥/٧.

ولم يمض الأمر بيسر على أبي مسلم وأنصاره ، إذ ظهر في بخارى شريك بن الشيخ المهري " وكان رجلاً مبارزاً شيعيا ،يدعو الناس إلى خلافة أبناء أمير المؤمنين علي رضا الله عنه ، ويقول : لقد تخلصنا الآن من عناء المروانيين، فلا حاجة بنا إلى عناء آل العباس(١) فاجتمع عليه خلق كثيرون ،وأيده أمير بخارى عبد الجبار بن شعيب ،وبايعه أيضا أمير خوارزم عبد الملك بن هرشمة ،وغيرهما(٢) واستفحل أمر هذه الدعوة بين الناس ، وبلغ الخبر إلى أبي مسلم الخراساني فجمع الجنود ،وأعد العدة ،وأرسل في الطليعة عشرة آلاف مقاتل على رأسهم زياد بن صالح ، وهيأ لهم خطة عسكرية اعتمدت على بث العيون بين الناس وجمع الأخبار ، ثم اصطدم جيش شريك بجيش أبي مسلم الخراساني بقيادة زياد بن صالح واحتدمت المعارك ، واقتتل الجيشان سبعة وثلاثين يوما ، وكاد النصر يكون حليف شريك وجنوده ، غير أن بخار خداة انضم إلى جيش زياد وأعطى أوامره إلى أهل الرستاق والقصور بغلق أبواب المدينة أمام عسكر شريك ،وقطع الطعام والعلف عنهم ونقله إلى جيش زياد ، فاضطربت الأمور في جيش شريك ، وضاق الأمر عليهم ، واستحكم الحصار ، فوقعت الهزيمة في جيش شريك ، وقتل في المعركة ، ولاذ بقية جنوده بالفرار(٣) .

ودخل زياد المدينة ،وأضرم النار فيها ثلاثة أيام ، وقضى على فلول جيش شريك ، ثم أرسل قوة إلى سمرقند قضت على التمرد الذي ظهر فيها ، واستقرت الأمور لأبي مسلم واتباعه في تلك المنطقة سنة (١٣٣هـ)(٤).

كذلك فإن الأمور استتبت لصالح أبي مسلم وأتباعه في منطقة بلخ ونواحي الختل وكش ،وانتصر حاكم بلخ أبو داود خالد بن ابراهيم من قبل أبي مسلم على مناوئيه الذين طلبوا العون من الصين فلم ينجدهم حاكمها . وكانت في هذه الإثناء قد ظهرت بوادر اعتداءات خارجية من قبل الصين والأتراك لحدود ماوراء النهر(٥).

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٩١ .
(٢)- المصدر السابق .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٩٣.
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٥٤/٦- ٤٥٥ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ .
اليعقوبي : التاريخ : ٤٥٢/٢.
ابن الأثير: الكامل ٣٤٤/٥ .
(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى ص٩٣، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٨٥/٦- ٤٨٦ .
(٥)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٥٤/٦ - ٤٥٥، ٤٦٣ - ٤٦٤، ابن الاثير : الكامل : ٣٣٤/٥- ٣٣٥ ، اليعقوبي : التاريخ ٤٢٥/٢- ٤٢٦ ،
النرشخي : تاريخ بخارى : ٩٢-٩٣.

وبانتصار أبي مسلم على أعدائه استقر له الوضع ، وحاز على مكانة عالية في النفوس ، لا لكونه ممثلا للحكومة وحاكماً فحسب ، بل لكونه زعيماً دينيـــاً بارزاً [(١)].

وقد اتبع العباسيون سياسة جديدة تختلف عما كان يتبعه الأُمويون ،فأعلنوا المساواة بين المسلمين جميعا سواء أكانوا عرباً أم فرساً ، وثبتوا دعائم الخلافــة وقمعوا الاضطرابات ، وفرضوا الأمن ، وحاولوا كسب الأنصار [(٢)]،كذلك أظهروا اهتمامـا بالعلوم كلها إضافة إلى علوم الدين ، وبرز اهتمامهم بعلم اليونان ، ومـــال بعضهم إلى آراء المعتزلة [(٣)].

ولكن الاستقرار لم يحظ بالكمال والديمومة إلا بعد أن تخلى الخلفـــاء العباسيون عن نظام الولاة ، وجعلوا على المناطق أمراء من أهلها ، لهم خبــرة بتلك المناطق وطباع شعوبها ، إضافة إلى تقبل الناس لهم [(٤)]، مع أنّ هـــؤلاء الأُمراء كانوا يميلون أحيانا إلى كسب المنافع الشخصية ، وتخف تبعيتهـــم للخليفة شيئا فشيئا حتى صارت أُسمية في بعض الأحيان [(٥)].

ولم تلبث الفتن والاضطرابات أن ظهرت واستمرت حتى قيام الطاهرييـــن، وبقيت المنطقة مسرحاً للفتن والثورات حتى العهد الساماني [(٦)].

---

(١)- ابن النديم : الفهرست : ص ٣٤٤ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامه ص ١١ .
(٣)- ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٨ .
(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٢/٦ ، ٣٨٢- ٣٨٦ ، ٣٩٤، ٤٠٦.
(٥)- The Gaznavids, The Empire in Afghanistan and eastern Eran,By C.E.Bosworth, P.72 - 75 .

(٦)- النرشخي : تاريخ بخارى : ص ٩١-٩٢ ،
كرديزي : زين الأخبار ص ٩٢ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٤٥-٥١ .

* - مجتمع ماوراء النهر (شعوبه - طبقاته الاجتماعية - دياناته)

كانت منطقة شمال فارس وماوراء النهر عبارة عن إمارات متعددة ،وكان يقف على رأس الحكم حاكم مطلق الصلاحيات ، يدير شؤون البلاد ،ويحافظ عليها ، وكان يجلس يومين في الأسبوع للنظر في المظالم .

ولما كانت تلك الإمارات متنافرة شديدة العداء فيما بينها ، كثيرة المؤامرات والتطاحن ، فإنها وجدت في العرب مخلصا لها مما تعاني من ضعف وتشتت (١).

وعلى الرغم مما كان بين العرب أنفسهم من شقاق ،فإنه لم يكن بمستوى مابين تلك الإمارات ،وهذا ماجعل أهل تلك المناطق يستقبلون الفاتحين الجدد في أغلب الأحيان دون حرب ،وعن طريق عقد معاهدات الصلح ، نكاية بأعدائهم من الدول التركية المتربصين بهم . ولذلك فإن كثيراً من الانتصارات التي حققها العرب المسلمون في تلك المناطق كان للسكان المحليين أثر بارز فيها ودور فعال من خلال مشاركتهم ، ولاسيما في فترة قتيبة بن مسلم الباهلي(٢) وآل أمر تلك الإمارات إلى مناطق للحكم العربي تعود كلها بالولاء والطاعة إلى والي خراسان الذي كان يعين من قبل الخليفة في دمشق أو بغداد(٣).

ولم يتم استقلال بلاد ماوراء النهر إلا عندما أقام السامانيون دولتهم والتي دامت نحو مئة عام(٤). وقبلها كان الولاة مشغولين بمحاولة الانفصال حيناً ، وبجمع الثروات الشخصية حينا آخر ،ولاسيما أن هؤلاء الولاة كانوا يغيرون في فترات قصيرة . وكانوا يعرفون بـ (موالي أمير المؤمنين) وهم عمال دولة(٥) ، وكان الأمير في كثير من الأحيان يستخلف نائبا عنه

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٩/٦ - ٣٩٠، ٤٧٣ - ٤٧٤ .
صالح مهدي عماش : قتيبة بن مسلم : ص ٦٠-٦١ .
(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٠٠/٦- ٤٠٥ ، و ٤٠٦- ٤١١ .
(٣)- المصدر نفسه : ٣٨٢/٦- ٣٨٤ .
النرشخي : تاريخ بخارى ، الترجمة : ٩٤- ٩٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٨٦/٤- ٦٨٧ .
(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٣٧ .
(٥)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦٠٨/٦ .

على الولاية [٢]، وربما منح عهد الولاية من قبل الخليفة في بغداد [٢].

ومع أن كل منطقة من المناطق المفتوحة كان يعين عليها عامل عربي تابع لأمير خراسان ، ويقيم عادة في مرو [٣]، فإن بعض المناطق ترك حكمها بأيدي الأسر المحلية الحاكمة.

وقد انقسم المجتمع في بلاد ماوراء النهر وخراسان إلى مجموعة من الطبقات تتميز كل واحدة بخصائص ومؤهلات .

فقد سيطر على المجتمع طبقة ملاك الأراضي ،الذين عرفوا باسم (الدهاقنة أو الدهاقين) [٤]، ودامت فترة سيطرتهم في الشمال الشرقي من بلاد فارس أكثر مما دامت عليه في باقي المناطق الغربية ، وكانت سلطتهم أقوى [٥].

وأبقت هذه الفئات على عدد كبير من البطانات الشخصية ، وكانت تتمتع بكثير من الفضائل كالكرم وحسن الضيافة ، وقد شهد بذلك عدد من الرحالة فالمقدسي يقول عن أهل خوارزم إنهم أهل ضيافة ،كما أطنب الإصطخري في الحديث عن كرم أهل هذه المنطقة ووصف بيت أحد ملاك الأراضي في السغدبأن بابه لم يغلق لقرن أو أكثر من الزمن ، وكان يطعم ويأوي مئة رحالة أو مئتين كل ليلة [٦].

ولم يكن هناك قوة تكبح من جماح هذه الفئة وسيطرتها ، إذ كان هناك حلف قوي بين أرستقراطية رجال المال وبين رجال الدين الذين ذكرهم الطبري إلى جانب الدهاقين وأطلق عليهم اسم الكهنة أو الكهنوت ، إذ يقول في أحد المواضع : " جمع ملوكه وأحباره ودهاقينه " وفي موضع آخر :" لم يطلع أحد من مرازبته [٧]" . وقد تمتع رجال الدين بشيء من السيطرة والنفوذ لدى عامة الناس الذين كانوا يرجعون إلى الأحبار ويستشيرونهم في أمورهم [٨].

---

(١)- النرشخي: تاريخ بخارى ١١٠- ١١٢

(٢)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤: ٦٨٦/ - ٦٨٧

(٣)- النرشخي: تاريخ بخارى ٩٠ البلاذري : فتوح البلدان : ٤١٣-٤١٤

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٤٠٠- ٤٠١، البلاذري : فتوح البلدان ٣٨٥- ٣٨٦ ، الذشخي : تاريخ بخارى : ١٣٧.

(٥)- The Gaznavids, The Empire in Afghanistan and Eastern Eran. By C.E. Bosworth, P.74 - 75 .

(٦)- المقدسي : أحسن التقاسيم ٣٢٣، الإصطخري : المسالك والممالك ١٨٦. النرشخي: تاريخ بخارى : ٥٥ .

(٧)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٤٦٩- ٤٧٠

(٨)- النرشخي: تاريخ بخارى : ١٠٩

وكانت فئة ملاك الأراضي في الغالب من القادة العسكريين والفرسان[١]، وقد اعتمد الأمراء السامانيون - فيما بعد - عليهم اعتماداً كبيراً في الجيش، وعملوا على تجنيد الغلمان والأتراك ولاسيما الذين أمضوا فترة طويلة في خدمة الحكام الصغديين .

وهناك طبقة الأمراء المحليين ، وهم عادة يمثلون طبقة النبلاء ،فهم الأقوى ، ويتمتعون بقدر كبير من السيطرة والنفوذ . ويرد في المصادر العربية ذكر للحرس وكيف كان يختص المنخرطون فيه بهؤلاء الأمراء وكانوا يسمون بالجاكرية ،أي (الاتباع)[٢].

وقد عبر النرشخي عن هذه الفئة وهو يصف لنا بلاط ملكة بخارى وحرسها بقوله : " وكان من عادتها أن تخرج كل يوم من الحصن راكبة جواداً ، ثم تتربع على تختها ، وبين يديها الغلمان والخصيان ، وقد فرضت على أهل الرساتيق أن يبعثوا إليها كل يوم بمئتي شاب من الدهاقين والأمراء ، يتمنطقون بمناطق الذهب ، ويتقلدون السيوف ، فإذا ماخرجت الخاتون قاموا صفين في خدمتها وهي تنظر في شؤون الملك[٣] ثم يشير إلى أنها تركب عادة ، وتأمر بمد الخوانات للحشم والاتباع . ويصف هذا الحرس بأنه أشبه مايكون بحرس شرف ، ينضم إليه شباب الطبقة الأرستقراطية الذين وجدوا ببلاط الحكام . وتجد الطبري يطلق كلمة " نبلاء" في مواضع كثيرة على الدهاقنة وملاك الأراضي وعلى الأمراء المحليين .

وثمة طبقة اخرى من الفرسان ، اشتهرت بالشجاعة والشدة والبأس في القتال ، ولكنها افتقرت إلى التنظيم[٤].

وهناك طبقة الأشراف الذين تمتعوا بحرمة وقدر ومنزلة كبيرة عند أهل بخارى ،وهؤلاء ليسوا من الدهاقين ، بل من الغرباء ،والتجار والأغنياء الذين امتلكوا العقارات والقصور الكثيرة ، أمثال (آل كشكة) ملاك قصور المجوس على قول النرشخي ،وقد أصبحت ضياعهم عزيزة فيما بعد حيث أقام فيها ملوك بخارى[٥].

---

(١)- The Gaznavids, The Empire in Afghanistan and Eastern Eran. By C.E. Bosworth, P.74-75

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٤٦٣/٦.
النرشخي : تاريخ بخارى : ص ١٤٠ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ٧-٨ .

(٤)- الطبري : تاريخ بخارى : الرسل والملوك :٤٤٢/٦- ٤٤٣ .

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٠- ٥٢ .

وقد ارتبطت مصالح الأغنياء بمصالح الطبقة الأرستقراطية ، وتشير الدلائل إلى أنه لم يكن هناك أي خلاف بين طبقة الدهاقنة وهؤلاء التجار الذين يصفهم النرشخي بأنهم كانوا يسكنون القصور ، ويمتلكون العقارات الواسعة ،ولم تقل منزلتهم في شيء عن منزلة الدهاقنة ملاك الأراضي .

وتمتعت فئة التجار بمكانة عالية وثراء فاحش ، وجنت أموالاً طائلة عن طريق تجارة القوافل مع الصين ،ومع الأقطار الأخرى المجاورة لها ،ولاسيما أهل خوارزم الذين كانت غالبيتهم من التجار[1]. ولذلك فإن الطبري عندما يتحدث عن هجرة أهل الصغد يساوي بين التجار وبين الملوك والأمراء فيها[2] وتعتبر مدينة بيكند من أكبر المدن التجارية والتي تجمعت فيها فئات كبيرة من التجار حتى عرفت بهم فقيل عنها : (مدينة التجار[3]) ، وقد أفاد منها المسلمون كثيراً عندما فتحوها .

تلك هي أبرز الطبقات الاجتماعية لبلاد خراسان وماوراء النهر إضافة إلى عامة الناس .

أما عقيدة الناس ،فقد تعددت بناء على النظام الاجتماعي السائد وكانت الزرداشتية هي الديانة السائدة في تلك المناطق ، كما هو عليه الحال في أيران[4]، ودانت بها الطبقة الحاكمة وأكثر الناس قبل الفتح الإسلامي .

وقد انتشرت تعاليم زرداشت من بلخ وماوراء النهر باتجاه الشرق حتى بلغت حدود الترك ،ووصلت إلى الشمال الغربي حتى شواطيء بحر الاوُرال[5].

بيد انّ هذه العقيدة واجهت منافسة شديدة جاءتها من المشرق وذلك من طريق التعاليم البوذية التي بدأت تغزو المنطقة من الشرق ،، ولذلك

---

(١)- الاصطخري : المسالك والممالك : ص ١٧٦- ١٨٧.

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٤٢/٦ - ٤٤٣ .
ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٤٣.

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٧٠-٧١

(٤)- ابن النديم : الفهرست : ٤٠٨،والبيروني : الآثار الباقية : ص ٢١٢،٢١٥.
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٣

(٤)- أرمينوس فامبري : تاريخ بخارى : ص ٥١-٥٢

فإن العداء مستحكم بين هاتين العقيدتين ،وقد أشار إلى هذا العداء صاحب (الشاهنامة) . كذلك أشار إليه أحد العلماء المتخصصين بتاريخ إيران القديم ، إذ يقول في أثناء تناوله (كتاب الملوك) : " منذ ذلك الحين، أي منذ وفاة كيخسروا ،تأكد لدينا من أن التورانيين كانوا يعبدون الأوثان". كما ذكر أرمينوس فامبري إن ملك التورانيين يدعى (بغونجاد) أي ينتسب إلى بغو ، ويكتب بحروف بغوية ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أصله البوذي[(١)].

وكان للبوذية أتباع ومؤيدون على ضفاف زرفشان في القرون المسيحية الأولى ، ويؤيد هذا ماذكر النرشخي عن أبنة أمبراطور الصين وماكان بحوزتها من أوثان قامت بعرضها في سوق رامتن .

كذلك فقد وجد قتيبة بن مسلم عدداً كبيراً من الأوثان عندما فتح مدينة بيكند ، ومن بينها صنم كبير، عيناه من الجوهر الثمين ،أرسله إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ظلت بقايا هذه الآثار حتى بعد انتشار الإسلام هناك[(٢)].

ومثل هذا كان في بخارى ، فقد روى النرشخي أنه كان يجري في بخارى سوقان كبيران في كل عام لبيع الأوثان والدمى والتصاوير ، وكان يباع في أحدهما ماتصل قيمته إلى خمسين ألف درهم .

وكان انتشار البوذية واضحاً ولاسيما في فترة حكم أسرة هان[(٣)] (١٦٣ق.م) حيث وجدت تقارير الجوابين البوذيين : فاهيان ، وهيون سنغ ، ويذكر أن البوذية ازدهرت في تركستان الشرقية في القرن الخامس الميلادي ،لذلك لايستبعد أن تكون امتدت حتى مناطق جيحون .

---

(١)- أرمينوس فامبري : تاريخ بخارى : ١٥-٥٣.
الحميري: الروض المعطار : ٢٧٥.
ابن النديم : الفهرست : ٤٠٩،٤٠١.
نظام الملك : سياسة نامة : ٢٠٥-٢٠٦.

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٧٠-٧١،وابن النديم : الفهرست : ٢٣٩- ٢٤٠.

(٣)- ول ديورانت : قصة الحضارة - الإصلاح الديني : ٢٧-٨٢،٢٨، ٨٧.

وكان انتشار البوذية ومزاحمتها للزرادشتية دافعاً للفرس كي يدافعوا عن ديانتهم القومية إزاء العقائد المنتشرة هناك .

وقد دخلت المسيحية إلى آسيا في وقت مبكر واتخذت مدينة سمرقند[١] مركزاً لها ، وكان أصحابها من اتباع المذهب النسطوري ، وانتشرت المسيحية حتى بلغت الحدود المتاخمة لنهري سيحون وجيحون في القرن السادس الميلادي[٢]،وهو الزمن الذي اضطهد به شابور المسيحيين .

وكان للمسيحيين النساطرة هناك أسقفيات[٣] في كل من طوس ومرو منذ عام (٣٣٤م) ،وكان لمطاردة البيزنطيين للنساطرة المنشقين عن الكنيسة واضطهادهم ومن ثم نزوحهم إلى الشرق الأقصى أثر في استقبالهم لدى الساسانيين وعطفهم عليهم ، لما بين الدولتين من عداء دائم .

وقد نشط المبشرون في هذه المنطقة ، واكتسبوا أتباعا كثيرين، ويشير النرشخي إلى أصل هؤلاء القوم وأنهم لم يكونوا من العرب ، ولا من أهل البلاد الأصليين ، بل كانوا قوماً قدموا من الغرب ، واشتغلوا على الأغلب بالتجارة وحظوا بتقدير البخاريين[٤].

وتمتع المسيحيون والبوذيون بقدر متساوٍ من حرية العبادة ،ولم يشر أحد إلى أي نزاع بين العقيدتين كالنزاع الذي كان قائما وبقوة بين البوذية والزرادشتية كما يذكر الطبري[٥].

وبدخول جيوش الفتح العربي الإسلامي بدأ انتشار الإسلام في تلك المناطق ولم يكن انتشاره يسيراً ، فقد واجه عداءً قوياً،وكان الناس يرتدون ثم يسلمون ـ كما سلفت الإشارة إلى ذلك ـ ثم تمكن الإسلام بينهم بعد استقرار الفتوحات ولاسيما بعد أن أسلم بعض الأمراء الذين أبقوا على حكم مناطقهم فاستمرت لهم امتيازاتهم [٦]. وبانتشار الإسلام انحسرت مصالح المسيحيين وتقلص نشاطهم الذي لم يعد يتعدى سمرقند .

---

(١)ـ أريمنوس فامبري : تاريخ بخارى ٥٣.
(٢)ـ المصدر نفسه : ص ٨٨ .
(٣)ـ ول ديورانت : قصة الحضارة : الإصلاح الديني : ٢٧-٢٨ ص ٢٨٢- ٢٨٧ .
(٤)ـ النرشخي تاريخ بخارى : ٥٠-٥١
(٥)ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٠٦/٦-١٠٧،وابن النديم : الفهرست ٤٠١-٤٠٢ ٤٠٥- ٤٠٨ .
(٦)ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ١٠٦/٦-١٠٧.

أما الدهاقين الذين أسلموا فقد تعرضوا لبعض الخسائر ولاسيما بعد التنظيمات المالية الجديدة التي وضعها نصر بن سيار في أواخر الحكم الأموي ، إذ فرض الخراج على الأرض أيا كان مالكها ، وكان الأمراء معفون من ذلك ، وأبقى الجزية على أهل الذمة ،ولم يعف الأمراء من الضرائب ، وهذا يعني أنهم سيدفعون مالاً كثيراً . ولعل هذا الأمر قد حرك في نفوس هؤلاء شيئا من الغضب ،وربما كان هذا محرضاً لهم للإنضمام إلى صفوف الدعوة العباسية والإنقلاب على الأمويين[١].

ومع وجود الإسلام بين الناس هناك ظهرت بعض المعتقدات والفرق الجديدة كالمسلمية[٢]، وهم أصحاب أبي مسلم الخراساني ، والمانوية ،وهم أتباع (ماني) الذين دخلوا بلاد ماوراء النهر وعبروا مدينة بلخ بعد مقتل كسرى ، وكانوا يخدمون في مملكته ولقب ملوكهم بالتركش[٣].

وكان لظهور المانوية أثر في قوة أمر الفرس زمن بني أمية[٤] ولكن الخليفة المقتدر في زمن بني العباس لاحقهم وشدد عليهم ، فذهبوا إلى خراسان وتستروا فيها ، ولكن أمرهم وصل إلى والي خراسان فاضطهدهم[٥]،ولم يكف بطشه عنهم إلا بعد ان تدخل ملك الصين وهدد والي خراسان بهدم المساجد عنده واضطهاد المسلمين في بلده إن هو لم يكف عن اضطهاد المانويين ، وعندها اكتفى والي خراسان بأخذ الجزية منهم ، وكانت أغلب أماكنهم في سمرقند والصغد ونبونكث[٦].

وقد لاقت الدعوة العباسية مجالاً خصباً لها بين أفراد هذه المذاهب وبين الفرس ولاسيما غلاتهم أتباع بابك الخرمي الذين أبطنوا المفاهيم والمبادىء المجوسية وأظهروا الإسلام. وقد حملهم على ذلك أيضا أنهم رأوا في الدعوة العباسية نصيرا لهم ومعينا على التمسك بفارستهم القديمة ، ولاسيما أن بعض

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٠٩/٦- ١١٠
وأريمنوس فامبري : تاريخ بخارى ص ٥٣ .
(٢)- ابن النديم : الفهرست :٤٠٠-٤٠١، والبيروني :الآثار الباقية : ٣١٢- ٣١٥
(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٤٠/٦-٤٤١
(٤)- المصدر نفسه : ١٠٦/٦- ١٠٧
(٥)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :١٠٦/٥-١٠٧، ابن النديم : الفهرست ٤٠١- ٤٠٢و ٤٠٥،٤٠٨
(٦)- ابن النديم : الفهرست ٤١٤

دعاة العباسيين كان عنده بزة للزي الفارسي[١]، كما أن قحطبة بن شبيب ذكر الخراسانيين بماضيهم عندما خاطبهم قائلا : إن الله قد سلط العرب عليهم وذلك لينتقم منهم . كما أورد ذلك الطبري .

وقد توفر في مناطق خراسان وماوراء النهر من الأمور ماجعلها مؤهلة لظهور الثورات والتمرد فيها ،ولاحتواء الخارجين عن الخلافة . فهي بعيدة عن مركز الخلافة في دمشق أولاً ، كما أنها تضم قوميات متعددة ولاسيما القومية الفارسية التي كان بعض الناس منهم يحقدون على الإسلام والعرب الذين قضوا على حضارتهم العريقة ويتربصون بهم الدوائر ، ولذلك فإن دعوات الخوارج والشيعة وجدت أرضاً خصبة في تلك المناطق ، وكان من أهمها حركة الخوارج التي تزعمها شريك بن الشيخ المهري ، والتي تولى أبو مسلم الخراساني عملية القضاء عليها وإخمادها ،كما سلف [٢].

كذلك فإن باقي الدعوات التي اعتمدت على عقائد متأثرة بالفلسفة على اختلاف أنواعها ، كانت قد بدأت تظهر منذ أواخر حكم عمر بن عبد العزيز[٣] (٧١٧- ٧٢٠م) إضافة إلى الخوارج والشيعة الذين وجدوا في منطقة خراسان مسرحاً مناسباً لهم[٤].

وعلى الرغم من أن بعض هذه الحركات كان يتم القضاء عليها وإخمادها ولاسيما حركات الشيعة في تركستان ، فإن هناك حركات جديدة أشد وأقوى أحياناً كانت تظهر وتعلن تمردها ، ولم يكن من السهولة بمكان القضاء عليها والمحافظة على وحدة صفوف الأمة من خطرها ، ومن أبرز تلك الحركات حركة المقنع[٥] وهو رجل من أهل كازة (أو حزة) بإقليم مرو ، قيل إنه كان أعور ،ويضع على وجهه قناعاً أخضر ليخفي بشاعته ، فكنى بالمقنع[٦]. كان أبوه قائداً من قواد

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك /٩/١٠٧- ١٠٨،٣٨٠- ٣٨١ وانظر : د. الدوري: عبد العزيز : الجذور التاريخية للشعوبية - ط . بيروت ص ٢٠-٢٢.

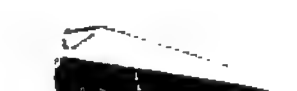
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى :٩١-٩٢ و ١٣٨- ١٣٩ .

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٣٤٠/٤، ٣٦٥، ١٩٩/٦- ٢٠٢ . ابن الأثير : الكامل ٥٨/٥، ابن خلدون : العبر ٦٨٦/٤- ٦٨٧ .

(٤)- ابن النديم : الفهرست : ٤٠٧- ٤٠٨،والبيروني : الآثار الباقية ط .المثنى بغداد ١٩٦٥م ص : ٣١٠،٣١٤.

(٥)- ابن الأثير : الكامل :٥٢/٥-٥٣،النرشخي: تاريخ بخارى :٩٤-٩٦. وكرديزي : زين الاخبار : ٩٧

(٦)- ابن الأثير: الكامل ٥٢/٥-٥٣. وكرديزي : زين الأخبار : ٩٧ .



أبي مسلم الخراساني ،ولما توفي تسلم القيادة بعد أبيه [١] وكان خارق الذكاء ، واسع الاطلاع على معارف السحرة ، وكان يخيل إليه أنه يتمتع بقدرات علوية حتى قيل إنه ادعى النبوة وقيل ادعى الألوهية لهذا غطى وجهه ليحجب نوره ، واستغل تسيب الأمور في خراسان واضطراب الأحوال ورواج الكثير من البدع ، فأعلن دعوته ، كما أشار الطبري [٢]. وكان ذلك سنة (١٥٠هـ / ٧٧٠م).

وقد اتخذ له ولأتباعه شعاراً اللباس الأبيض ، فسموا بالمبيضة [٣]، وحيث ادعى أنه الرب ، قال إنه ظهر بصور مختلفة ، بصورة عيسى ،وابراهيم ، وموسى وكلهم مجسدون فيه ، وهو روحاني .

وقد لاقت دعوته قبولاً عند الكثير من الناس ، ولاسيما الذين كانت المجوسية متمكنة من نفوسهم يخفونها في صدورهم ويعلنون الإسلام ، وقد حاول أمير خراسان القاء القبض على المقنع ،ولكنه لم يتمكن من ذلك ،لمساندة الكثيرين له وانتشار أتباعه من المبيضة على الشاطئ الآخر لجيحون ، وفي بخارى وسمرقند ، وكش ونخشب وغيرها . ولما وجد المقنع نفسه في مأزق عبر النهر مع ستة وثلاثين الفا من أتباعه ،ولجأ إلى حصن من حصون كش على جبل سام ، وبدأ يدير دعوته ومعاركه منه عن طريق قواده المحنكين [٤].

وقد عاث أتباع المقنع فساداً بين الناس فقتلوا ،ونهبوا ،وهاجموا المساجد وأثاروا الرعب بين الناس ، ولم تجد نفعاً محاولة معاذ بن مسلم أمير بخارى للقضاء على الفتنة ، وظل المقنع وأتباعه يمارسون أعمالهم وينشرون دعوتهم ويزيدون من قوتهم . وقد شد من أزر المقنع واتباعه تحالفه مع الترك وشيوخهم الذين وجدوا الفرصة مناسبة للانقضاض على المسلمين وممارسة عمليات السلب والنهب التي طالما انتظروها [٥].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٩٤-٩٦.
(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ١١٦/٦- ١١٨ ،٣٨٢/٩- ٣٨٤ .
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ١٧٠-١٧١ .
(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣ النرشخي: تاريخ بخارى ٩٤-٩٥ .
(٤)- النرشخي: تاريخ بخارى : ٩٦-٩٧ .
(٥)- المصدر السابق : ٩٩-١٠٠ ،وابن الأثير : الكامل ٥٢/٥- ٥٨ .
البيروني : الآثار الباقية : ٢١١- ٢١٤ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١١٨/٨- ١١٩.

ولما استفحل أمر المقنع وأتباعه وجد الخليفة المهدي نفسه مضطراً لمواجهة هذا التمرد مباشرة ، فانطلق إلى نيسابوروعزل أميرها عبد الملك سنة (١٦١هـ - ٧٧٧م ، معتبراً أن عدم القضاء على المقنع كان من تقصير الأمير ، ثم أوكل الأمر إلى معاذ بن مسلم الذي قاد عدة حملات انتصر في بعضها ،ولم يوفق في بعضها الآخر[1]، وهذا ماحمله على طلب إعفائه من هذه المهمة بعد عامين ، على زعم النرشخي .

وتولى المهمة بعده المسيب بن زهير الضبي الذي عين أميراً على خراسان سنة (١٦٣هـ) (٧٧٩م)[2]،وتوجه إلى بخارى وخاض معارك طاحنة مع المقنع وأتباعه ، وكثرت الأخبار والروايات حول المعارك الكبيرة التي قامت بين جيش الخلافة وبين المقنع وأتباعه ومن والاهم من الترك ، وبعضها يشير إلى أن حروب معاذ بن مسلم معهم قد أثارت البلبلة بين صفوفهم ومهدت الطريق للقضاء على المقنع وأتباعه ، وكان المقنع متحصنا داخل الحصن وإلى جانبه نساؤه ، وعلى بابه خمسون من أتباعه للدفاع عنه مع الاستعداد لبذل الأرواح في سبيله والشوق لرؤية وجهه ، وقد لعب عليهم وخدعهم وخرج إليهم مرة ، فخروا سجداً له[3].

ويذكر الطبري أن المقنع أخبر رسول معاذ اليه إنه إله وأن أمره سينتشر رغم كل المصاعب[4]. ولكن ذلك لم يتم ، واستطاعت جيوش الخلافة أن تهزم جيوشه ، وتبدد فلوله ، وتحاصره في حصنه حصاراً شديداً ، فايقن أنه هالك لامحالة ، فيقال أنه سقى نساءه السم ومات معهن ،وقيل : كان قد أوقد تنوراً ثلاثة أيام ،ثم ألقى نفسه فيه ،فلاأثر له بعدها وقد نجت إحدى نسائه من عملية الانتحار هذه ،وتدعى (بانوكه) وهي التي روت تفاصيل نهاية المقنع كما يقال إنها هي التي فتحت الحصن للقائد سعيد الجرشي[5].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٠- ١٠٢ ،والطبري : تاريخ الرسل والملوك ١١٨/٨-١١٩. وابن الأثير : الكامل : ٥٢/٥، ٥٨ ، وكرديزي : زين الأخبار ٢٤-٢٥.

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ١٠١

(٣)- المصدر السابق

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٨ و ص ١١٦- ١١٨ .

(٥)- ابن الأثير : الكامل : ٥٨/٨ - ٦٠ .

وهكذا تم القضاء على دعوة المقنع التي دامت نحو خمس عشرة سنة ، أقضت مضجع الخليفة العباسي وخلافته ، وأثارت الفتن والقلاقل والاضطرابات في منطقة خراسان وماوراء النهر ، وحاولت تشويه الإسلام بما أدخلته فيه من معتقدات هندية قديمة ، وفارسية ،وغير ذلك[1].

ولكن القضاء على دعوة المقنع لايعني نهاية الفتن والاضطرابات والدعوات الجديدة في منطقة خراسان وماوراء النهر ، إذ ظلت تلك المنطقة مجالاً لكل متمرد خارج على الخلافة ، وكانت الخلافة تنجح حيناً في القضاء عليهم وتتعثر حيناً إلى زمن السامانيين .

وبهذا نكون قد أبرزنا أهم القضايا الاجتماعية والعقيدية التي ظهرت في مناطق خراسان وماوراء النهر قبل الحكم الساماني ، ليتسنى لنا الحديث بوضوح عن ذلك العصر في الفصول القادمة .

---

(١)- ابن النديم : الفهرست : ٤٠٢ - ٤٠٣ و ٤٠٧-٤٠٨
البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية : ٢١١- ٢١٤
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٣٤٢

الفصل الثالث

أصل الأسرة السامانية

وملوكها

وتأسيسها

عندما يريد الباحث أن يقف على أصل السامانيين ، فإنه لابد له من العودة إلى الوراء قليلاً حتى يعرف الجذور التي جاءوا منها ،والأسباب التي حملتهم على الإقامة في هذه المنطقة .

وليس بين أيدينا أخبار يقينية حول أصل السامانيين ، ولذلك فإننا سنعتمد على مابين أيدينا من أخبار وإن كان بعضها يبدو عليه أحياناً غلبة الأسطورة على الواقع .

وفي البدء نشير إلى أن السامانيين منحدرون من التركستانيين الشرقيين، ولما كانت بلاد ماوراء النهر أرضاً بكراً ، مياهها وفيرة ، وأشجارها كثيرة ، قدم إليها التركستانيون الشرقيون ،وأعجبتهم ، فأقاموا فيها في الخيام والسرداقات ولم تكن فيها مدن بعد ، بل كل مافيها بعض الرساتيق مثل (نور) و (خرقان رود) و(وردانة) و (تراوجه) و (سفنه) و (إيسوانه) . وكانت (بيكند) أكبر المناطق تجمعاً للناس وأكثرها عمارة ،وفيها كانت أقامة أميرهم الذي اختاره الناس من بينهم ويدعى (أبروي).

ولم تكن سيرة هذا الأمير حسنة في قومه ، إذ كان ظالماً جائراً مستبداً، فكثرت المظالم ، وازداد تذمر الناس منه ، ولم يطيقوا صبراً على ذلك ، فهرب كثير من دهاقين خراسان وأغنيائها إلى تركستان ، وأقاموا في منطقة بنوا فيها مدينة سموها (حموكت) نسبة إلى أحد الدهاقين واسمه (حموك) ، وكان مقدماً على جميع الدهاقين الذين فروا من خراسان .

واستمر أبرودي بظلمه واستبداده ، فاستنجد من بقي من الناس والفقراء في بخارى بزعائمهم من الدهاقين الفارين في حموكت ،فتوجه هؤلاء إلى ملك الترك (قراجورين ترك) طالبين العون منه ، وكان عظيماً في قومه ، حتى إنه لقب (بياغو)[1] لعظمته ، فجهز جيشا عظيماً لمساعدتهم جعل على رأسه ابنه (شيركشور) وانطلق إلى بخارى حيث أسر أبرودي وقتله .

---

(١)- كذا ورد اسمه عند النرشخي : تاريخ بخارى ١٩-٢٠ ، ولعله تحريف عن (يبغو) أي نائب الخان .

وأرسل شيركشور رسلاً إلى الدهاقين في حموكت يدعوهم إلى العودة إلى بلادهم ، فرجعوا وشكلوا طبقة من النبلاء عرفت باسم (خدات) لأنهم كانوا من علية القوم ومن أغنيائهم ، أما من لم يكن كذلك فقد عُدّ من الخواص . وكان بين العائدين أحد أبناء الدهاقين القدماء واسمه (بخار خداه) وله أموال كثيرة وضياع واسعة .

وطابت الإقامة لشيركشور في المنطقة ،فاستأذن أباه كي يبقى فيها ، فسمح له بذلك ، وهكذا بدأ - كما قيل - ببناء عدد من المدن ، فبنى (بخارى) وقرى (مماستين) و (سقمتين) و (فرب) وامتد حكمه عشرين عاماً.

ثم خلفه أمير آخر ، قيل : يدعى (اسكجكت)[1]، فتابع بناء المدن والقرى ، فبنى مدينة (اسكجت) و (شرغ) و (فرخشى) و (رامتين) التي أقاموا فيها معبداً للأصنام جاؤوا به من الصين ضمن جهاز ابنة ملك الصين التي تزوجت في بخارى[2].

واستمر الأمر في تلك المناطق على هذه الحالة حتى مجيء الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي ، حيث كان يحكم المنطقة أمير اسمه (بيدون بخار خداة) وهو الذي جدد بناء القلعة التي تنسب عمارتها إلى أفراسياب أو سيشاوس .

وقد ظلت النقود الفضية تسك في بخارى حتى زمن أبي بكر الصديق[3] .

ولما مات (بيدون بخار خداة) لم يخلف وراءه إلاّ طفلاً رضيعاً اسمه (طغشادة) فاستلمت الحكم أمه خاتون ، وكانت ذات رأي وحنكة وسياسة ،ودام حكمها نحو خمسة عشر عاماً ، وفي مدة حكمها بدأت جيوش الفتح الأسلامي تصل إلى تلك المناطق[4]

---

(١)- انظر الذشخي : تاريخ بخارى ص ٢١ ،الحاشية رقم (٢)

(٢)- المصدر نفسه : ص٢١

(٣)- المصدر نفسه ص ٢١

(٤)- الذشخي : تاريخ بخارى : ٢٣

وكان لخاتون مع جيوش الفتح مواقف بارزة من حروب ومصالحات كما سلفت الإشارة إلى ذلك .

ولما توفيت خاتون ، كان ابنها طغشادة قد أصبح مقتدراً على حكم البلاد ، فتسلم السلطة ،وحكم الناس حكماً مقبولاً ، ثم إنه أسلم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي ،فأقره مسلم على ولايته ، وقضى على خصمه (وردان خداة) الذي كان حاكماً على مدينة وردان ، وضم حكم هذه المدينة إليه ، فدام حكمه اثنين وثلاثين عاماً ، حكم فيها باسم المسلمين الفاتحين ، وفي الوقت نفسه ظلت أسرته هي الحاكمة للمنطقة[١] حتى بعد موت قتيبة إلى زمن نصر بن سيار.

وكان لطغشادة عدد من الأولاد ، منهم ولد اسمه (قتيبة) تيمناً باسم قتيبة بن مسلم ، وقد استلم هذا الحكم بعد موت أبيه ، وظل على ذلك حتى قتله أبو مسلم الخراساني بعد أن أعلن ارتداده عن الإسلام ،ولم يكتف أبو مسلم بقتل قتيبة بن كلغشادة ، بل قتل أخاً له ، ثم وزع ضياعه وأملاكه على (بنيات بن طغشاده) فظلت هذه الأملاك معه حتى عصر الأمير اسماعيل الساماني[٢].

ويبدو أن (بنيات بن طغشادة) لم يستقم في عقيدته ، بل مال إلى جماعة المقنع المبيضة ،وناصرهم ، فبلغ خبره إلى الخليفة المهدي ،الذي تحين الفرصة حتى قضى على المتمردين ،ثم أرسل إليه جماعة من الفرسان فقتلوه في قصره في (فرخشى) سنة (١٦٦هـ) (٧٨٢م)[٣]، وانتقلت أملاكه وضياعه إلى أولاد بخار خداة " وكان آخر من خرجت من يده هذه الأملاك هو أبو اسحاق ابراهيم بن خالد بن بنيات . وكان ابراهيم يقيم في بخارى ،والأملاك في يده ، ويرسل كل عام بالخراج والغلات من ناحية ما وراء النهر إلى أخيه نصر ليبعث بها إلى أمير المؤمنين المقتدر[٤]" . ثم يشير النرشخي إلى الطريقة التي انتقلت بها ملكية هذه الضياع إلى الأمير اسماعيل الساماني ، وإلى أن أبا اسحاق توفي سنة احدى وثلاثمئة (٣٠١هـ) (٩٢٣م) وقد بقي أولاده في قريتي (سفنة) و (سيونج)[٥].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٢٣-٢٤ .
(٢)- المصدر السابق : ٢٥ .
(٣)- المصدر السابق : ٢٤-٢٥ .
(٤)- المصدر السابق : ص ٢٥ .
(٥)- المصدر السابق : ص ٢٦ .

وبظهور الأمير اسماعيل الساماني على مسرح الأحداث يبدأ التمهيد لحكم الأسرة السامانية على مناطق ماوراء النهر ، وبخارى وسمرقند .

"وكان موءسس هذه الدولة سامان خوداه - أي سيد قرية سامان في منطقة بلخ- فارسياً اعتنق الإسلام في خلافة هشام بن عبد الملك (٧٢٤- ٧٤٣ م) وحوالي سنة (٨١٩ م) عين المأمون حفدة سامان الأربعة ولاة على سمرقند وفرغانة والشاش وهراة [١]" . ويعيد بعض الموءلفين نسب هذه الأسرة إلى أسرة محلية صغدية [٢] من أحفاد جوبين البطل الساساني ، وقد سار ذكرهم بالبأس والنجدة [٣] ،وملوكهم تسعة ملوك ، ودامت مدة ملكهم نحو (١٠٢) سنتين ومئة ، فيقولون في نسب السامانيين : سامان خداة بن جثمان بن طفيان بن نوشردين بن بهرام بن جوبين [٤] ويصل النسب إلى كيومرث أول ملوك العجم على الأرض ، عند بعض الموءرخين [٥] وكان يلقب (خداة) وهو اللقب الذي يطلق على أمراء بخارى ودهاقينها [٦] .

ويبدو أن الزمان تنكر لوالد سامان صاحب الجند ، فعمل جمالاً ، وتنقل في البلاد ،ولم ينس أنه أمير ، فكان يسعى إلى استعادة مكانته ، حتى سنحت له الفرصة في زمن المأمون .

فلما صار أسد بن عبدالله القسري أميراً على خراسان ، عامل الناس معاملة حسنة ، ولاسيما الأسر المعروفة والعريقة ، ففر إليه جد السامانيين من بلخ ، وأسلم أمامه ،فأمنه ،وأعاد إليه ولاية بلخ وسانده ،وظل هذا الجد الساماني وفياً لأسد ، وعندما رزق بغلام سماه (آسداً) تيمنا بأسد بن عبدالله القسري ووفاء له ، وكان أسد هذا جد الأمير اسماعيل الساماني [٧] .

---

(١)- بروكلمان ،كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية :٢٦٢

(٢)- The Gaznavids, The Empire in Afghanistan and Eastern Eran. By C.E.Bosworth, P.72 .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٣٨،وابن خلدون : العبر: ٧٧٢/٢- ٧١٣ النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٧.

(٤)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ : ٣ ،ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧١٢/٤ -٧١٣، ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٣٨، النرشخي :تاريخ بخارى :٨٧و١٣٧ ،ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٧٧/٦

(٥)- الفردوسي : الشهامنة ،ص ٣٧-٣٨ ، ابن خلدون : العبر ٧١٢/٤

(٦)- ابن حوقل : صورة الأرض :٣٣٧-٣٣٩، النرشخي : تاريخ بخارى : ٢١ ،الكرديزي : زين الأخبار : ٢٢ .

(٧)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٨٧ و ١٣٧- ١٣٨ .

وأنجب أسد الساماني خمسة بنين وهم : نوح ،وأحمد ، ونصر ،ويحيى والياس [١]، ولما خرج رافع بن الليث على هارون الرشيد وانتزع منه سمرقند ، بعث الرشيد لمحاربته هرثمة بن أعين ، وعجز هرثمة عن تنفيذ ما أوكل إليه ، وحار في أمره ، وكان المأمون قد اهتم للأمر ، فقدم مع أبيه الرشيد إلى خراسان للنظر في الأمر ، فلم يجد وسيلة خيراً من الاستعانة بأولاد أسد فكتب إليهم طالباً منهم مساعدة هرثمة بن أعين في حربه ضد رافع بن الليث ، فاستجابوا لطلبه ،وأعانوا هرثمة مما حمل رافع بن الليث على عقد الصلح مع هرثمة ، ثم صاهروا بينهما [٢].

وبذلك أطمأن الرشيد ،ولاسيما أنه كان يخشى أن يستولي رافع على كل خراسان . ومنذ ذلك الوقت أخذت الأسرة السامانية تمكن لنفسها ، وصار بلاطها يزداد رفعة ، ونجمهم يزداد تألقاً ، وكانوا أوفياء أنقياء غير مخاتلين . ولما صارت الخلافة إلى المأمون كان حينها على خراسان الأمير غسان بن عباد، فأمره المأمون أن يولي أبناء أسد بن سامان [٣] فأعطى كلا منهم مدينة من مدن خراسان جزاء ماقدموه من مساعدة الخليفة فيما مضى .

وبذلك فقد عين نوح بن أسد أميراً على سمرقند ،وأحمد بن أسد أميراً على مرو . ولما غادر المأمون خراسان إلى العراق صحبه نوح بن أسد ولازمه مدة طويلة فولاه ماوراء النهر من قبل الطاهرية [٤].

وبعد وفاة نوح ولي أخوه أحمد بن أسد ، وكان عالماً ورعاً . ثم أخذ الولاية بعد وفاته ابنه نصر بن أحمد ، وذلك سنة (٢٥٠ هـ) (٨٦٥م) بأمر من الخليفة الواثق ، وامتدت ولايته إلى جميع أعمال ماوراء النهر.

---

(١)- ابن خلدون : العبر مج٤ /٧١٣.
وذكر النرشخي أربعة فقط : تاريخ بخارى : ١٠٥ .
(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٥- ٣٢٠ ، و ٣٢٨- ٣٢٩ و ٣٣٨ ، ٣٤٠ .
(٣)- النرشخي: تاريخ بخارى : ١٠٥-١٠٦ .
(٤)- ابن خلدون : العبر مج٤ /٧١٣ ،والكرديزي : زين الأخبار ، ٢٢ .
النرشخي: تاريخ بخارى ١٣٨ .
الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ، ط . بيروت ص : ١٧٠ ،
ابن الجوزي : المنتظم ، ط ،دار الثقافة - بيروت ٦ /٧٧.

ولم تكن فترة حكم أولا أسد مستقرة تماماً ، بل حدثت فيها حروب واضطرابات واختلف أمراء الأسرة السامانية فيما بينهم ، ونشبت حروب فيمابينهم كادت أن تقضي عليهم ، حتى استقر الأمر أخيراً بيد اسماعيل بن أحمد الساماني .

فقد سلفت الإشارة إلى أن المأمون ولىّ أولاد أسد على المناطق فجعل أحمد ابن أسد على فرغانة ، ويحيى بن أسد على هراة ، والياس بن أسد على الشاش ، ونوح بن أسد على سمرقند ، وظل الأمر كذلك حتى عهد الخليفة المعتمد الذي جعل حكم الولايات كلها تحت سيطرة نصر بن أحمد بن أسد سنة (٢٦١هـ - ٧٨٥م) لكونه أفضلهم وأقدرهم على إدارة البلاد[١].

وفي أثناء حكم نصر جرت اضطرابات في بخارى التي لم يكن فيها أمير ، وحاول يعقوب بن الليث أن يأخذها عنوة فتصدى له رافع بن هرثمة ، وكادت البلاد تدمر ، فاجتمع الناس في بيت الشيخ أبي عبدالله بن أبي حفص[٢] للتشاور ، وتم الاتفاق على طلب المساعدة من نصر بن أحمد ، فأرسلوا إليه يطلبون منه تعيين من يقوم على أمر البلاد ، فوجه إليهم أخاه اسماعيل بن أحمد ، فحكم بخارى ، وأنشأ علاقة طيبة مع رافع بن هرثمة الذي كان يدير شؤون خراسان ، واتفقا على التعاضد والتعاون ، وأضاف رافع ولاية خوارزم إلى حكم اسماعيل وقام اسماعيل بإصلاحات كثيرة ، وقطع دابر الفتنة ، واستقرت أحوال البلاد .

وظلت الأمور حسنة بين نصر وأخيه اسماعيل مدة ، ولكن الوشاة أوقعوا بين الأخوين واستغلوا فرصة ذهاب اسماعيل إلى سمرقند وتولية ابن أخيه يحيى بن أحمد مكانه على بخارى دون إذن من نصر ، ليوقعوا بين الأخوين ، ومما زاد الأمر تأزما أن اسماعيل تأخر عن دفع مايترتب عليه من أموال ، فحصلت جفوة بين نصر واسماعيل دامت ثلاثة عشر شهراً ، وانتهت بصلح بينهما بعد أن استشفع اسماعيل بابن عمه محمد بن نوح ، وبعبد الجبار بن حمزة[٣].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٨ ، وابن الأثير : الكامل ، ٦/٣١-٣٤ الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض : ١٨٢ ، والكرديزي : زين الأخبار : ٢٢-٢٣ والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٧- ١٠٨ .

(٢)- انظر ترجمته في : القزويني : التدوين في أخبار قزوين : ٢٠/١ وهو الإمام أبو حفص الكبير ، من مشاهير فقهاء بخارى . ولد سنة (١٠٥هـ/٧٩٧م) وتوفي ببخارى سنة (٢٢٧هـ /٨٤١م) . قاموس الأعلام : ٧١٠/١

(٣)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦/٤-٥ . ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧١٦/٤ النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٩-١١٠ والكرديزي : زين الأخبار : ٢٢ .

ولكن الوفاق لم يدم طويلا ، ودخل المفرضون من جديد للإيقاع بين الأخوين فأمسك اسماعيل المال ولم يرسله إلى نصر ، وتدخل رافع بن هرثمة ليصلح بينهما فلم يوفق ، فجمع نصر جنوده وتوجه إلى بخارى سنة اثنتين وسبعين ومئتين وحاول اسماعيل أن يستنجد بصديقه رافع بن هرثمة ،ولكن رافعاً لم ينجده ، لأن بعض المقربين نصحوه إلاّ يدخل بين الأخوين ، فسعى إلى الصلح بينهما من جديد ونجح مسعاه مرة أخرى .

ولكن اسماعيل أمسك المال من جديد ولم يرسله إلى نصر ،وكان لابد في هذه المرة من استخدام القوة ، فجمع نصر جنوده ، وطلب من إخوته أن يمدوه بما عندهم من قوة ، واتجه نحو بخارى لتأديب اسماعيل .

ولما وصلت الأخبار إلى اسماعيل تنحى عن بخارى إلى مدينة (فرب) المعروفة ب (رباط طاهر بن علي) ، اتقاءً للاصطدام مع أخيه ، فدخل نصر المدينة، ثم تابع إلى بيكند بعد أن وجد أخاه قد تركها ، ونزل على الناس فيها واستقبلوه استقبالاً حافلاً.

وفي هذه الأثناء استنجد إسماعيل برافع بن هرثمة ، فأمده بجيش كبير[1] وبدأ كل واحد يسعى لتثبيت حكمه وزيادة قوته ، ووقف عامة الناس مع نصر ، ورأوا أن إسماعيل قد خرج على طاعة أخيه دون سبب ، وأن ذلك يستوجب مقاطعته ومساعدة أخيه ، فمنعوا الطعام والعلف عنه وعن قوات رافع بن هرثمة ، حتى هلك معهم عدد كبير ، فأرسل رافع إلى نصر يخبره أنه جاء ساعياً للصلح لا محارباً ، فاستحسن الفكرة نصر ،وتم الصلح على أن لاتكون بخارى لاسماعيل ، بل يولي فقط الخراج ويلتزم بدفع مايترتب عليه ، وتم ذلك سنة ثلاث وسبعين ومئتين (٨٨٦م).

وبعد مضي خمسة عشر شهراً أرسل نصر إلى اسماعيل يطلب منه ماترتب عليه من أموال ،فامتنع اسماعيل مرة أخرى عن الدفع ، مماحمل نصراً على أن

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٤-٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : مج ٤/٧١٦ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٤-١١٥ ,
الكرديزي : زين الأخبار : ٢٢-٢٣
وياقوت : معجم البلدان : ١/١٧٦ .

يجهز الجيش من جديد ويتوجه إلى بخارى لإجبار اسماعيل على الدفع والطاعة ، ونشبت معارك بين الأخوين ، وثبت كل منهما للآخر ، ودارت الدائرة في النهاية على نصر الذي أحاط به عدد من فرسان الخوارزمية ، وكادوا أن يقتلوه ولكن اسماعيل تدخل وأبعدهم عنه ، ثم ترجل عن جواده وقبل يد أخيه نصر ، ورده معززاً إلى سمرقند سنة (٢٧٥ هـ - ٨٨٨م) . وكان لنصر اسماعيل هذا صدى كبير في نفوس أكسبه ثقتهم وحبهم وتعاطفهم معه ، ودل على غفة نفسه ووفائه وإخلاصه لأخيه ولاسيما أنه كان معروفاً بين الرعية بأنه فقيه ورع محب للعلم والعلماء ، ذو حكمة وتدبير وسياسة مرضية[1].

وقد أعجب الناس بتصرف اسماعيل وقوله لأخيه بعد ذلك : " إنك مازلت الأخ الأكبر والمخدوم ،فإذا أمرت لي ببخارى أقوم بأعمالها ، وإلاّ فأنا مطيع كل ماتأمر[2]" . فولاه نصر على بخارى وكسب محبة الناس بحسن تصرفه وعاد نصر إلى سمرقند ،وهدأت الأمور إلى أن توفي نصر بعد ذلك بأربع سنين (٢٧٩ هـ - ٨٩٢م) فعين الأمير اسماعيل خليفة له على أعمال ما وراء النهر ،وظل أخوه الأكبر وابنه تابعين له . وكان ذلك في عهد المعتضد بالله سنة ثمانين ومئتين للهجرة (٨٩٣م) .

وإضافة إلى الخلاف الذي نشأ بين الأخوة السامانيين وانتهى باقتتال نصر واسماعيل ، ثم استقرار الأمور ،فإن هناك فتناً أخرى واضطرابات حدثت أقضت مضجع السامانيين ، وكادت أن تقضي على دولتهم ، فمن بين أفراد الشعب الذين اعتادوا على حمل السلاح ، والشغب إن لم يجدوا حاجاتهم انبثقت حركتان قويتان هما حركة الخوارج وحركة الشيعة[3].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٥- ١١٦ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٤/٦ومايليها .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧١٦/٤ و ٧١٣- ٧١٤.
النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٥ ومايليها.
والكرديزي : زين الأخبار ٢٢-٢٣

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٧٦ ، والإصطخري : المسالك والممالك : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ،٢٩١ ،النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧ ،الطبري : ٣١٨/٦-٣٢٠و ٣٢٨- ٣٣٢
الكرديزي : زين الأخبار : ١٦-١٧ .
واليعقوبي : التاريخ : ٦٠٥/٢ .

فقد قام يعقوب بن الليث وإخوته عمرو ، وطاهر ،وعلي ،بحركة ضد السامانيين فاستلموا زمام الأمور في إيران ، وشكلوا دولة الصفار ، ثم استولوا على خراسان ، وحاربوا رافع بن هرثمة الذي كان قد خرج على الخليفة فاستعان المأمون بأبناء أسد الساماني عليه ،كما أشرنا من قبل[1].

وقد استمرت الدولة الصفارية وعلى رأسها يعقوب حتى وفاته ،فتسلم الأمر من بعده أخوه عمرو بن الليث ،وكان قوياً محنكاً ، فقبض على رافع بن هرثمة وقضى عليه سنة أربع وثمانين ومئتين ،فكافأه المعتضد وأعطاه عهد ماوراء النهر ، في الوقت الذي كانت فيه بخارى وماوراء النهر وخراسان ولاية الأمير إسماعيل الساماني ،فأدرك عمرو بن الليث صعوبة تحقيق هذا الأمرواستخلاص الحكم من إسماعيل الساماني ،وأنه عليه أن يضحي بالكثير حتى ينفذ مايريد .

وفعلا بدأ الصراع الحقيقي بين الدولة الصفارية والدولة السامانية ، وحاول عمرو بن الليث أن يمد نفوذه إلى ماوراء النهر ، فاصطدم مع إسماعيل الساماني وقوته الكبيرة ، ولم يستطع الانتصار عليه ، بل تمكن إسماعيل من القضاء على عمرو وقوته ، واستتب له الأمر[2]، وزادت دولته قوة ومنعة.

ومن الاضطرابات التي تعرضت لها بخارى أيضا دخول الحسين بن طاهر الطائي إليها سنة ستين ومئتين (٨٧٣م) ،فاستولى عليها بعد قتال شديد ، وعاهد الناس أن يعفو عنهم ،ولكن ما أن تركوا مقاومته حتى عاث في المدينة فساداً وأحرق قسماً كبيراً منها ،وجمع أموالاً طائلة ،فانقضّ الناس ثانية عليه ،وحاصروه واضطروه إلى الهرب ليلاً تاركاً كل ماجمعه ،ففرقوه فيما بينهم.

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٣٣٧/٥ - ٣٣٨ . وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤/ ٧١٣- ٧١٥.

(٢)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧١٤/٤- ٧١٦ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٣٣٧:٥- ٣٣٨ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٥-١٠٦ و ١١٨- ١٢١ .
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٣٨/٦ - ٣٣٩ ومايليها.
اليعقوبي : التاريخ ٦٠٥/٢ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١٩-٢٠
والأصفهاني : سني ملوك الأرض : ١٧٠-١٧١.

وظل أمر بخارى مضطرباً إلى آن اجتمع أهل الصلاح منهم عند الفقيه أبي عبدالله وقرروا الاستنجاد بنصر الساماني الذي أرسل إليهم أخاه اسماعيل (١) كما سلفت الإشارة إلى ذلك ، وكان أول مافعله اسماعيل أن قضى على الحسين الخارجي وساس الناس بحكمة وعدل ، وأعلن ولاءه وطاعته للخلفاء (٢).

وبعد قضاء إسماعيل الساماني على عمرو بن الليث الصفاري ، وعلى الحسين الخارجي ، بلغت الأخبار إلى الخليفة المعتضد بالله ،فسر بها ،وأرسل الخلع وأمر الولاية إلى اسماعيل الساماني ، الذي تابع أعماله في تثبيت ملكه وتوطيده فقتل محمد بن زيد العلوي (٣) صاحب طبرستان والديلم الذي كان قد طمع في خراسان ، فندب إسماعيل الساماني قائده محمد بن هارون الذي قضى عليه وأسر ابنه يزيد وأرسله إلى اسماعيل .

ولكن محمد بن هارون استقر في طبرستان وأعلن عصيانه على إسماعيل الساماني ، ثم انطلق إلى الري وخلص أهلها من حاكمهم المستبد ، واستفحل أمر محمد بن هارون ، فأوكل الخليفة المكتفي أمر القضاء عليه إلى الأمير اسماعيل الساماني فتوجه إليه وقبض عليه ، وأودعه السجن ، فلم يدم سجنه شهرين حتى مات فيه (٤).

وبالقضاء على محمد بن هارون استتب الأمر لاسماعيل الساماني واستقرت أمور الدولة السامانية ،وكان لإسماعيل الفضل الكبير في توطيد الحكم ، والقضاء على الفتن والاضطرابات ، وكسب ثقة الناس وتأييدهم له لما تمتع به من

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٧-١٠٩ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٠٧ . نظام الملك : سياسة نامة ٥٠ - ٥١ ،

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٦- ٣٢٠ و ٣٣٨ - ٣٣٩ و ٣٤٢ .
ابن الأثير : الكامل : ٩٦/٦- ٩٧.
ابن خلدون : العبر : ٧١٦/٤- ١١٧ .
النرشخي: تاريخ بخارى : ١١٩- ١٢١ ،
والكرديزي : زين الأخبار ٢١-٢٢وأرمينوس فامبري : تاريخ بخارى : "الترجمة :١٠١

(٤)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٩٦/٦ ،
ابن خلدون : العبر وديون المبتدا والخبر : ٧١٦/٤- ٧١٧ و ٧١٩ ،
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢- ١٣٩.
الكرديزي : زين الأخبار : ٢٣-٢٤ ،
وأريمنوس فامبري : تاريخ بخارى ،الترجمة : ١٢٨.

سيرة حسنة وأخلاق حميدة [1]، وجعل بخارى مقر حكمه ، ولقب بالأمير الماضي ، كما أطلق عليه في بعض أنحاء إيران اسم (الملك) لأعماله الجليلة التي قام بها وظل مطيعاً للخليفة مقراً بطاعته له [2].

وظل الأمير إسماعيل الساماني يبسط نفوذه على الولايات المجاورة بالتدريج حتى أخضع معظم ولايات إيران الشمالية . ولكن خلفاءه من بعده لم يستطيعوا المحافظة عليها ، بل اضطروا إلى التخلي عن معظم مناطق بحر قزوين والقسم الغربي من إيران للأسر الحاكمة الشيعية من العلويين والبويهيين والزياريين [3].

وقد استمر حكم الأمير إسماعيل الساماني في إيران سبع سنين وعشرة أشهر، وتوفي في الرابع عشر من صفر سنة خمس وتسعين ومئتين (٩٠٧م) [4].

وبعد وفاة إسماعيل بعث الخليفة المكتفي بعهد الولاية إلى ابنه أبي نصر أحمد بن اسماعيل الساماني ، الذي كان والياً على جرجان من قبل والي الري وطبرستان فارس الكبير (أو بارس) ، وكان فارس هذا معينا على المدينتين من قبل إسماعيل الساماني مقابل ثمانين حملاً من المال يؤدين كل عام ،ولما بلغ فارساً خبر وفاة إسماعيل ،أرسل وراء المال وأرجعه إليه قبل أن يصل إلى بخارى وكان هذا العمل مدعاة غضب الأمير الجديد أحمد بن اسماعيل ، ولذلك استأذن الخليفة المكتفي في أن يسير إلى تأديب هذا الخارج عن الطاعة ،فأذن له ، وتوجه أحمد إليه ، ففر هارباً ثم قتله بعض أصحابه غيلة.

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامه : ٥٠-٥١ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٧ و ١٢٣ .

(٣)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٢٢٦/٨ ، نقلا عن مسكويه ، والنرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧ .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٣ و ١٢٥ .
ابن خلدون : العبر : ٣٣٤/٤ .
ابن الأثير : الكامل ٢/٨ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب : ٢١٩/٢ .
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٥٢
ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١٦١/٥ .
ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٦/١١ .
وابن الجوزي : المنتظم : ٧٧/٦- ٧٨ .

واستمر احمد بن اسماعيل في مسيره إلى الري ثم إلى خراسان التي طمع في إعادتها إلى حكمه ،ولاسيما أنها كانت إلى حكم بخارى أيام ولاية أبيه اسماعيل ، وأرسل خيرة قواده لمحاصرة المعدل بن علي بن الليث ، فحوصر ثم استسلم وأسلم سجستان إلى منصور بن اسحاق أحد قادة أحمد بن إسماعيل ، ثم انتهت الأمور لصالح أحمد بن إسماعيل الساماني(١).

وعرف عن أحمد بن اسماعيل أنه كان محباً للعلم وراعياً للعلماء، محباً للغة العربية ، لذلك أكرم عمال الدولة المتقنين لها ، مما أثار عليه سخط حراسه.

وفي إثناء حكمه ثار عليه الناس ، وانتفض عليه أهل سجستان وعدد من أقربائه الأمراء ، وصاحب العلويين بطرستان ،وغيرهم حتى قتلوه غيلة في أثناء خروجه للصيد.

ويروى خبر اغتياله بأنه خرج للصيد،فجاءه خبر من أمير طبرستان يشير إلى خروج حسين بن العلاء عليه واستيلائه على كثير من المناطق ، فاغتم كثيراً ودعا ربه قائلاً : "يا إلهي إذا كان هذا الملك سيذهب عني فامتني(٢) " ويبدو أن دعاءه وافق قدراً من الله تعالى ، فقد كان من عادته في صيده أن يضع أسداً على باب خيمته كل ليلة لحمايته ، وفي تلك الليلة أغفل هذا الأمر ، فاغتنم غلمانه الفرصة ودخلوا خيمته وقتلوه ، ولذلك لقب بالأمير الشهيد.

وكانت وفاته سنة إحدى وثلاث مئة للهجرة (٩١٢م).
وقد دامت مدة حكمه ست سنوات وأربعة أشهر ،وخمسة أيام(٣).

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ١٣٧/٦ ، ٥٨/٨- ٥٩ ،
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧١٩/٤- ٧٢٠ ،
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٥- ١٢٧ ،
الكرديزي : زين الأخبار : ٢٥ وأخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ص ٨٩ ، ٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧، ٢٣٢.

(٣)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥٨/٨- ٥٩ ،
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧١٩/٥ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٥- ١٢٦ ,
الكرديزي : زين الأخبار ٢٥- ٢٦ .
ابن النديم : الفهرست : ١٣٨/١ ، ١٨٨ ,
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء ، تأليف وترجمة وتعليق د. حرب أمين سليمان - الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة - ١٩٨٠م ص ٢١٢.

* - حكم الأمير السعيد نصر بن أحمد الساماني :

وبعد مقتل الأمير أحمد تسلم الإمارة على خراسان بعده ابنه نصر بن أحمد ابن اسماعيل في العام نفسه (٣٠١هـ) ولقب بالأمير السعيد(١) .

ولم يكن الأمير نصر قد أدرك الحلم بعد ، فكان ابن ثماني سنين ، ولذلك ظهرت الفتن والاضطرابات والفوضى ، وزاد الأمير سوءاً الحريق الكبير الذي وقع في بخارى وأتى على قسم كبير من مبانيها ، ودام ثلاثة أيام ، واحترق فيه مسجد ماخ العظيم ، وكانت خسائر الناس جسيمة وعظيمة .

ويضاف إلى ذلك اضطراب في الاقتصاد ، والسياسة ، ومحاولة بعض الناس الخروج عن الطاعة والانشقاق .

ولكن الأمر لم يدم على هذه الحالة ، فقد قام عدد من المخلصين بمساعدة الأمير القاصر في إدارة شؤون البلاد ، فتولى الوزارة أبو عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني ، وقيادة العسكر حموية بن علي واستطاعا تثبيت دائم ملك الأمير نصر ، فعرف عن الوزير أبي عبدالله أنه بذل جهداً كبيراً في تنظيم الدولة واستمالة الجيش ، والسهر على راحة الرعية . وكذلك كان حموية قائد العسكر الذي تصدى لإخماد الفتن وفرض الطاعة على العصاة .

وقد حاول إخوة الأمير نصر الخروج عليه ، فلم ينجحوا . كذلك حاول الأمير اسحاق عم والده ، وابنه منصور بن اسحاق الانفلات من حكم نصر ، فحاول اسحاق أن يستقل بحكم سمرقند ، وأخفق . كذلك حاول ابنه منصور بن اسحاق الاستقلال بحكم نيسابور ، فتوجه إليه حموية قائد عسكر نصر وجرت بينهم عدة معارك انتهت بانتصار حموية وجنوده والقضاء على الفتنة(٢).

وقد استطاع وزير الدولة إدخال جميع المخالفين والمنشقين تحت سلطة الأمير وطاعته ، كما استطاع بسط السيطرة على خراسان ، واستتبت الأمور للحاكم نصر .

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٣٣٦/٤، الأصفهاني / تاريخسني ملوك الارض : ١٥٠ .
ابن الأثير : الكامل : ١٣٠/٨ .
ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٣١/٢ .
أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان : ٣٧-٣٨ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ :١٤٥/٦، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧٢٠/٤- ٧٢١ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٧- ١٢٨.
الكرديزي : زين الأخبار : ٢٨-٣٠
خواندمير (غياث الدين): دستور الوزراء : ٢١٣ .

إلاّ أنه بعد مقتل أحمد ، أعلن والي سجستان الحسين بن علي المرزدي العصيان في هراة ، وكان طامعاً في ملك سجستان ، وينتظر الفرصة السانحة لذلك ، وكان المقتدر قد ألحق سجستان بحكم بدر الكبير بعد أن بايعه أهلها وأخرجوا واليها السابق .

بيد أن الأمير السعيد أرسل مجموعة قواده فاستولوا على غزنة وبست ، وقبضوا على سعيد الطالقاني حاكم غزنة ، وبقيت مقاليد الأمور بيد خالد أحد قادة الأمير السعيد(١).

ولما استقرت الأمور على هذه الحالة سيّر المقتدر بدر الجيش لمحاربته ، واقتتل الطرفان وانتهت المعركة بهزيمة خالد وأسره ، إذ أخذ إلى بغداد حيث توفي هناك .

وبعد ذلك هدأت أحوال البلاد واستقرت الأمور للأمير السعيد نصر بن أحمد الساماني ، وكان لوزيره الجيهاني فضل كبير في ذلك لما تمتع به من حكمة وحسن تدبير لشؤون البلاد ، مما جعل منزلته تفوق منزلة آبائه وأجداده .
وقد دام حكم الأمير نصر بن أحمد لولاية خراسان ثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

ولابد من الحديث عن حركة خطيرة ظهرت في آخر عهد الأمير نصر وأدت إلى تنحيته عن ملك البلاد واستلام ابنه نوح الحكم بعده .

فقد ظهرت حركة شيعية في آخر عام من حكم الأمير نصر انتشرت بين الناس حتى وصلت إلى الأمير نفسه .

وأورد نظام الملك(٢) أن الباطنية نشطت دعوتها حتى وصلت إلى الأمير نصر . فقد تسلم الدعوة هناك (حسين بن على المروروذي) الذي ندب للدعوة أحد أتباعه وهو (محمد النخشبي) وعينه خلفاً ونائباً له ، وأوصاه أن يعبر جيحون إلى بخارى

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوم : ٢٧١/٨- ٢٧٢، وابن الاثير: الكامل ٧٢٤/٥- ٧٢٥
ابن خلدون : العبر: ٧٢١/٤- ٧٢٣ . النرشخي: تاريخ بخارى : ١٢٧-١٢٨ ،
الكرديزي : زين الأخبار ٢٨-٣٠، ابن الجوزي : المنتظم : ٢٠١/٧- ٢٠٢ .
وخواندميد : دستور الوزراء : ٢١٣ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٢-٢٣٣ .
البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية : ٣٣١- ٣٣٢ .
وابن النديم : الفهرست : ٨٨/١- ١٨٩ .

وسمرقند لدعوة أهلها ونشر المذهب بينهم ومحاولة استمالة أعوان الأمير نصر إن أمكن ، وقد فعل محمد النخشبي ذلك ،ونجح في مهمته ، واستجاب لدعوته خلق كثير من أهل خراسان ، وعين رجلا من زعماء الباطنية أسمه (ابن سوادة) خليفة له في مرو الروذ .

أما المروروذي فقد عبر جيحون إلى بخارى ، ولكنه لم يقم فيها طويلاً ، وغادرها بسرعة دون أن يجرؤ على إظهار مذهبة فيها ، وذهب إلى (نخشب) حيث استطاع أن يجذب إليه أحد أقاربه ويدعى (بكر النخشبي) وكان هذا الرجل نديما لأمير خراسان مقرباً منه ،وقام بكر بدوره بدعوة صديق له اسمه (الأشعث) واستماله إلى المذهب ،وكان الأشعث كاتباً خاصاً للأمير نصر[1].

وقد نصح بعض أتباع محمد النخشبي هذا الداعية أن يترك مدينة نخشب ويتوجه إلى بخارى فإن وصوله إليها سيكون دافعاً قوياً لنشر مذهبة وبسرعة بين الناس .

واستجاب النخشبي لذلك ، فتوجه إلى بخارى ، وأخذ يجالس الأعيان والنصحاء ويدعوهم إلى مذهبه بعد أن آخذ عهداً على كل مستجيب له ألا يبوح بأمر لأحد إلا بعد الرجوع إلى النخشبي . وقد دعا الناس إلى الشيعة ، ثم إلى السبعية ، وانضم إلى دعوته صاحب بخارى ومتولي خراجها ، وكثير من الأعيان وتجار المدينة ، ووالي (إيلان) حسين ملك ، وعلي الزراد الوكيل الخاص للأمير .

وعندما وجد النخشبي هذا النجاح لدعوته بين العوام والخواص ، وجه اهتمامه نحو الأمير نفسه ، وبدأ يخطط لذلك ، وأوعز إلى خاصته أن يذكروه بخير أمام الأمير نصر بن أحمد مع ترغيب الأمير بلقائه ، ففعلوا ذلك ، واستجاب الأمير لرغبة نصحائه ، واستقبل النخشبي في مجلسه ، فأخذ الحاضرون بالثناء عليه والإشادة بعمله حتى شغف الأمير به وقربه منه وتقبل دعوته وتمذهب بها وصار قرمطياً[2]،وأصبح النخشبي من خواص الأمير بل من أقرب الناس إليه والمشيرين

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٨- ٢٣٩ ،
والبيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية : ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٨- ٢٣٩
وابن النديم : الفهرست : ١/١٨٨ ، و٧٩-٨٠ .

عليه ، وصار الوزير قادراً على تعيين الوزراء وتنحيتهم ، وعلى التصرف بأحوال البلاد مما دعم مذهبه وأتباعه وعندها جاهر النخشبي بدعوته بين الناس علناً ، وساعده الأمير وأتباعه في ذلك.

ولم يرق للترك وقادة الجيش أن يتحول الأمير إلى مذهب القرامطة ، كذلك فإن علماء المدينة وقضاتها اجتمعوا ومضوا إلى قائد الجيش معلنين احتجاجهم على تصرفات الأمير ، ومنبعين على أن الإسلام في ماوراء النهر أصبح في محنة ، وخطر بعد أن أضل النخشبي الأمير وجعله ترمطياً ، وطلبوا إليه أن يتصرف لإعادة الأمور إلى نصابها ، فقال لهم : " إني شاكر لكم هذا ، عودوا واهدؤوا بالاً فسيأتي الله تعالى بما فيه الصلاح إن شاء الله ".

وحاول قائد الجيش أن ينبه الأمير إلى خطورة الأمر فلم يجد منه أذناً مصغية ، واضطرب أمر الجنود ورفضوا أن يوافقوا الأمير على مذهبه الجديد، وبدأ قواد الجند بالتشاور فيما بينهم ، وتعددت الرسائل السرية للاتفاق على رأي ، وأجمع رأيهم على قتل الأمير والتخلص منه وجعل قائد الجيش مكانه ، واتفقوا على خطة لذلك وكانت تتلخص في أن يدعوا الأمير إلى وليمة يطلبون منه أن يقدم كل ماعنده من أشياء ثمينة ، ثم يقتلونه ويتقاسمون مابين أيديهم . وتم تنفيذ الخطة ، وأوهموا الأمير أنهم سيجتمعون ليقرروا أمر غزو (بلاساغون) التي استولى عليها الترك ، ولكن استطاع أحد الوشاة أن ينقل الخبر إلى الأمير قبل خروج القادة إلى القصر ليقتلوه بقليل ، وعلم بذلك ابنه نوح بن نصر ، فأشار على أبيه أن يستدعي قائد الجيش لأمر خاص ،ولما قدم قتله وجعل رأسه في وعاء ، ثم طلب نوح من أبية أن يوافقه على كل مايشير به كي يتخلصوا مما هم فيه ، فرضي الأمير بذلك ، وتوجه الأمير السعيد مع ابنه نوح إلى مكان اجتماع قادة الجيش ،، وهناك أعلن نوح أنه مع القادة ولايوافق أباه على ماهو فيه ، وأعلن الاب نصر أنه سيتوب عما هو فيه وأنه يتخلى عن الإمارة لابنه نوح ، ثم أخرج لهم رأس قائد الجيش ،فأسقط في أيديهم، ووافقوا على مبايعة نوح بالإمارة (١).

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٦ ، ٢٣٩- ٢٤٠.
وابن النديم : الفهرست : ١٨٨/١ .

وبالمقابل فإن نوح بن نصر وعد قادته بتنفيذ رغباتهم ، وسياسة البلاد بحكمة وعدل . ثم أمر بوضع القيد في رجل أبيه ونقله إلى السجن . ثم وزع كل ماكان في المجلس على الموجودين ، ثم طلب إليهم تأجيل غزو بلاساغون والالتفات إلى الشؤون الداخلية ، والاهتمام بالقضاء على النخشبي وأتباعه .

هكذا روى نظام الملك[1] خبر الحركة القرمطية والقضاء عليها وعلى أمير ماوراء النهر نصر بن أحمد . غير أن ابن النديم صاحب الفهرست يروي الخبر بشكل آخر ، ويصر على أن السبب الأساسي لتوبة نصر بن أحمد يعود إلى مرض عضال لازمه مدة طويلة ، فاعتقد أن ذلك عقاب من الله على ما اقترفت يداه ، فتاب مما هو فيه[2].

ثم إن الأمير نصراً بنى لنفسه صومعة قبل وفاته قرب باب القصر أمضى فيها بقية حياته[3].

ولكن المؤرخين لايذكرون شيئاً كثيراً عن ميول نصر الدينية ، ويشيرون إلى أنه توفي مريضاً بداء الصدر بعد أن لزم فراشه ثلاثة عشر شهراً .

هذه الأحداث التي أدت إلى نهاية الأمير نصر بن أحمد الساماني هي نفسها التي جاءت بالأمير نوح إلى الحكم واستلام الإمارة .

---

(١) - نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢)- ابن النديم : الفهرست : ١/ ٧٩-٨٠ .

(٣)- ابن الأثير : الكامل : ٨/ ٣٠٠-٣٠٢ و ٣٩١ .

* - حكم الأمير الحميد نوح بن نصر بن أحمد الساماني :

سبقت الإشارة إلى الأحداث التي جرت في آخر عهد الأمير نصر والتي أدت إلى عزله عن الإمارة ، وقد اجتمع قادة الجيش وأولو الأمر وبايعوا ابنه نوح ابن نصر بن أحمد بالإمارة ، وأجمع الناس على ذلك لما يعرفونه عنه من سيرة حسنة وأخلاق حميدة ، وقد كان حليماً وكريماً ، ولذلك لقبه الناس (بالحميد).

وثمة رواية تشير إلى أن الأمير السعيد نصر بن أحمد كان قد جعل ولاية العهد لإسماعيل بن أحمد ، ولكن إسماعيل مات قبل موت نصر.

ولما تسلم الإمارة نوح جعل أبا الفضل محمد بن أحمد وزيراً له وكان يعرف بالحاكم الجليل .

ولم تستقر الأمور في عهد نوح ، بل استمرت الاضطرابات وتعددت الفتن والمحن ، وظل الأمر كذلك حتى وفاته.

فقد أشار النرشخي إلى محاولة عم نوح إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل الساماني الاستيلاء على الحكم ، وجرت بينه وبين نوح حروب انتصر فيها، إلا أن الأمر لم يتم له وبقيت الإمارة بيد نوح(١).

كما اضطر إلى تسليم وزيره إلى قادة الجيش حيث قتلوه، مع أنه كان حكيماً مدبراً لأمور البلاد ، ولكنه أغضب قادة الجيش عندما قتر عليهم عطاءاتهم فحقدوا عليه ، واستغلوا توجه الأمير نوح إلى مقاتلة أبي علي محمد بن محتوج ، وقالوا له إن أبا علي ثار على الأمير بسبب وزيره فإما أن يسلمه لهم ليقتلوه وإما أن ينضمو إلى أبي علي ،فاضطر الأمير إلى تسليم وزيره لهم حيث قتلوه سنة (٣٣٥ هـ)(٢).

---

(١) - النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٩ ،
ابن الأثير : الكامل : ٣٤٥/٨و ٣٧٠- ٣٧١ و ٣٧٨؛
والكرديزي : زين الأخبار :٣٥ .

(٢)- خواندمير : (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢٠١٣.

كذلك فإن أحد قواد جيش أبيه نصر وهو أحمد بن حموية كان قد هرب في بداية حكم نوح خوفاً منه ، ثم فكر بالخروج على السلطان ، ولكنه نصح بألا يفعل فعاد إلى الأمير وتراجع عما كان عليه فولاه نوح مدينة سمرقند(١).

ولكن الوشاة أوعزوا صدر الأمير الحميد على ابن حموية ثانية، وذلك حين شغبت الري على الأمير فافهموه أن ذلك بسبب سوء خلق ابن حمويه ، فعزله الحميد وولى بدلاً عنه إبراهيم بن عمران بن سيمجور ، ثم قبض عليه وقتله .

ثم علم نوح أن ماجرى كان بتدبير الحاكم وأنها وشاية فاستقدمه وقتله أيضاً بعد قتل ابن حموية بشهرين(٢).

وفي خوارزم خرج عبدالله بن إشكام على الأمير الحميد ، وقصد مدينة مرو فأمر نوح بالقبض عليه ،ولكن عبدالله رجع عن فعلته فعفا عنه الأمير .

بعد ذلك أمر نوح أبا علي بن محتاج أن يذهب بجنوده إلى الري للإستيلاء عليها ، وكانت تحت سلطة ركن الدولة بن بويه ، فتوجه أبو علي إلى الري واستطاع الاستيلاء عليها برغم ماحدث لجنوده من اضطراب في أثناء ذلك ولاسيما بعدما ثار منصور ابن قراتكين عليه في الطريق .

ولما استقر أبو علي بن محتاج في الري خشي منه نوح ، فعزله وعين مكانه أخاه ، واستطاع الوالي الجديد أن يسيطر على الأموروسيما بعد أن هادن الأكراد هناك(٣).

وتوجه أبو علي بن محتاج بعد عزله إلى نيسابور ،فاستحال واليهاوقائده بدهائه وحنكته، ثم توجه إلى مرو وانضم إليه عدد كبير من الجنود ، ولكنه مع ذلك طلب الصلح مع الأمير نوح فلم يوافق الأمير إلا بعد أن بعث أبو علي بابنه

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٦/ص ١٥٠- ١٥١ ،
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨/٣٤٤- ٣٤٨ .
ابن خلدون : العبر ٤/٧٠٠- ٧١٢ .
النرشخي : تاريخ بخارى ١٢١ و ١٢٩- ١٣٠ .
والكرديزي : زين الأخبار : ٣٥ .
(٢)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٦/ص ١٥٠- ١٥١ .
(٣)- ابن خلدون : العبر ٤/٧٢٤- ٧٢٥ ومايليها .
النرشخي: تاريخ بخاري : ١٢١ و ١٢٩ - ١٣٠
والكرديزي : زين الأخبار : ٣٥ .

المظفر عبدالله رهينة إلى الأميرنوح ، وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة[١].

وقال ابن الأثير : " وهذا الذي ذكره مؤرخو خراسان في هذه القصة ، أما أهل العراق فقالوا : إن أبا علي لما سار نحو الري استمد ركن الدولة بن بويه أخاه عماد الدولة ، فكتب يشير عليه بالخروج من الري وملكها أبو علي ،وكتب عماد الدولة إلى نوح سراً يبذل له في الري في كل سنة مئة ألف دينار زيادة على ضمان أبي علي ، ويعجل له ضمان سنة ،وسجله عليه[٢]" .

ثم دسّ عماد الدين إلى نوح سراً للقبض على أبي علي وخوفه منه ، فأجابه نوح ،وأرسل إليه بتقرير الضمان . فعاد ركن الدولة إلى الري ، واضطربت خراسان ، فما كان من الأمير نوح إلا أن توجه وقاتل المنشقين وقبض على أبي علي وأخذه أسيراً ، وقيل إنه سمل عينيه .

وإن الناظر في فترة حكم الأمير الحميد نوح يلاحظ أنها لم تستقرله ولم تهدأ الأمور إلاّ سنة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) أي قبل نهاية حكمه بسنتين[٣]. فإن الدولة كانت في ضائقة مالية لم تسمح لها باستخدام القوة دوماً، حتى إنه يرجح أن الحاكم استقرض من الناس خراج سنة مقدما[٤] .

كذلك فإن الأمير كان أحياناً يضطر إلى الرضوخ إلى طلبات قادة جنده حتى وإن كان ذلك يستلزم تسليم وزير وقتله كما مر خبر ابن حموية[٥].

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٦/٢٢٠- ٢٢٤ ،
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٤٥- ٧٤٦ .
(٢)- النرشخي: تاريخ بخارى : ١٢٩ - ١٣٠
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٤٠ ،
الكرديزي : زين الأخبار : ٣٥
الحموي : (ياقوت) الإرشاد : ٣/٩٩- ١٠٠
(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم ٣٤٠.
الثعالبي : يتيمة الدهر : ١٧٦ ،حيث يذكر تضرر عمال ديوان الخراج الذين عمدوا إلى جمعه .
(٤)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٣٤٥ وابن خلدون : العبر ٤/٧٤٤-٧٤٦.
(٥)- ابن خلدون : العبر ٤/٧٤٦- ٧٤٧ .

وقد توفي الأمير الحميد نوح بن نصر بن أحمد السامانى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة (٩٥٤م) فكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة . وقد أنجب خمسة بنين هم : عبد الملك ، ومنصور ، ونصر ، وأحمد ، وعبد العزيز وفي أثناء ملكه أخذ نوح من الناس البيعة للولاية لأبنائه من بعده ، فاستلم الولاية ابنه عبد الملك(١).

* - حكم الرشيد عبد الملك بن نوح بن نصر الساماني :

كان عبد الملك أكبر أولاد نوح بن نصر ، لذلك استلم الولاية بعد أبيه ، ثم عين محمد بن عزيز ، أو (عبدالله عزيز) على رواية دستور الوزراء وزيراً له ، وتشير الروايات إلى أن هذا الوزير كان حكيماً مديراً حتى صار ملاذاً لأصحاب السيف والقلم .

كما أن الأمير الجديد جعل قيادة الجيش لبكر بن مالك الفرغاني وثمة أحداث كبيرة جرت في عهد الأمير عبد الملك بن نوح ، فقد أمر قائد جيشه بالتوجه إلى خراسان فالري سنة (٣٤٤ هـ) لمواجهة ركن الدولة بن بويه ، كما أرسل قوة بقيادة محمد بن ماكان إلى أصفهان واستولى عليها بعد خروج علي بويه بن ركن الدولة منها . ولكن ركن الدولة راسل بكر بن مالك الفرغاني وعقد معه صلحا وأعطاه خلعاً وأموالاً كثيرة في السنة نفسها (٣٤٤هـ)(٢).

ولما استلم الخلافة المطيع ،أعطى ولاية خراسان لأبي علي الصاغاني ،مما أثار حفيظة الأمير عبد الملك الساماني فحاول تجهيز الجيش لمنع ذلك بقيادة بكر مالك ، ولكن شغباً بين الجنود حصل منعه من ذلك ولاسيما أن الأمور بدأ أمرها يؤول إلى قائد الحرس وبدأ أمر عبدالملك يضعف وإن قال عنه المقدسي : " لم يكن في آل سامان مثله "(٣).

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٧ ، والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٣١ ، الكرديزي : زين الأخبار : ٣٦ ،وخواندمير : دستور الوزراء : ٢١٦ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ :١٦٩/٥- ١٧٠ و ٢٨٧- ٢٨٨ ،و ٨:٣٤٤و ٣٧٩ ٠٣٨١ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧٥١/٤- ٧٥٢. النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣١،الكرديزي : زين الأخبار : ٤٤-٤٥ وابن الأثير أيضاً : الكامل : ٣٤٦/٦، ٣٤٨ .

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٧- ٣٣٨ .

وفي عهد عبد الملك استولى ركن الدولة على طبرستان وجرجان بعد أن غادرها وشمكير إلى بلاد الجبل(١).

ويبدو أن أبا علي الصغاني لم يكن حسن السيرة بين الناس، ولم يستطع الإقامة في خراسان ولا العودة إلى الصغانيان على الرغم من تولية الخليفة له (٢)، بينما استطاع قائد الجيش الجديد محمد بن عبد الرزاق الذي تسلم الأمر بعد محمد بن سيمجور أن يضبط الأمور في منطقة ماوراء النهر ويكسب مودة الناس ومحبتهم .

ولاقى قائد الجيش بكر بن مالك مالاقاه أبو علي، فإنه عامل الحرس بقوة وأهمل شأنهم مما أدى إلى مصرعه عام (٩٥٦م) على يد قائد الحرس التبكين(٣).

ولما استلم أبو منصور محمد بن عبد الرزاق ولاية خراسان كان حسن السيرة بين الناس، وجرى تغيير بين الولاة والقادة نتيجة لوشايات الحساد وللأحقاد والمؤامرات، وكان لقائد الحرس البتكين أثر فعال في مجريات الأمور، ويشير ابن الأثير أن الأمير عبد الملك ووزيره حاولا التخلص من العسكر بقيادة البتكين، ولكنهما لم ينجحا في مسعاهما، ولم يجد الأمير مخرجاً من ذلك إلا بتعيين قائد الحرس البتكين والياً على خراسان(٤)،

ولكن المنية عاجلت الأمير عبد الملك فمات فجأة(٥)، مما أثار عدداً من الاضطرابات والفتن، وتعرضت البلاد في غمرة ذلك للحريق والنهب .

ودامت مدة حكم الأمير عبد الملك سبع سنين ونصف السنة، وكانت وفاته سنة (٣٥٠هـ - ٩٦١م) ،وكان يلقب بالرشيد أبي الفوارس .

---

(١)- انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥٠٩/٨ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل ٣٧٩/٨.

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٧٣٩، ويدعوه (حاجب صاحب خراسان .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٣١
الكرديزي : زين الأخبار : ٤٥

(٤)- ابن الأثير : الكامل : ٢٤٦/٦ و ٨/ ٣٩٦
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧٥١/٤- ٧٥٢ ،

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣١ ، الكرديزي : زين الأخبار : ٤٥
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٧

حكم منصور بن نوح الساماني :

اجتمع الأمراء والقادة بعد وفاة الأمير الرشيد عبد الملك ليبحثوا في أمر الأمير الجديد ، واستقر الرأي على توليه منصور بن نوح الإمارة ، وسانده في ذلك أيضا حاجبه ورفيقه منذ أيام صباه (فايق).

وبعد استلام منصور الإمارة اضطربت مكانة قائد الحرس البتكين ، وحصلت جفوة بينه وبين الأمير ، ولم يستطع البتكين التودد إلى الأمير وإزالة الوحشة من نفسه (١).

وقد قوي موقف الأمير منصور بن نوح بعد أن عقد صلحاً مع ركن الدولة بن بويه وتزوج ابنته ، مما جعل آل بويه يساعدون الأمير منصور بن نوح ونشأت علاقة طيبة بين السامانيين والبويهيين ، واستطاع الأمير منصور بعد ذلك الاستيلاء على الديلم وعقد الصلح معهم (٢).

ويبدو أن فترة حكم الأمير منصور كانت أهدأ من فترات متقدميه ومرت بسلام أكثر ، على الرغم من بعض التغييرات التي حصلت في البلاد ، فقد عزل بعض الولاة والقادة ، وتولى غيرهم مناصبهم ، وعلى الرغم أيضا من أن قائد الحرس البتكين أسس مملكة مستقلة لنفسه في غزنة سنة (٩٦٢ م) . على الرغم من كل هذه التغييرات فإن مدة حكم الأمير منصور بن نوح كانت أهدأ من الفترات السابقة ولاسيما بعد استلام الوزارة لمنصور من قبل أبي عبدالله أحمد بن محمد الجيهاني (٤).

ودامت مدة حكم الأمير منصور بن نوح خمس عشرة سنة ، فكانت وفاته سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وقيل سنة ستة وستين وثلاثمئة (٥)، وكان حاكما عادلا منصفا حكيماً ، ولعل هذه الصفات هي التي ساعدت على جعل حكمه أهدأ من سواه .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٩٣٦/٨ ، ابن خلدون : العبر: ٧٥٢/٤ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢- ١٣٣ ، الكرديزي : زين الأخبار : ٤٤-٤٥ ،
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٢ ، ٢١٧ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل :٤٩٥/٨ و ٣٩٦ ،ابن خلدون : العبر ٧٥٤/٤- ٧٥٥ ،
الكرديزي : زين الأخبار :٤٦- ٤٧ ، النرشخي : تاريخ بخارى ٢٣٢-١٣٣ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٨٣٨ .

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٨- ٣٣٩ ،نظام الملك : سياسة نامة ٤٥ ،٥٠٠ .

(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض :١٣-١٤ ،وخواندمير (غياث الدين)دستور الوزراء:٢١٣

(٥)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧٥٥/٤ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٣٣ .

* حكم الأمير نوح بن منصور بن نوح الساماني :

وبعد وفاة الأمير منصور بن نوح تولى الحكم ابنه نوح ، وكان صبيا لايتجاوز الثالثة عشرة من العمر .

وحاول الأمير الجديد أن يستوزر أبا عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني وزير أبيه ،ولكنه اعتذرعن ذلك متعللاً بكبر سنه ،عندها جعل الأمير نوح أبا الحسن العتبي وزيراً له سنة (٩٧٧م) ، كما أسند الحجابة إلى أبي العباس تاسم وهو من موالي أبي الحسن ، وساعدهما في تسيير أمور الدولة أبو الحسن فائق(١).

ومع بداية حكم الأمير نوح نشأ خلاف وانشقاق بين القادة أدى في النهاية إلى مجموعة من الاضطرابات . فقد جرت مشاورات قبل تعيين الوزير العتبي ، وكان لأبي الحسن سيمجور موقف من هذا التعيين ، وأشار إلى أن العتبي على الرغم مما يتمتع به من صفات حسنة إلا أنه لايزال يافعاً غير قادر على إدارة الأمور ولكن الأمير نوحا أصر على تعيين العتبي الذي أثبت جدارة في إدارة الأمور ، وكانت له أياد بيض في تسيير أمور السلطنة ، وقد حاول مصالحة كبار رجال الدولة والجيش ومن بينهم أبو الحسن سيمجور(٢).

ومع ذلك فقد استمر الخلاف بين العتبي وبين سيمجور حاكم خراسان مما اضطر الأمير إلى عزل سيمجور وتولية أبي العباس تاش حسام الدولة ولاية خراسان بدلاً عنه .

وقد اضطر الأمير نوح إلى خوض عدد من المعارك والحروب في أثناء حكمه ضد المنشقين والمتمردين عليه لتثبيت دعائم حكمه واستقرارها.

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٤ .
الكرديزي : زين الأخبار : ١ص- ٥٢ .
نظام الملك : سياسة نامة : ص٤٠ .

(٢)- خواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء: ٢١٤ .

فأرسل القائد أبا الحسن (فائق) لحرب البويهيين ، كما وجه إبن اخته الحسين بن طاهر إلى محاربة خلف بن أحمد الليثي المتمرد في سجستان فذهب وحاصره في قلعة أرك سبع سنين دون أن يقضي عليه ، مما أنقص من هيبة الدولة السامانية .

ولذلك قام الأمير نوح بتولية أبي العباس تاش ، وأمره بالتوجه إلى سجستان التي أصبحت بيد ابن سيجمور[1]،وتمرد على طاعة الأمير ثم عاد ورجع عن ذلك .

وأثناء حكم أبي العباس حسام الدولة لجأ إليه فخر الدولة الديلمي وشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وكانا قد فرا من عضد الدولة بعد أن حاولا الإستيلاء على حكمه فأخفقا ، وتم الحكم لعضد الدولة على جرجان وطبرستان سنة (٣٧٣ هـ).

وقد طلب فخر الدولة وقابوس من الأمير نوح مساعدتهما في استرجاع حكم جرجان وطبرستان من مؤيد الدولة البويهي ،فأمر واليه أبا العباس تاش أن يسير معهما لتلبية طلبهما ، فتوجه في جيش وحاصر مؤيد الدولة شهرين،ولم يفلح في هزيمته ، ولاسيما أن مؤيد الدولة اتفق سراً مع قائد نوح (فائق) وبلغ الخبر نوح بن نصر في بخارى ، فاستنفر الجنود من كل مكان، وأمر وزيره العتبي بالتوجه لمساندة حسام الدولة أبي العباس في حصاره ، وتم النصر على يديه فأغدق عليه العطاءات والمنح[2]،وعلت مكانته في الدولة،مما أوغر صدور حاسديه عليه ، وأخذوا يدبرون له المكائد للقضاء عليه .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦/٣٧٠- ٣٧١ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤/٧٥٦- ٧٥٨ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٤ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١ص- ٥٢ .

(٢)- ابن الاثير : الكامل في التاريخ :٦/٣٧٠
ابن خلدون : العبر ٤/٧٥٧- ٧٥٨ .
النرشخي : تاريخ بخارى ١٢٩، ١٣٤ .
الكرديزي : زين الأخبار : ٥٢ص-٥٣ .
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٤ .

فقد اتصل أبو الحسن سيمجور المعزول عن حكم خراسان بالقائد فائق واتفق معه على القضاء على الوزير العتبي ، وجهز فائق عدداً من غلمانه لقتل الوزير ، وبلغ الخبر العتبي الذي عرض الأمر فوراً على الأمير نوح فخصص له عدداً من حرسه الخاص لحمايته ، ولكن ذلك لم يجد نفعا ، واستطاع غلمانه فائق اغتيال الوزير وهو متوجه إلى قصر الامارة.

واستولى الحزن على الجميع بعد انتشار خبر مقتل الوزير ، وقام الأمير نوح باستدعاء واليه أبي العباس تاش إلى بخارى لتدبير شؤون الدولة ،فجاء أبو العباس تاركاً نيسابور ،وأخذ يقتل كل من يقبض عليه ممن شارك في قتل الوزير .

وأثناء وجود أبي العباس في بخارى ثم اتفاق بينه وبين سيمجور وفائق على العمل فيما بينهم ليستولي فائق على بلخ وسيمجور على هراة ، وأبو العباس له قيادة الجيش ، ولكن جيوش البويهيين كانت تتقدم نحو خراسان ولايقف أمامهم أحد ، غير أن وفاة عضد الدولة البويهي أوقفت زحف جيوشهم على مناطق خراسان .

ويبدو أن الوزير أبا العباس تاش كان يسعى إلى الانفصال عن الأمير نوح والاستقلال بحكم ولاية ، ولذلك لم يترك فرصة تسنح له لتحقيق ذلك تمر دون أن يغتنمها ، فهو تارة يرضي الأمير ليبقيه في مركزه ، وتارة يتعاطف مع البويهيين ويتفق مع فخر الدولة ويستعين به على الجيوش الموجهة لتأديبه من قبل الأمير، وانتهى أمره بالالتحاق بفخر الدولة البويهي الذي أكرمه وأعطاه جرجان ،وطبرستان واستر أباذ ، ودهستان ،إقطاعاً له ، ثم توجه إلى الري ، وفي نيته الوصول إلى خراسان ، ولكن المنية عاجلته وحالت دون تحقيق ذلك ، فمات بجرجان سنة (٣٧٧ هـ) .

واغتنم أهل جرجان وفاة أبي العباس ، وكانوا يحقدون عليه وعلى أتباعه فتمردوا على جماعته ، وقاتلوهم حتى طلبوا الامان ، ثم تفرقوا في البلاد وتوجه قسم منهم إلى خراسان(١)، وكان عليها أبو الحسن سيجمور الذي توفي فجأة

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ :٦/٧٥٩- ٧٦٢ .
ابن خلدون : العبر: ٧٥٨/٤ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٣٤ .

فقام مقامه ابنه أبو علي ، وكان أكثر استعداداً وطموحاً من أبية ، فاستطاع أن يكسب رضى الجميع وثقتهم ، وأطاعه جميع إخوته وفي مقدمتهم أخوه الكبير أبو القاسم .

وقام أبو علي بمكاتبة الأمير نوح بن منصور ،وطلب منه أن يعقد له الولاية كما كانت لأبيه ، فأجابه نوح ظاهراً ، ولكنه كتب لفائق بولاية خراسان، ولما علم بذلك أبو علي ، توجه للقضاء على فائق ، فأوقع به بين هراة وبوشنج، وانهزم فائق إلى مرو الروذ ، وعندما وصل العهد من الأمير نوح بتوليته نيسابور وهراة وقهستان وقيادة الجيوش ، ولقب أبو علي بعماد الدولة ، ثم زاد الأمير من عطائه عليه فولاه سائر خراسان(١).

وقد استقر أبو علي في حكم ولايته ، وجعل من نفسه حاكماً مطلقاً ،واتخذ لقب (أمير الأمراء المؤيد من السماء) ، ثم وضع يده على خراج الدولة بحجة تجهيز الجيش وتأمين احتياجاته ، ثم قام بحملة على بخارى لم تكلل بالنجاح ، ولعل هذا الأمر هو الذي دعاه إلى الاستنجاد بملك الترك بغراخان وتزيين الأمر في عينيه ليغزو بخارى ، ويستولى على المنطقة(٢).

ولما توجهت جيوش الترك نحو بخارى ، خرج الأمير نوح إلى آمل ،واستقر فيها ، ثم كتب إلى فائق وأبي علي بن سيجمور مستنجداً بهما ومستعيناً على الأتراك ، فخذلاه ولم ينجداه .

إلا أن حملة بغراخان على بخارى لم يقيض لها النجاح، إذ مرض قائد الحملة بغراخان في طريقه إلى بخارى ،فأوقف الحملة وعاد إلى تركستان حيث وافته المنية في طريق عودته ، فرجع نوح إلى بخارى ،واستبشر أهلها به خيراً .

---

(١)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤/ ٧٦٢- ٧٦٣ .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٧- ١٤٨ ، ١٥٧ .
الكرديزي : زين الأخبار : ٥ م .
ومبرخواند : تاريخ السامانيين : ١٧٠ .

وعلى الرغم من أن أبا علي أظهر ندمه في البداية على عدم نصرته للأمير نوح ، إلا أنه اتفق مع فائق على حربه والقضاء عليه ، ذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمئة . وبلغ الخبر نوحاً ، فاستنجد بالأمير سبكتكين وابنه محمود ، وكان سبكتكين متوجهاً لحرب في الهند ، فعاد إلى غزنة وجمع جيشه وتوجه لنصرة الأمير نوح ، وفي هذه الإثناء طلب فائق المعونة من فخر الدولة بن بويه ووزيره الصاحب بن عباد ،فأجابوهما لذلك.

واجتمعت جيوش سبكتكين بجيوش نوح في خراسان ، وتوجهوا لقتال فائق وأبي علي ، والتقى الجيشان في نواحي هراة ، وأسفرت المعارك عن هزيمة فائق وجيشه ، وبسط نوح سيطرته على نيسابور وجرجان ، فوضع على قيادة جيشه الأمير محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ، ولقب أباه ناصر الدين ،ثم عاد إلى بخارى تاركاً محمود بن سبكتبكين بنيسابور وسبكتكين بهراة ، وذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (١).

ويبدو أن أطماع فائق وأبي علي بن سيجمور لم تنته بهزيمتهما ، لذلك اغتنما فرصة عودة سبكتكين إلى بلاده ، وانقضا من جديد على الأمير محمود قبل وصول المدد إليه ، وباغته جيشهم في نيسابور وانتصرا عليه .

وكاتب أبو علي الأمير نوح طالباً منه العفو ، فقبل ذلك منه شريطة أن يفارق فائقاً ، ففعل ثم استقدمه إلى بخارى وهناك أودعه السجن ، إلا أن أبا علي فر من سجنه والتحق بفخر الدولة بن بويه حيث أكرمه وعامله معاملة الملوك وظل في كنفه حتى مات .

أما فائق فإنه قصد ملك الترك ،وحرضه على احتلال بخارى ، على أن يجعل له حكم سمرقند ، ولكن المنية عاجلت الأمير نوحا ومات ببخارى قبل أن يتم ذلك سنة سبع وثمانين وثلاثمئة (٩٩٧م).

---

(١)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧٦٣/٤- ٧٦٥ ، النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٦- ١٤٨ ، والكرديزي : زين الأخبار : ٥٥ و ٦٤- ٦٥ .

وكان حكم الأمير نوح بداية النهاية لحكم السامانيين في بخارى وماوراء النهر ، وبموته انتقض ملك بني سامان وسارت دولتهم نحو الانحلال والزوال ، وعمت الفوضى والاضطرابات جميع أنحاء الدولة .

وقام بالحكم بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح ، وساعده في إدارة شؤون البلاد[1] بكتوزن ، وقام بأعباء الوزارة أبو المظفر محمد بن ابراهيم وكان يعرف بصفاء الطبع ونقاء الذهن ، وقيل إنه تولى الوزارة بناء على طلب الأمير ناصر الدين سبكتكين ، ولذلك عندما توفي الأمير نوح ، واستلم بعده ابنه منصور ، طلب الوزير[2] إعفاءه من منصبه ، ثم توجه إلى جوزجان فنيسابور حيث استقر فيه حتى وفاته ، وأمضى فيهاثلاثين عاما يقرأ ويتعلم ويؤلف الرسائل[3] .

وسلفت الإشارة إلى أن فائقاً أغرى ملك الترك بالسيطرة على بخارى ووجد الفرصة سانحة بعد أن بلغه خبر وفاة نوح ، وكان فائق وقتها قدعاد إلى بخارى والتجأ إلى الأمير منصور .

وفي الوقت نفسه كان سبكتكين قد توفي ووقعت الفتنة بين ولديه ، واستغل بكتوزن هذه الاضطرابات واستولى على خراسان.

ضمن هذه الحالة المتردية وصلت جيوش أيلك خان لاحتلال بخارى ،فاستبسل منصور في الدفاع عنها ، ورد جيوش الأيلك خانيه على أعقابهم.

ومن جهة أخرى تحرك أبو علي بن سيجمور من جديد للسيطرة على خراسان، فذهب بجيوش فخر الدولة بن بويه لمقاتلة بكتوزن واسترداد خراسان منه ولكنه هزم من جديد وعاد خائباً إلى قهستان .

---

(١)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧٦٣/٤- ٧٦٥ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٦- ١٤٨ .
والكرديزي : زين الأخبار ٦٤- ٦٦ .

(٢)- خواندمير (غياث الدين) دستور الوزراء : ٢١٧ .

(٣)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧٦٥/٤ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٧- ١٤٩ .
والكرديزي : زين الأخبار : ٦٦ .

وعلى الرغم من محبة الأمير أبي الحارث منصور بن نوح لبكتوزون وملاطفته له ،حتى أنه لقبه (بستان الدولة) فإن بكتوزون لم يحفظ ود صاحبه ولم يرع حقه ، لذلك تآمر مع فائق عليه وقبضا على الأمير منصور في الطريق ، وسملا عينيه سنة تسع وثمانين وثلاثمئة (٩٩٨م).

وبذلك انتقلت الولاية إلى أخيه عبد الملك بن نوح ، ولكن مدة حكمه لم تزد عن ثمانية أشهر إلا سبعة عشر يوما ، وفي إثناء حكم عبد الملك قرر سيف الدولة محمود بن سبكتكين أن يعود إلى بخاري للانتقام من بكتوزون وفائق اللذين أساءا إلى ولي نعمته الأمير منصور[1].

فجاء سيف الدولة بجيوشه ، واستولى على خراسان ، وفر فائق وبكتوزون إلى ماوراء النهر ، ثم تحالفا مع إيلك خان من جديد ، وتوجهوا مع طاهر لحرب عبد الملك بن نوح ، فاستولوا على ماوراء النهر سنة تسع وثمانين وثلاثمئة (٩٩٨م) ، ولكن بكتوزون انهزم من المعركة ، وتوفي فائق ، ودخل أبو الحسن نصر بفراخان إلى بخاري ،ولما جاءه أولاد عبد الملك للسلام عليه ، قيدهم واستولى على مالديهم من أموال . ونزل بقصر الإمارة ،وحاول الأمير عبد الملك التخفي والفرار ، إلا أنهم قبضوا عليه وأودعوه السجن حيث مات فيه.

وبوفاة الأمير عبد الملك بن نوح الساماني في سجنه انتهت الدولة السامانية ، وانقضى عهدها ،ومجدها ، بعد أن بلغت من القوة والعظمة مبلغاً كبيراً واستطاعت هذه الدولة أن توطد ملكها وتحافظ عليه على الرغم من جميع الفتن والاضطرابات التي حدثت ، وعلى الرغم من غدر عدد من المقربين ، وخيانة بعضهم واستطاعت هذه الدولة أن تتصدى لجميع المنشقين ، وأن تواجه جميع الطامعين

---

(١) - ابن خلدون : العبر ٤/٧٦٥- ٧٦٦ .

بها من الخارج ، ودامت مئة وسنتين وستة أشهر وعشرين يوما[1] ، وتعاقب على حكمها تسعة أمراء من بني سامان اتصفوا في الغالب بالحزم والقوة والحكمة وتقريب أهل العلم والعلماء ومحاولة إقامة العدل بين الناس ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وقد حاولت الحديث عن فترات حكمهم بشيء من التفصيل لتوضيح مجريات الأمور التي كانت ترافق هذا الحكم في داخل البلاد وخارجها ، ولأن هذه الأحداث توضح مكانة كل أمير في زمنه من خلال تصديه لذلك وهؤلاء الأمراء هم :

١- إسماعيل بن احمد الساماني
٢- أحمد بن اسماعيل
٣- نصر بن احمد
٤- نوح بن نصر
٥- عبد الملك بن نوح
٦- منصور بن نوح بن نصر
٧- نوح بن منصور بن نوح
٨- منصور بن نوح بن منصور
٩- عبد الملك بن نوح بن منصور.

---

(١)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤ / ٣٦٥ .
والنرشخي : تاريخ بخارى ١٤٧ - ١٤٩.
والكرديزي : زين الأخبار : ٦٦ .
وخواندمير (غياث الدين) دستور الوزراء : ٢١٢ .

" الفصل الرابع "

مراحل التاريخ السياسي للدولة السامانية

من بداية الاستقلال وحتى السقوط

سلف الحديث في الفصل المتقدم عن أصل الأسرة السامانية وأنها تنتمي إلى القائد الساماني بهرام جوبين . ثم استمرت هذه السلالة حتى بداية الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى خراسان وماوراء النهر ، وكان لهذه الأسرة موقف من الفتوحات ، إذ اعتنقت الدين الجديد ودافعت عنه وشاركت في فتوحاته وحظيت على رضى الخلفاء الأمويين ثم العباسيين .

وقد ظهرت بعض الدويلات في شرق الخلافة العربية الإسلامية إلى جانب دولة السامانيين كالطاهريين ، والصفاريين ، وتشابكت الأحداث أحيانا مع هذه الدويلات ولذلك لايستطيع الباحث أن يتحدث عن التاريخ السياسي للسامانيين بشكل منفصل عن هاتين الدويلتين ، ومن هنا فقد نتعرض في البحث أحياناً إلى شيء من التفصيل حول دولة الطاهريين أو الصفاريين بما يخدم الحديث عن التاريخ السياسي للدولة السامانية .

وقد أشرنا من قبل إلى أن جد الأسرة السامانية (سامان خداة) كان حاكماً على بلخ[1]،واعتنق الإسلام وحظي بحماية الأمير أسد بن عبد القسري وسمى ابنه (أسداً) تيمناً بأسم الأمير المسلم .

وأنجب أسد أربعة بنين ، هم نوح ،وأحمد ،ويحيى ،والياس ، ولما قام رافع بن الليث بتمرده على الخلافة العباسية في عهد هارون الرشيد ، سنة (١٨٨ هـ/ ٨٠٣ م) استعان الخليفة بأبناء أسد للقضاء على حركة رافع وتمرده فكان لهم مشاركة فعالة في القضاء على رافع ، ولذلك كسبوا ودّ الخليفة هارون وابنه المأمون الذي كان مكلفاً من الخليفة بمهمة القضاء على رافع ولذلك قربهم إليه والي خراسان غسان بن عباد .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٨٦ و ١٣٧ ،وابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥/٥٩٠.
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٩٩/٤ و ٧٠٢ و ٧١٣ .

ولما استلم الخلافة المأمون أوعز إلى واليه على خراسان غسان بن عباد أن يولي أبناء أسد على مناطق ماوراء النهر جزاء لما قدموه له من خدمات ، فولى نوح بن أسد على سمرقند ، وأحمد بن أسد على فرغانة ،ويحيى بن أسد على الشاش ،والياس بن أسد على هراة ، وذلك سنة اثنتين ومئتين (٨١٧م).

وكان المأمون قد جعل طاهر بن الحسين قائداً لقواته بعد استلامه الخلافة وولاه شرطة بغداد[١]، وإليه تنسب الدولة الطاهرية ، وهو يعود بأصله إلى زريق مولى أبي محمد - طلحة بن عبدالله الخزاعي[٢]. ثم إن المأمون عزل والي خراسان غسان بن عباد ، وأرسل طاهر بن الحسين بدلاً منه سنة خمس ومئتين للهجرة (٨٢١م) ، فلما استلم طاهر ولاية خراسان أقر أبناء أسد على ولاياتهم وخلع على نوح بن أسد وهو أكبر أخوته ، العطايا وظل على ولايته حتى توفي فخلفه أخوه أحمد بن أسد على سمرقند ، وكان عالماً ورعاً، ثم خلفه بعد وفاته ابنه نصر بن أحمد الذي أضاف الخليفة الواثق إلى ولايته أعمال ماوراء النهر كلها سنة إحدى وخمسين ومئتين للهجرة (٨٦٥م)[٣].

ويبدو أن هراة خرجت من حكم السامانيين بعد وفاة الياس سنة (٢٤٢هـ) ، ويؤيد هذا القول أن ابن الأثير يشير إلى أن محمد بن أوس الأنباري كان والي طاهربن الحسين على هراة ، وجرت بينه وبين يعقوب بن الليث حرب هرب بعدها تاركاً المدينة ليعقوب الذي ضم إليها أيضا مدينة بوشنج ، وأنشأ فيها الدولة الصفارية[٤].

---

(١)- أبن الأثير : الكامل في التاريخ : ١٩٦/٥ ،

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٢٩٣/٦ ،
أبن الأثير : الكامل في التاريخ ١٩٦/٥- ١٩٧ ،
المسعودي : مروج الذهب : ٢٣٦/٢ ،
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٩٩/٤ ،

(٣)- ابن خلدون : العبروديوان المبتدأ والخبر : ٧٠٢/٤- ٧٠٣ ،
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٥-١٠٦ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٣٨/٩- ٣٣٩ ،

(٤)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٣٣٧/٥- ٣٣٨ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر :٧٠٦/٤ - ٧٠٧ .
ابن خرداذبة :المسالك والممالك ٢٧ - ٢٨ .
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠- ١٧١ .

أما في باقي بلاد ماوراء النهر فقد أصبح ملك السامانيين فيها وراثيا ، وآل أمر الولاية إلى أحمد بن أسد آخر إخوته وفاة ، وقد جعل السلطة وراثة لأبنائه من بعده (١).

وعندما يريد الباحث أن يقف على الأوضاع الداخلية للدولة السامانية فإن المصادر لاتسعفه بذلك ،ولايكاد يرد فيها إلا نتف من الأحداث وبعض الإشارات إلى الفتن والزلازل ولذلك سنحاول تلمس الأوضاع الداخلية من خلال هذا الذي وصل إلينا.

فقد استولى يعقوب بن الليث على خراسان قهراً، وحاول رافع بن هرثمة محاربته ، ولكنه لم يستطع مقاومته وانتشر الخراب في بخارى بسبب تلك الفتن(٢).

وظلت بلاد ماوراء النهر تضم شيئا فشيئا إلى حكم السامانيين ، فبعد وفاة الأمير يحيى (٨٥٥م) ضمت بلاد الشاش إلى أحمد ، وبعده أصبح نصر حاكما على سمرقند ، وظلت بخارى خارجة عن حكم السامانيين حتى عام (٨٧٤م) حيث ضمها الخليفة الواثق بالله إلى حكم الأمير نصر(٣).

وإلى هذه الفترة نفسها يرجع انتشار الإسلام في جميع مناطق بلاد ماوراء النهر ، فقد قام بذلك الطاهريون والسامانيون معاً بدعم من الخلفاء العباسية في بغداد ، وعلى الرغم من الثورات التي ظهرت ضد الحكم العربي فإن الأمور انتهت بانتشار الإسلام وتثبيت دعائم الخلافة العباسية هناك ولاسيما في أثناء ولاية الأمير غسان بن عباد على خراسان(٢١٩هـ/٨٢١م).

وفي أيام الطاهريين كان نصر والياً على سمرقند ، وقد أرسل أخاه اسماعيل إلى بخارى بعد ظهور الفتنة فيها وبطلب من فقيه بخارى أبي عبدالله بن السيد ، ولما توجه إسماعيل إلى بخارى ، وفي كرمينية قبل

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٦ .
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ٢٧ - ٢٨ .
ابن الأثير : الكامل : ٦/٣-٤ .
وابن خلدون : العبر : ٤/٧١٦- ٧١٧ .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٨ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١٦ ، ١٩ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ١٠٦ ، ١٠٨- ١٢٩ .
والاصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠ .

وصوله إلى بخارى أُرسل إلى واليها الحسين بن محمد الخوارجي ،واتفق معه على أن يكون إسماعيل أميراً لبخارى والحسين خليفة له ، وتم ذلك دون قتال ،وابتهج الناس لهذا الأمر ودعوا لإسماعيل على المنابر قبل دخوله بخارى بعام،وأُسقطوا اسم يعقوب بن الليث ، وذلك سنة ستين ومئتين للهجرة (٨٧٤م).

وبقي إسماعيل مدة في كرمينية حيث توجه إليه الفقيه أبو عبدالله السيد (أبو حفص) مع عدد من أشراف بخارى لاستقباله ،وعندها سُرَّ إسماعيل ولاسيما بعد أن عرف مدى سلطة هذا الفقيه على أهل بخارى ومدى طاعتهم لهم ، فدخل معهم بخارى ، وأكرم أهلها ،وأغدق عليهم الأموال ،ثم ألقى القبض على واليها الحسين وأودعه السجن ، وخطب الخطباء على المنابر لنصر وأخيه إسماعيل ، وخلعوا يعقوب بن الليث كما مر[١].

وأقام الأمير إسماعيل مدة في بخارى والياً عليها من قبل أخيه نصر بيد أن جفوة حصلت بين الأخوين دامت ثلاثة عشر شهراً ، وذلك أن الأمير إسماعيل ترك بخارى وتوجه نحو سمرقند دون أن يستأذن أخاه نصراً ، وخلف وراءه على بخارى ابن أخيه يحيى بن أحمد بن أسد ، ولم يعلم الأمير نصر بما فعله أخوه إسماعيل إلا بعد أن وصل إلى (ربنجن) إحدى قرى سمرقند ، فامتعض نصر من تصرف أخيه ، ولذلك استقبله بفتور شديد ، وظهرت الجفوة بين الأخوين حتى جاء ابن عمه محمد ابن نوح وعبد الجبار بن حمزة واستشفعا لدى الأمير نصر ،فرضي وزالت الجفوة وخرج هو ووجوه سمرقند لوداع أخيه إسماعيل[٢].

واستمرت العلاقة طيبة بين الأخوين إلى أن دخل الوشاة بينهما من جديد ، وسعوا للإيقاع بينهما ، فعادت الجفوة من جديد ، وتفاقم الأمر حتى وصل إلى الصدام والحرب سنة (٢٧٥هـ /٨٨٥م) إذ توجه الأمير نصر مع جيشه لمحاربة أخيه إسماعيل ، ولكن إسماعيل ترك بخارى وتوجه إلى بيكند ،وكأنه يشعر أخاه أنه لايريد قتاله ، فدخل نصر بخارى ، ثم استمر متوجها للقاء أخيه ، عندها

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٩ .
ياقوت : معجم البلدان : ٣٥٨/٤ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٠ .

نشبت معركة كانت الغلبة فيها لإسماعيل ، وفر قواد جيش نصر وبقي مع عدد قليل من حرسه يقاتل وقد أحاط به جنود إسماعيل ، ولما رآه إسماعيل أمر جنوده بالابتعاد عن أخيه ، ثم ترجل عن جواده ، وقَبَّل ركاب الأمير نصر ، ثم خاطبه قائلا : " أيها الأمير لقد كان حكم الله .. أن أخرجني عليك ، .. أنا مقر بأني أخطأت والذنب كله ذنبي ،وأنت أولى بفضل التجاوز عن هذا الجرم الكبير مني والعفو عني [1] " . ثم نصح إسماعيل أخاه نصراً بأن يعود إلى سمرقند قبل انتشار الأخبار فيها خشية انقلاب الناس عليه ، ففعل وأقر أخاه إسماعيل على ولاية بخارى .

وقد شهدت هذه الفترة كثيراً من الثورات الشيعية [2] التي شغلت الطاهريين والسامانيين ، ويبدو أن الشيعة لم يجدوا في الخلافة العباسية التي انتصرت بسيوفهم ماكانوا يؤملونه منها ،ورأوا أن العباسيين أخلفوا معهم في عهودهم وسعوا لتثبيت خلافتهم بغض النظر عن تنفيذ رغبات الشيعة مما أغضب الشيعة وجعلهم يثورون على الخلافة العباسية ، ووجدوا في بلاد ماوراء النهر مجالاً طيباً لثورتهم لبعد المنطقة عن مركز الخلافة ودار قوتها بغداد ،ولأن جيوش الخلافة العباسية الأولى انطلقت من هذه المناطق بقيادة أبي مسلم الخراساني .

وكان أشد ثورات الشيعة حركة الخوارج بسجستان وحركة الشيعة بطبرستان . وقد استطاعت حركة الشيعة أن تستقطب كثيراً من عامة الناس الذين كانوا يسمون أنفسهم المجاهدين والمطوعة ، والذين أقضوا مضجع الطاهريين ثم السامانيين [1].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٥.

(٢)- الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠ - ١٧٣ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٩٦/٦ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٧١٦/٤- ٧١٧ .

والكرديزي : زين الأخبار :١٦ .

وفيلفرد ماديلونغ : أخبار أئمة الزيدية ١٩- ٢٠ - ٢١ ، ٢٢ .

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٧٦ .

والإصطخري : المسالك والممالك : ٢٩١ .

وكان لحركة الشيعة قوة ونفوذ ، وخاصة في المدن الكبرى مثل سمرقند ولم يستطع اضطهاد الطاهريين والسامانيين أن يوقف ثورتهم التي انبثق عنها دولة الصفاريين التي قضت على الطاهريين ، واستولت على خراسان ، وهددت الخلافة ببغداد ، ولم يقف الصفاريون عند هذا الحد بل حاولوا بسط سلطتهم على ماوراء النهر بقيادة مؤسس الدولة الصفارية يعقوب بن الليث [(١)].

ولابد من الحديث بشيء من التفصيل عن الدولة الصفارية التي قامت في زمن السامانيين ، لما كان لها من أثر سياسي وعسكري مهم مع دولة السامانيين .

فقد كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو بن الليث يعملان (بالصفر٪ النحاس) بسجستان ، ويظهران الزهد والتقشف . وقام رجل بسجستان وتطوع لقتال الخوارج واسمه (صالح المطوعي) ، فانضم إليه يعقوب وقاتل معه ، فجعله صالح خليفة له . ولما مات صالح قام مقامه بأمر المطوعه رجل من أهل بست هو صالح بن نصر الكناني ،وظل يعقوب معه كما كان مع سلفه ، وقد استطاع صالح أن يستولي على سجستان التي كانت تحت حكم الطاهريين .

وقد استطاع والي خراسان أن يحتال على أحد قادة الثورة (درهم بن الحسين) وأن يحبسه ويرسله إلى الخليفة في بغداد ، الذي أطلقه بعد فترة وجعله في خدمته .

وعظم أمر يعقوب بن الليث بعد ذهاب درهم بن الحسين ، حيث تولى أمر المتطوعة بعده ، وكانوا يرون فيه حسن تدبير وسياسة ومقدرة على قيادتهم ، ولذلك قام يعقوب بضبط البلاد ،وتأمين الطرق ،ومحاربة اللصوص والمتمردين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالتف الناس حوله وأطاعوه ، وقد

---

(١)- الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ١٧٠- ١٧١،
ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥/٣٣٧- ٣٣٨،
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢-١٣٣ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤/٦٨٦ - ٦٨٧ ،
نظام الملك : سياسة نامة : ٤٥-٤٦ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١٦ .

أظهر التمسك بطاعة الخليفة في بغداد ، وكاتبه ، وظهر بمظهر المدافع عن الخليفة والمنفذ لأوامره ، فملك سجستان ،ولما اشتدت قوته توجه نحو أمير خراسان وهو من الموالين للخليفة ، وسار من سجستان إلى هراة فأخذها عنوةً من أمير الطاهريين عليها محمد بن أوس الأنباري ، فملكها وملك بوشنج معها وصارت المدينتان تحت سيطرته ، وعظم أمر يعقوب(١).

وقد هابه أمير خراسان وغيره من الولاة ، ولم يقف طموح يعقوب عند هذا الحد بل أخذ يفكر بمد سلطانه على جميع بلاد ماوراء النهر ،وهنا اصطدم طموح يعقوب بالأمير إسماعيل بن أحمد السامانى أعظم أمراء الدولة السامانية .

فقد طمع يعقوب بالاستيلاء على كرمان وفارس ، وكان علي بن الحسين بن شبل والياً على فارس آنذاك ، وطلب ولاية كرمان من المعتمد فأعطاه إياها وقصد المعتمد بذلك أن يضرب مصالح علي بن الحسين بأطماع يعقوب الصفار ، ويختبر طاعة كل منهما له .

وتوجه يعقوب إلى كرمان ، وأقام قربها شهرين يترقب خروج طوق بن مغلس والي كرمان من قبل علي بن الحسين إليه ، فلم يحصل ذلك ، وارتحل يعقوب إلى سجستان ، فاطمأن طوق وظن أن الحرب انتهت(٢).

ومال طوق إلى اللهو والعبث ، ولكن يعقوب عاد إليه بجيشه ، وباغته وجرت معركة شديدة بين الجيشيين ، اسفرت عن هزيمة جيش طوق الذي وقع في الأسر ، وامتلك يعقوب كرمان .

---

(١)- الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠-١٧١ .
النرشخي : تاريخ بخارى ١١٧-١١٨ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٢٨/٥ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٨٦/٤- ٦٨٧ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٤٥-٤٦ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١٦-١٧ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٢/٨ - ٣٨٤ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٨-١٣٩ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٣٤٠/٥ .
وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٦٨٧/٤- ٦٨٨ .

ولما بلغ الخبر إلى علي بن الحسين جهز جيشا كبيراً وانطلق لمحاربة يعقوب ولكن يعقوب وجيشه كانوا على أتم استعداد ، فتواجه الجيشان قرب شيراز ،ونشبت معركة كبيرة انتصر فيها يعقوب وجيشه ، وألقى القبض على علي بن الحسين وسجنه ، ثم أخذ من أمواله الكثير ، ودخل بجيشه إلى شيراز ، وأعطى أهلها الأمان ، وقيل إن علي بن الحسين عذب في سجنه كثيراً ، ثم إن يعقوب الصفار أرسل إلى الخليفة في بغداد يُعلن له ولاءه وطاعته ، ويقدم له هدايا النصر ، وعاد إلى سجستان ومعه علي وطوق . وما أن عاد يعقوب إلى سجستان حتى أرسل الخليفة عماله إليها.[1]

ومن الأحداث التي جرت في زمن السامانيين ماكان من أمر الأطراب الذي جرى نتيجة سوء استخدام السلطة التي أعطيت إلى حفيد عبدالله الطاهري محمد ابن طاهر[2] الذي كان والياً لطبرستان وبعض المناطق الأخرى مابين(٨٥١- ٨٦٧م) إذ أوكل الأمور إلى نصراني يدعى جابر بن هارون ، ومال هو إلى اللهو والمجون[3]، فتعسف جابر بالسلطة وأساء إلى الناس فقامت ثورة علوية عليه قادها الحسن بن زيد العلوي ،واستولى على السلطة وحكمها حتى سنة (٨٨٤م) إضافة إلى همذان والري . ولكن الخليفة أرسل جيشا حارب الحسن بن زيد وانتصر عليه واستلم ولاية طبرستان منه[4].

وفي سنة (٣٠١هـ/٩١٣- ٩١٤م) اندلعت ثورة ضد السامانيين قادها الحسن بن علي الأطروش العلوي ،وكان زيديا ، فاستولى على طبرستان وأخرجها من حكم السامانيين ونشر الإسلام بين الديلم واستمال الناس إليه[5].

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٤٧٦/٨- ٤٧٧ ومابعدها.
ابن الأثير : الكامل في التاريخ :٣٤٢/٥.
وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٨٧/٤- ٦٨٩ .

(٢)- اليعقوبي : البلدان : ٣٠٧ .

(٣)- اليعقوبي : التاريخ ٦٠٥/٢،وفليفردماديلونغ : أخبار أئمة الزيدية ١٩-٢٠ .

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٢٧١/٩- ٢٧٣ و ٤٠٦/٨- ٤٠٨ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٤٥/٥ و ٣٦٣ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧٢٤/٤ - ٧٢٥ .
وفليفرد ماديلونغ : أخبار أئمة الزيدية ٢٠-٢١،٧٢،٨٥،٨٦،٩١،١٢٢،١٢٧،١٣٠،١٣٢، ٢١٠، ٢٢٠ .

(٥)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦١/٨-٦٢ .

وتقدم الحديث عن أعمال يعقوب بن الليث وقضائه على عدد من أمراء الطاهريين واستقراره أخيراً في سجستان(١).

وكان عبدالله السنجري ينازع يعقوب بن الليث على ولاية سجستان ، وحاول استخلاصها منه ،فأخفق ، وهرب إلى محمد بن طاهر ،وكان يعقوب يزداد قوةً ونفوذاً فلحقه ، وطالب محمد بن طاهر بتسليم السنجري إليه ،فرفض مما حمل يعقوب بن الليث على المسير إليه في نيسابور ، ولما اقترب من المدينة توسط عدد من الفقهاء بين يعقوب وابن طاهر ،وعقدوا صلحاً بينهما ،وولى محمد بن طاهر يعقوب بن الليث على الطبسين وقهستان ، ولكن هذا لم يمنع يعقوب من الاستمرار بطلب السنجري الذي حصل على حماية محمد بن طاهر ، ولما استمر ابن طاهر بحماية السنجري دخل يعقوب نيسابور بجيشه وملكها سنة تسع وخمسين ومئتين للهجرة ، وقيل سنة (٢٥٧هـ)، ثم أرسل إلى الخليفة المعتمد شارحاً له ماتم . وسوغا عمله بأن الناس استنجدوا به .

وتشير بعض الروايات إلى أن سقوط الطاهريين تم بخدعة من قبل يعقوب وأعوانه ، ثم إن السنجري هرب إلى الحسين بن زيد صاحب طبرستان فأجاره فتوجه يعقوب بن الليث إليه وهزمه سنة ستين ومئتين للهجرة ،وهرب الحسين إلى الديلم ومعه عبدالله السنجري ،فأرسل يعقوب إلى والي الري يطلب إليه تسليمه السنجري ، وأدرك والي الري أن يعقوب مصمم على أخذ السنجري ،وأنه لايستطيع رده عن طلبه ، فقام بتسليمه إلى يعقوب ، فأخذه وقتله(٢).

وجرت عدة حروب في بلاد فارس والأهواز بين أميرها من قبل الخليفة المعتمد موسى بن بغا وقادة جيشه ، وبين محمد بن واصل من جهة، والزنج من جهة أخرى وكان يعقوب بن الليث يراقب الوضع باهتمام ، ولما تفاقمت الأمور على موسى ، طلب من الخليفة المعتمد إعفاءه ،ففعل ،ورأى يعقوب الظروف مواتية له ، وطمع في تملك بلاد فارس ، فسار نحوها من الأهواز ، واعتزل محمد بن واصل الحرب ليفسح

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٦٣/٥.
وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر :٦٩٠/٤- ٣٩١ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٥٧٨/٨- ٥٧٩ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ :٣٦٩/٥ ، ٣٧١ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر :٦٩٠/٤- ٦٩١ .
ونظام الملك : سياسة نامة :٤٥-٤٦ .

المجال أمام والي بلاد فارس للقضاء على يعقوب ،ولكنه لم يستطع ،ودخل يعقوب بلاد فارس دون قتال يذكر ،ثم قضى على كل من كان يتعاون مع محمد بن واصل[١].

غير أن توسع يعقوب في امتلاك المدن لم يكن بأمر من الخليفة المعتمد في بغداد ،ولم يكن هذا الأمر مما يرضيه ، ولذلك نهاه عن الاستمرار والتمادي في أعماله ، فرفض يعقوب الصفاري وفي مخططه الذهاب إلى بغداد ومقاتلة الخليفة فيها .

وكان الخليفة قد أعطى ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس إلى واليه (درهم) الذي استطاع أن يتفق مع أبي الساج الذي كان خارجا على الخليفة في بلاد فارس ويرده إلى طاعة الخليفة ، وعاد إلى بغداد للاتفاق مع الخليفة[٢].

أما يعقوب فإنه توجه إلى واسط فملكها ، ثم تابع سيره نحو دير عاقول ،فأرسل إليه المعتمد جيشاً بقيادة أخيه الموفق لمحاربته ، وجعل معه على قيادة الجيش موسى بن بغا وسروراً البلخي ، فالتقى الجيشان ، ونشبت معركة عنيفة أسفرت عن بداية هزيمة لجيش الخليفة ، فأرسل المعتمد إمدادات جديدة لموازرة جيشه ، واحتدمت المعركة ، وفر أنصار الصفار من الحرب ، وانهزموا هزيمة منكرة ، ولحقهم جنود الخليفة وأسروا منهم خلقاً كثيراً.

وهرب يعقوب بن الليث الصفار إلى خوزستان ثم إلى جند يسابور ، فبعث إليه صاحب الزنج رسالة يطلب منه فيها الرجوع ، ويعده بالمساعدة فأجابه الصفار : " قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون " .

ثم نشأت مناوشات بين الخضر الذي دخل الأهواز بأمر من يعقوب بن الليث وبين صاحب الزنج الخارج على الخليفة ،ولكن هذا الأمر انتهى بعد أن أوعز يعقوب إلى الخضر أن يكف عن ذلك وأن يهادن الزنج ويقيم بالأهواز[٣]لأن في ذلك حفاظاً على قوتين معاديتين للخليفة وهدفهما واحد وهو القضاء على الخلافة في بغداد .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ :٣٦٩/٥ - ٣٧٠ .
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٩١/٤- ٢٩٢ .
(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٦/٨- ٤٧٧و ٥٠٤ - ٥٠٥ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ /٩/٨ .
وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٩٢/٤- ٦٩٣ .
(٣)- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٦٩٦/٤- ٦٩٧ .

واستطاع يعقوب بن الليث أن يبسط نفوذه على مناطق واسعة ، إلاّ أن مرضاً أصابه فأوهن قوته ، وكان جباراً على تحمل آلام المرض ، ولم يستمع إلى نصائح الأطباء ، وبلغ خبر مرضه إلى المعتمد ، فأرسل إليه يسترضيه ويوليه بلاد فارس ، فرد عليه بأنه لاصلح بينهما ، فإن عوفي فإنه سيعود إلى محاربة الخليفة حتى ينتصر أو يموت . ولكن المنية عاجلته فتوفي سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة .

ولما توفي يعقوب قام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث،وأظهر في بداية الأمر ولاءه للخليفة العباسي في بغداد ، وكتب إليه معلناً طاعته ، فولاه الخليفة مناطق خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان ، وخلع عليه الهدايا والأعطيات(١).

وفي أثناء حكم عمرو بن الليث كان رافع بن هرثمة من قواد الطاهريين بخراسان ، وقام بالاستيلاء على نيسابور ووضع والٍ عليها من قبل الطاهريين مما آثار حفيظة عمرو بن الليث ، فزحف إليه بجيش طرده من المدينة وولى عليها محمد بن سهل بن هاشم(٢).

ويبدو أن تصرفات عمرو بن الليث لم تعجب الموفق الذي كان له شأن إدارة المناطق الشرقية وأدرك نوايا عمرو بن الليث في التوسع والاستقلال ، فجهز جيشاً كبيراً واتجه به إلى بلاد فارس لمحاربته سنة أربع وسبعين ومئتين .

وبلغ الخبر عمرو بن الليث ،فاستعد لملاقاة الموفق فوجه جيشين للقائه ، الأول بقيادة عباس بن إسحاق اتجه نحو شيراز ، والثاني بقيادة ابنه محمد بن عمرو بن الليث اتجه نحو آرجان ، وجهل أبا طلحة بن شركب ، الذي لجأ إليه بعد أن طرده رافع بن هرثمة عن ولاية نيسابور ، جعله على رأس الجيش .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ :٥/٢١=٢٢

(٢)- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥/٣٧- ٣٨ ، ٥٨ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٦٩٧ - ٦٩٩
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٩/٣٢٨- ٣٢٩
ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٦/٧٧- ٧٨ ومايليها
الأصفهاني : سني ملوك الأرض والأنبياء ١٧٠- ١٧١
هلال الصابئ : التاريخ ٢٧٤ - ٢٧٥
و عيون التواريخ : غرس النعمة محمد بن هلال المحسن الصابئ.
روايـة : سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزا أوغلي .
١٩٨٦ - ١٩٨٧ : ٣٩٥ .

والتقى الجيشان ، واستطاع الموفق أن يستميل أبا طلحة إلى جانبه ، مما أضعف قوة جيش ابن الليث فهزم أمام الموفق الذي تابع سيره إلى شيراز ، ثم استعاد بلاد فارس ، وتتبع عمرو بن الليث الذي اعتصم بكرمان ثم سجستان ، ولم يستطع الموفق استعادة هاتين المنطقتين ، فقفل راجعا.

وكان المعتمد قد غضب على عمرو بن الليث وأمر بلعنه على المنابر ولكنه عندما غضب على رافع بن هرثمة واستطاع عمرو أن يقضي عليه وأن يرسل رأسه إلى بغداد ، رضي الخليفة عنه ،ثم بعث إلى عمرو بولاية الري إضافة إلى خراسان سنة أربع وثمانين ومئتين للهجرة ، وكان الخليفة وقتها المعتضد ولذلك فإن عمرو بن الليث طلب منه أن يوليه بلاد ماوراء النهر التي كان المعتمد قد أعطاها إلى نصر بن أحمد الساماني ،فلبى له طلبه (١).

وأقام عمرو بن الليث سلطانه على القوة العسكرية ، وكان شديداً في ذلك ، وهذا ما استوجب الأموال الكثيرة التي كان يجبيها من الناس مما أرهقهم وجعلهم يتبرمون من حكمه (٢).

وقد استحوذت فكرة السيطرة على بلاد ماوراء النهر على عمرو بن الليث ، ولكن هذا الطموح اصطدم بالحاكم الأساسي لبلاد ماوراء النهر الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني الذي يدير البلاد بحكمة وعدل وكانت سيرته مرضية بين الرعية ، ولكن الدسائس أوقعت بينه وبين أخيه نصر - كما تقدم - مما أوهن قوته ، كذلك فإن بعض المغرضين كانوا ينشرون بعض الفتن والدسائس وكان عليه أن يواجه كل ذلك ولاسيما كبار المتمردين في بخارى وهم من التجار والنبلاء وعلى رأسهم (بخار خداة).

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٧٤/٥-٧٥.
وابن خلدون : العبر ٦٩٩/٤- ٧٠١ ، الطبري : الرسل والملوك ٣٢٨/٩- ٣٢٩ .
ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : ٧٩/٦-٨٠ - ٨١ .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ١٣٩ .
الكرديزي : زين الأخبار : ١٨-٢١ .
اليعقوبي : البلدان : ٣٠٨ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٤١ .
والمقدسي : مختصر البلدان : ٣٤٠ .

واستطاع الأمير اسماعيل بحنكته السياسية أن يسيطر على الوضع ، فقد جمع الأمراء والنبلاء المعارضين له وأرسلهم في وفد رسمي إلى أخيه نصر للسعي بالصلح ، وطلب إلى أخيه سراً أن يبقيهم عنده مدة من الزمن حتى يتسنى له السيطرة على الوضع الداخلي ، وهو بهذا الأمر يكون قد كسب مجموعة من القضايا في آن واحد فهو من جانب يسترضي أخاه ويضمه إلى جانبه ، ومن جانب آخر يظهر أمام النبلاء والمعارضين له أنه متساهل ومحب للصلح فيكسب مودتهم وولاءهم ، وفي الوقت نفسه يكون قد أبعدهم عن البلاد وأرضى الناس الذين يناوئونه ، وعندما يعود الوفد إليه ويكتشف ذلك وأن احتفاظ الأمير نصر بهم كان مُدبراً فإنهم سينقلبون على نصر ويتمسكون بإسماعيل ، وهذا ماكان بالفعل . ولاسيما أن الأمير اسماعيل أظهر التبجيل والاحترام للوفد المسافر أولاً ، ولاستقبال أخيه نصر ثانيا مما ترك أثراً طيباً في نفوس الناس عامة والمعارضين له خاصة ، فكسب شعبية كبيرة (١).

ولم ألحّ عمرو بن الليث على الخليفة كي يعطيه ولاية ماوراء النهر نزل الخليفة عند رغبته وأصدر أمراً بخلع الأمير اسماعيل بن أحمد الساماني وتولية عمرو بن الليث مكانه ،وأدرك عمرو أن مثل هذا الأمر يعني بداية المشاكل له لأن الأمير الساماني لن يترك له الولاية بسهولة ، ولذلك قال عن قرار الخليفة " ماذا أصنع به ، فإن اسماعيل بن أحمد لايسلم إليّ ذلك إلاّ بمئة ألف سيف " . ثم أخذ عمرو عهد الخليفة وقبله ، ووضعه بين يديه .

ثم جمع عمرو بن الليث الجيوش من نيسابور ، بقيادة خليفته محمد بن بشير ، وبدأ يستعد لمهاجمة السامانيين ، ولكن إسماعيل الساماني لم يمهلهم بل فاجأهم بعبور نهر جيحون ومقاتلتهم في آمد ،حيث هزم جيش عمرو وقتل قائده محمد بن بشير ، وعاد إلى بخارى .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :١١٢- ١١٧ .
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٥٥٧- ٥٥٨ ،
ابن الأثير : الكامل : ٥/١٧١ ،
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٠٣- ٧٠٤ ،
والكرديزي : زين الأخبار : ٢٠-٢١

وكان إسماعيل قد أرسل إلى عمرو من قبل رسالة يطلب فيها منه ألا ينازعه على ملكه وأن يترك له بخارى قائلا : " إنك قد حُزت الدنيا العريضة ،فاتركني في هذا الثغر " بيد أن عمراً رفض ذلك ، ولذلك عندما رجع إسماعيل إلى بخارى كان يدرك أن مهمته لم تنته بعد ، أنه لابد من هزيمة أخرى لابن الليث ، ولذلك جهز نفسه وعاد لعبور النهر من جديد ، ونزل عمرو مع قواته في بلخ ، وضيق عليهم السامانيون ، وسدوا جميع الجهات ، وأدرك عمرو أنه لايستطيع الثبات في هذه المعركة ، فطلب المفاوضة والصلح ولكن الأمير إسماعيل رفض ذلك ، ودارت رحى الحرب بينهما ،وانتهت بهزيمة عمرو بن الليث الذي حاول الفرار بعد الهزيمة ولكن فرسه تعثر وأخذ عمرو أسيراً ،ثم أرسله اسماعيل إلى الخليفة المعتضد حيث أودعه السجن ،وأكبر الخليفة جهود إسماعيل الساماني فأمربتقليده ولاية خراسان إضافة إلى ممتلكاته ، وبقي على ذلك حتى وفاة المعتضد(١).

ومما ساعد الأمير إسماعيل على الانتصار في هذه المعركة أنه كان قد أطلق جميع الأسرى الذين أسرهم في المعركة السالفة ، وأحسن إليهم مما جعلهم يميلون إليه وينفضون عن أميرهم عمرو ، ولذلك ما إن بدأت المعركة الثانية حتى ترك هؤلاء جيش عمرو والتحقوا بجيوش إسماعيل الساماني سنة سبع وثمانين ومئتين للهجرة (٩٠٠م)(٢).

وتشير بعض الروايات إلى أن الخليفة في بغداد كان يشعر بخطر عمرو بن الليث ، لذلك عندما اضطر إلى إعطائه عهد ولاية تلك المناطق ، اتجه الخليفة إلى مساعدة السامانيين وتشجيعهم سراً ضد عمرو بن الليث ،ومما يؤيد هذه الروايات أن الخليفة لم يغضب لحرب عمرو بل سجنه عنده وكافأ إسماعيل الساماني على مافعل .

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٤٢/٩ - ٣٤٣ ومايليها .
ابن الأثير : الكامل :٩٥/٥-٩٦ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٨- ١٢١.
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧١ .
وابن خلدون : العبر : ٧٠٣/٤- ٧٠٥ .

(٢)- انظر النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٨- ١٢٣ .
والكرديزي : زين الأخبار: ٢٠- ٢١ .

والحقيقة إن إسماعيل الساماني كان وفياً للخليفة في بغداد، وكان يخضع الولايات المجاورة باسمه ويضمها إلى الخلافة العباسية ، فضم منطقة (طراز) وأسلم كثير من دهاقينها ، وصارت له البلاد كلها[1]، فنصب على كل بلد أميراً، وأقام العدل بين الناس ، وظل على طاعته وولائه للخليفة حتى وفاته ،ومع زهده في الحكم فإنه لم يكن يتساهل في أمر من أموره .

ويبدو أن الملك الذي أسسه إسماعيل الساماني لم يستطع خلفاؤه المحافظة عليه ،بل اضطروا إلى التخلي عن بحر قزوين والقسم الغربي من إيران للأسر الحاكمة وللشيعة وغيرهم الذين ظهروا وكانوا يتمتعون بشعبية كبيرة وذلك لأنهم كانوا يذكون الروح القومية للفرس .

ووقف المؤرخون من الصراع بين الدولتين السامانية والصفارية موقفاً واضحاً يؤيد السامانيين في الغالب ويثني على حكمهم وحسن سياستهم ، وينال من الصفاريين ، ولعل مرد ذلك إلى أن السامانيين خرجوا من صفوف الناس ولذلك كانوا أكثر دراية بما يريده الرعية وأقل بطشاً من الصفاريين ذوي الأصل العسكري ، وكذلك فإن السامانيين كانوا يديرون البلاد إدارة حسنة ويحافظون على الأمن والنواحي الاقتصادية مما جعل معظم الدهاقين يؤيدون حكمهم ويقفون إلى جانبهم في الصراع من عمرو بن الليث الصفاري[2].

وليس بين أيدينا المعلومات التامة التي توضح ما إذا كان الأمير إسماعيل الساماني نفسه هو الذي أسس هذا الحكم ووطد دعائمه أو أن أحداً ساعده في ذلك ، وعلى كل الأحوال فإن السامانيين ظلوا تابعين رسمياً للخلافة في بغداد مع تمتعهم بالسيادة التامة داخل مناطقهم.

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧ و ١٢٣ .
وابن خلدون : العبر : ٧٠٣/٤- ٧٠٤.

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦٢٢/٦- ٦٢٣ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٩.
وابن الأثير : الكامل : ٦: ١٠١ - ١٠٢ و ٢٢٦.

(٣)- انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦٢٢/٦- ٦٢٣ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٣٩ .

وعندما كان ينشأ نزاع بين حاكمين ، فإنهما في الغالب يعودان إلى الخليفة في بغداد لأخذ العهد بالولاية تقوية لموقفهم [١] ،والأمثلة على ذلك كثيرة ولاسيما في المنازعات التي كانت تتم بين السامانيين والبويهيين ، ومع ذلك فإن العهود ماكانت لتقدم أو توءخر كثيراً ، وكان السيف هو الذي يحسم النزاع لأن السامانيين كانوا يتمتعون بهيبة واحترام بين الناس مما لم يجعل قيمة كبيرة للعهود التي تمنح لغيرهم بالولاية. ولعل هذا الأمر هو الذي حمل كثيراً من الموءرخين الفرس إلى تسمية أمرائهم بلقب (أمير الموءمنين) تشبيهاً لهم بالخلفاء لحسن سياستهم وتدبيرهم [٢].

ومعروف أن السامانيين استمالوا في حكمهم فئة العلماء ورجال الدين الذين كان لهم سلطة واسعة بين الناس ،وهذا مما ساعد على استمرار حكمهم وكثرة شعبيتهم [٣].

ومع أن الأمير اسماعيل استطاع أن يضم أملاك بخار خداة الشاسعة [٤] ، إلا أنه كغيره من السامانيين ، لم يستطع تطبيق النظام على جميع الناس في كل المناطق، لأن حكمهم هذا اصطدم بوجود أسر كبيرة وعريقة في المناطق وهذه الأسر كانت تحتفظ لنفسها بالحكم المحلي من إظهار الطاعة للسامانيين ،وكانوا يقدمون لهم الهدايا ،أما الخراج فلم تكن تلك الأسر تدفعه [٥] ،ومن هذه الأسر

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٣٨- ١٣٩ .
وابن الأثير : الكامل : ٣٨٠/٨- ٣٨١ .

(٢)- نظام الملك : سياسة نامة ص ٤٤.

(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦٢٢/٨ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٨- ١٠٩ .
وابن الأثير : الكامل :١١٨/٥ ،حوادث سنة (٢٩٥ هـ) .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٨٠-٨١ .

(٥)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٢٧٥-٢٧٦و٣٣٧ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٨ ، ابن حوقل : صورة الارض : ٤٠١ .
ابن الأثير : الكامل ١٥٤/٨- ١٥٥ .
والكرديزي : زين الأخبار : ١٥ .

المحلية : أسرة أبي داود في بلخ ،وآل فريغون في جوزجان ، والترك في بست ، وغيرهم ، بل إن الصغانيان ظلت تحت حكم أمرائها إلى مابعد سقوط السامانيين(١).

وواضح أن أحوال الرعية قد تحسنت في زمن السامانيين لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة ،وهذا مما ساعد على استمرار الدولة السامانية نحو مئة عام.

وكان إسماعيل الساماني أشهر الأمراء السامانيين وأكثرهم مقدرة على تدبير الأمور ، وبعد موته كتب الخليفة المكتفي عهد الولاية إلى أبي نصر أحمد (٩٠٧- ٩١٤م)(٢).

وكان الأمير أبو نصر أحمد الساماني تقياً ورعاً ، حسن السيرة بين الرعية محباً للعلم ومقربا لأهله ، ولهذا نفر منه الغلمان وفي مقدمتهم (البتكين) الذي لم يكن قد اشتهر بعد ، كما أن الأمير جعل اللغة العربية هي اللغة السائدة بين الناس وهي التي تكتب بها الأوامر وغيرها.

ولما استوثق أمره سار إلى الري ، وأشار عليه إبراهيم بن زيدويه بالخروج إلى سمرقند ، والقبض على عمه إسحاق بن أحمد تحسباً لخروجه عليه في وقت غير ملائم ، ففعل الأمير ، واستدعى عمه إلى بخاري واعتقله ،ثم مضى إلى نيسابور فهرب عاملها بارس البيكندي الكبير إلى بغداد ، لأنه كان قد جمع أموال الخراج ليرسلها إلى الأمير إسماعيل ،ولما بلغه خبر وفاته استردها ، وعلم أن الأمير الجديد سيحاسبه على ذلك(٣).

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٥-٥٦.
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٦ و ١٢٥- ١٢٦.
وابن الأثير : الكامل : ١٥٥/٨.
(٣)- ابن الأثير : الكامل : ٥/ ١١٧-١١٨.
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٩ و ١١٩.
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ٢٩.
وابن خلدون : العبر : ٧٠٦/٤ - ٧٠٧.

ثم أن الأمير أحمد أرسل جيوشه إلى سجستان سنة ثمان وتسعين ومئتين مع جماعة من قواده على رأسهم الحسن ابن علي المرورذي ،فلما بلغ الخبر أميرها المعدل بن علي بعث أخاه أبا علي بن الليث محمد بن علي إلى الرخج وبست لأخذ الجباية ،ولكن قوات أحمد بن إسماعيل الساماني لحقت به ومنعته ،وهزمته ، ووصل الخبر إلى الخليفة المقتدر ، فأمر بإحضار الليث ومن معه من القواد إلى بغداد لحبسهما ،وأرسل إلى أحمد بن إسماعيل الهدايا.

وفي زمن السامانيين خرج عليهم رجل من أهل سجستان اسمه محمد بن هرمز ويعرف بالمولى الصندلي ،في بخارى ، واستطاع استمالة جماعة من الخوارج على رأسهم ابن الحفار محمد بن العباس حيث ثاروا وقبضوا على منصور بن إسحاق عامل بني سامان وولوا عليهم عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث فسار إليهم أحمد بن إسماعيل وقضى على الفتنة ، ثم توجه إلى الري كما مر سابقاً(١).

كما أن عدداً من أهل الولاية شغبوا على الأمير ،وخرج عليه أقاربه ، وضاق صدره مما هو فيه ،وانتهى الأمر باغتياله من قبل غلمانه سنة إحدى وثلاثمئة للهجرة (٩١٤م) ، ويبدو أن حرص الأمير على اللغة العربية واستمالة المتقنين لها جعل غلمانه ورجال الحرس يسخطون عليه حتى قتلوه واستولوا على السلطة لأن في هذا العمل إبعاداً لهم إذ كان معظمهم لايتقنون العربية ثم اتهموا الكاتب أبا الحسين نصر بن إسحاق بالتحريض على قتل الأمير ، وقتلوه أيضا(٢).

بعد ذلك تولى الأمور الشيوخ وقادة الحرس، ثم نصّبوا نصراً الثاني ابن أحمد الساماني (٩١٤ - ٩٤٣م) (٣٠١-٣٣٠هـ) أميراً ،وكان حدثاً صغير السن ، فأسندت الأمور إلى الوزير أبي عبد الله أحمد الجيهاني ،فعمل على تنظيم الأمور وإدارة

---

(١)- ابن الأثير : الكامل :٦٩/٨- ٧٠.
ابن خلدون : العبر :٧٠٦/٤ - ٧٠٧.
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٦- ١٢٧ و ١٤٠.
ابن الأثير : الكامل : ١٤٤/٦- ١٤٥ و ٥٨/٨- ٥٩.
ابن خلدون : العبر : ٧٢٩/٤ ، ٧٣٤ ، ٧٥٠.
والكرديزي : زين الأخبار : ١٦-١٧.

البلاد واستمالة الجيش ،إلى أن هزم الأمير إسحاق وأدخل جميع المخالفين للأمير في طاعته ،وعادت الأمور إلى نصابها[١].

وبعد مقتل الأمير أحمد بن إسماعيل تمرد أهل سجستان على ولده نصر ،فولى الخليفة المقتدر الأميربدراً الكبير ، الذي أرسل إليها الفضل بن حميد وأبايزيد خالد بن محمد المروزي ،وكان عبدالله الجيهاني حينها ببست والرخج، وسعد الطالقاني بغزنة من قبل الأمير السعيد نصر بن أحمد ، فقصدهما الفضل واستولى على غزنة وبست وقبض على سعد الطالقاني وأنفذه إلى بغداد .

ومرض الفضل بن حميد ،فانفرد بالأمور خالد المروزي ،وتمرد على أوامر الخليفة في بغداد ،فأرسل إليه الخليفة قوة لمقاتلته فهزمها ثم سار إلى كرمان، فأرسل إليه بدر الكبيرجيشاً كبيراً قاتله وهزمه ، وجرح هو ثم أسر ومات، فحمل رأسه إلى بغداد[٢].

وفي مثل هذه الفترة ثار أهل سجستان ثانية ، ودعوا إلى بني عمرو بن الليث الصفار ، ثم عادوا إلى طاعة الأمير أحمد الساماني ،وبقي الأمر كذلك إلى أن استولى خلف بن أحمد بن علي والذي يعد من ذرية عمروبن الليث الصفار على سجستان ، فبقي فيها مقرباً للعلم والعلماء حتى ذهب لأداء فريضة الحج فاستخلف على المدينة طاهر بن الحسين الذي انتقض عليه واستأثر بالحكم،فاستنجد خلف بالأمير منصور فأنجده وأعاده إلى ولايته .

كذلك خرج على الأمير السعيد نصر بن أحمد في سنة احدى وثلاثمئة للهجرة (٣٠١ هـ / ٩١٤ م) اسحاق بن أحمد عم أبيه ، فتعاون الوزير مع حموية بن علي قائد الجيش لإخماد الثورة في سمرقند ، وانهزم إسحاق على يد حموية ثم عُفي عنه ورجع إلى بخارى .

---

(١)- خواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٣ .
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ١٤٥/٦.
وابن خلدون : العبر : ٧٠٧/٤- ٧٠٨ .

أما إلياس فقد هرب إلى فرغانة ،وعُين حفيد نصر الأول حاكماً على سمرقند خلفاً له (١).

وكان لإسحاق ابن اسمه منصور أبو صالح ، قام بثورة ثم توفي في نيسابور فتولى قيادة الثورة بعده الحسين بن على المروزي ، وكان من مناصري السامانيين إلا أنهم لم يعطوه حقه من الاحترام فثار عليهم معتمداً على أفراد الشعب من الشيعة خاصة كما أشار النديم ، ولكن تصدى له أحد القادة من الارستقراطيين وهو أحمد بن سهل وقضى على ثورته وأسره سنة (٩١٨م) ، ثم مالبث أحمد بن سهل أن أعلن الثورة هو من جديد ولكن قضي عليه في آواخر عام (٩١٩م)(٢).

ثم هدأت أحوال الدولة السامانية نحو عشر سنين إلى أن تمرد الياس بن اسحاق في فرغانة سنة (٩٢٢م) فتم القضاء عليه وبسهولة بكمين نصبه له ولمن معه القائد عمر محمد بن أسد حاكم سمرقند ، فهرب عدد من قادته نحو بخارى ، أما إلياس فقد هرب إلى كاشغر بعد إخفاقه في الاتفاق مع والي الشاش لاعلان التمرد . ثم انتقل إلى فرغانة وعقد حلفاً مع دهقانها (طغان تكين) ولكن ابن عمه بعد ذلك عرض عليه العفو فعاد من كاشغر إلى بخارى(٣).

وفي ذلك الوقت تقلد الوزارة أبو الفضل محمد بن عبيدالله البلعمي وهو من أشهر رجال السياسة في العصر الساماني ، وكانت البلاد وقتها في حالة كبيرة من الاضطراب واختلال الأمور .

ومما يذكر أن الأمير نصر بن نوح كان قد توجه إلى نيسابور في رحلة له ، وكان في سجن بخارى ثلاثة من إخوته هم يحيى وإبراهيم ومنصور ، فاستطاعوا

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك /٩/٣٣٦- ٣٣٧ .
ابن الأثير : الكامل : ٦/١٤٦ - ١٤٧ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٢٥- ٧٢٦ .
والنديم : الفهرست : ١٣٨ ، ١٨٨ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٦٥ و ٨٩ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٧ و ١٤١-١٤٢ .
والكرديزي : زين الأخبار :١٤-١٥ .

(٣)- ابن الأثير : الكامل :٨:٩٧ .
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٧ .

الاتصال بالعناصر المتمردة الذين أطلقوا سراحهم ثم نصبوا يحيى أميراً عليهم ،وكان هؤلاء المتمردون من الشيعة والديلم والعيارين ومن بينهم أبو بكر الحسين المروزي[١].

بعد ذلك جرى صدام قوي مع يحيى ،بيد أن الأمور رجعت إلى ماكانت عليه وجعل الأمير أبو بكر محمد بن المظفر أميراً على خراسان إضافة إلى الصغانيان ، ومن بعده يتولاها أبنه علي ابن أحمد بن محمد[٢].

ويذكر نظام الملك أن الباطنية قد تغلغلت بين الناس حتى وصلت إلى أمير خراسان نصربن أحمد الذي اعتنق هذا المذهب بعد لقائه مع خليفةحسين بن علي المرزوي في الدعوة وهو محمد النخشبي . ولما اعتنق الأمير هذا المذهب انقلب عليه الناس ، وانضموا إلى الحرس التركي ليقفوا في وجه الأمير ،واجتمع قادة الجيش لوضع خطة للقضاء على الأمير ، وقبل تنفيذ الخطة وصل خبرهم إلى نوح بن نصر ابن الأمير ،فاجتمع بأبيه ،واختلق حجة استدعى بها قائد الجيش إلى قصره ثم قطع رأسه ووضعه في مخلاة وحملها إلى حيث اجتمع القادة وألقاه بين يديهم ، ثم نصب الأمير نصر ابنه نوح اميراً على البلاد بدلاً عنه ، فهدأت الفتنة وأطاعه الناس[٣].

ثم إن الأمير الجديد أمر بسجن أبيه ، وطلب من رجال الجيش أن يبحثوا عن كل من اعتنق المذهب الجديد ويقتلوه ، ولذلك لم تستطع الشيعة البقاء في ماوراء النهر بعدها إلاَّ خفية ، وقتل من أتباع النخشبي قوم كثيرون[٤].

---

(١)- ابن الأثير : الكامل :١٥٥/٨-١٥٦ و ١٩٦ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٢٣٢ .
النرشخي : تاريخ بخارى ١٠٣ ، ١٤١- ١٤٢.
والكرديزي : زين الأخبار : ١٦-١٧ .
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ١٩٦/٨- ١٩٧ .
(٣)- نظام الملك : سياسة نامة:٢٣٢ - ٢٣٣ و ٢٤٧ - ٢٥١ . و ٢٣٦ .
ابن النديم : الفهرست : ٧٩/١و ١٨٨ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٤٢- ١٤٣ .
(٤)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٥٠- ٢٥١.

ويورد النديم رواية مغايرة لما أورده نظام الملك حول ماتقدم ،فيشير إلى أن الأمير نصراً مرض مرضاً شديداً دام نحو ثلاثة عشر شهراً ، فظن أن مرضة هذا عقاب من الله له لاتباعه مذهب الباطنية ، فجمع الفقهاء والعلماء وأجرى مناظرة بينهم وبين النخشبي ،ثم قتله ،وابتنى لنفسه صومعة ظل يتعبد بها حتى مات سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤٣م)[1]. ويبدو أن بعض المؤرخين قد جعلوا وفاته سنة (٣٢٩ هـ /٩٤٢م) ،ولكن هذا غير صحيح ،وقد اختلط عليهم الأمر ، ففي هذا العام تنازل عن الولاية لابنه ولم يعد إلا بعد أكثر من عام ، سنة (٣٣٠ هـ /٩٤٣م)[2].

وذكر ابن الأثير حادثة أخرى جرت في آخر حكم الأمير السعيد ، ذلك أن (مرداويج الجبلي صاحب الجيل) قد سار من الري إلى جرجان وكان عليها أبو بكر محمد بن المظفر ،فأخذها منه ، فسار الأمير السعيد نحو جرجان ، وراسل محمد بن عبدالله البلعمي وزيرمرداويج ، فعلم مرداويج بذلك فقتل البلعمي ، ثم جرت مصالحة بين الأمير السعيد وبين مرداويج[3].

وعاد الأمير السعيد إلى بخارى بعد أن جعل أبا بكر محمد بن المظفر والياً على خراسان ، وظل إلى أن توفي ، وكان مرداويج قد استلم الحكم نحو خمسة عشر شهراً[4].

---

(١)- ابن النديم : الفهرست / ٧٩/١- ٨٠ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٢ .
والكرديزي : زين الأخبار :٣٢-٣٣ .

(٣)- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الامم :٣١٩/٧ .
ابن الأثير : الكامل : ٢٢٩/٦- ٢٣٠، حوادث ٣٢١، .
والأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٥ .

(٤)- ابن الأثير : الكامل :٨/ ٢٣٠ ،حوادث ٣٢١.
والأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٥ .

وعلى كل حال فإن الإضطرابات كثرت في هذه الفترة ، وجاءت الأخبار عنها مضطربة أيضا ، وقد لاحظنا مثالاً لذلك قبل قليل في الحديث عن وفاة الأمير نصر وتسلم ابنه نوح مكانه ، وظلت الأمور تسير من سيئ إلى اسوأ حتى وصلت السلطة إلى أحد الفقهاء وهو أبو الفضل محمد بن محمد السلمي (الحاكم الشهيد) فساس البلاد بالعدل ، وزاد نفوذ رجال الدين ، وحاول هذا الوزير جمع الأموال وحرم قادة الجيش والعسكر ، مما جعلهم ينقمون عليه ، ولما تمرد أبو علي بن محمد حاكم خراسان على الأمير نوح حمل قادة الجيش مسؤولية هذا الأمر إلى سوء حكم الوزير أبي الفضل السلمي فقتله الأمير إرضاءً لقادة الجيش (١).

وفي هذه الأثناء أيضا جرت مجموعة من الأمور ، فقد نهبت الخزينة وقامت ثورة بخوارزم سنة (٩٤٤ م) ، وانشغل الأمير بقتال أبي علي الجغاني والي خراسان الظالم ، وعين بدلاً عنه إبراهيم ابن سيجمور التركي ، واضطربت البلاد ووقعت في ضائقة مالية ولم يعد الأمير قادراً على تسير الأمور كما يشاء(٢). فقلت الموارد وتأخرت رواتب الجند الذين تحركوا لقتل الوزير الذي حاول الأمير حمايته ولكنه لم يفلح فقتل الوزير (الحاكم الشهيد)(٣).

وكان القائد أبو علي قد أرسل في طلب إبراهيم بن أحمد عم الأمير نوح والمنازع له ،فانضم جيش الأميرنوح إلى إبراهيم ، وانتقل نوح إلى سمرقند . وأقام إبراهيم في بخارى ،ولم يقم إبراهيم وأبو علي بأعمال تقربهم

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٧ .
ابن الأثير : الكامل ٧/٢٧٠ - ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٠٠ .
كرديزي : زين الأخبار : ٣٥-٣٦ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٢٥٠- ٢٥١ .
وخواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ٢١٣ .
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٧١٠ - ٣١١ و ٣٤٤ .
كرديزي : زين الأخبار : ٢٥-٢٦ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٤٠ .
(٣)- ابن الأثير : الكامل : ٨/ ٣٤٥- ٣٤٦ .

إلى الناس فانفضوا عنهم وعاد الأمير نوح إلى بخارى ولم يعف عن المتمردين بل سمل عيني عمه وأخويه ،وأعدم أحد كبار النبلاء وهو الحاجب (طغان) وعين منصور بن قراتكين والياً على خراسان(١).

وتوفي ابراهيم بن سيمجور عام (٣٣٦هـ/٩٤٨م) ، وعلم الثائر أبو علي بذلك ، وتراجع إلى بلخ تحسبا من انتقام الأمير نوح ،ولم ينجه ذلك من جيش الأمير الذي انتصر على أبي علي سنة ،(٣٣٦هـ - ٩٤٨م) في معركة خرجنك .

وقد دامت ولاية الأمير نوح أكثر من اثنتي عشرة سنة كانت زاخرة بالأحداث والاضطراب والفتن التي تدل شدة النقمة وانتشارها من جانب وعلى قوة الأمير واستطاعته السيطرة عليها من جانب آخر(٢).

ومن الأحداث التي جرت في زمن ولاية الأمير نوح سنة اثنتين وأربعين ومئتين للهجرة أن القائد وشمكير كتب إلى الأمير نوح يستمده ، فأمر نوح أبا علي بن محتاج أن يسير بجيوش خراسان إلى الري وقتال ركن الدولة بن بويه ، ففعل ذلك أبو علي ،والتقى قوات وشمكير ،وبلغ الخبر ركن الدولة ، وأدرك أنه لاطاقة له بمواجهة كل هذه القوات ، فاحتال للأمر وحاول القتال على جبهة واحدة ، وأفلح في ذلك ، وظل أبو علي يقاتله عدة شهور ، فلم يظفر به ، وهلك الجنود ، وقلت المؤن ، فاضطر أبو علي إلى الصلح مع ركن الدولة والعودة إلى خراسان .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٣٤٤ - ٣٤٨ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٤٤- ٧٤٥ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : : ١٤٢ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل ٨/ ٢٧٨- ٢٩٨ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٤٢- ٧٥٠ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٩- ١٣٠ .
وكرديزي : زين الأخبار : ٢٧- ٢٨ .

وكتب وشمكير إلى الأمير نوح يخبره أن أبا علي لم يصدق في القتال ومال إلى ركن الدولة ، وكان وشمكير يقصد من ذلك أن يشير حفيظة الأمير على أبي علي ،وهذا ماحصل ،إذ إن الأمير عزل أبا علي وعين بدلاً عنه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني ،وهذا أدى إلى غضب أبي علي وإعلان استقلاله عن الأمير نوح، وخطب لنفسه بنيسابور ، فحاول الأمير نوح أن يتفق مع وشمكير والحسن ابن فيرزان للقضاء على أبي علي ، ولما بلغ الخبر نيسابور اتصل أبو علي بركن الدولة يطلب حمايته ، فقبل وأقام أبو علي عند ركن الدولة [1].

تلك هي أبرز الأحداث التي جرت في زمن الأمير نوح بن نصر الذي توفي سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٤م) تاركاً وراء خمسة أولاد هم :
عبد الملك ، ومنصور ،ونصر ،وأحمد ،وعبد العزيز ، وكان الأمير نوح قد أخذ البيعة لأولاده من بعده من الناس في حياته ، ولذلك بعد وفاته ارتقى العرش ولده عبد الملك بن نوح بن نصر الساماني الذي يصفه المؤرخون بأنه " لم يكن في آل سامان مثله " .

ولكننا إذا نظرنا إلى سيرته في الولاية وجدنا خلاف هذا القول ،ولامسوغ له ،ولاسيما أننا وجدنا أن السلطة في زمانه كانت في يد قائد حرسه البتكين الذي جمع أملاكاً لاحصر لها [2]. كذلك فإن مافعله عبد الملك هو شيء من التغيير في أجهزة الدولة ولاسيما في الناس الذين رأى في وجودهم ضرراً له . ولذلك عزل أبا علي ، وثبتت أبا سعيد بن بكر بن مالك الفرغاني، وعين أبا منصور محمد بن عزيز وزيراً له ، وحين تقلد منصب الوزارة أوعز إلى الأمير أن يعزل حسام الدولة ويسند منصبه إلى أبي الحسن

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٢٤٤- ٢٤٦ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٥٠- ٧٥٢ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١٣١ و ١٤٢ .
والكرديزي : زين الأخبار : ٤١-٤٢ .
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣-٣٤ و ٣٨ .

سيجمور . وفي سنة (٣٧٧ هـ) عزل عبد العزيز من الوزراة وتوجه إلى خوارزم[١]، وتقلد الوزارة بعده أبو علي الدامغاني ، وكانت البلاد مضطربة والأحوال مختلة لكثرة المعارضين للسامانيين إضافة إلى الخطر الخارجي المحدق بهم مثل (بغراخان) ومحمود بن سبكتكين[٢].

وسبقت الاشارة إلى أن السلطة في نهاية عهد الأمير كانت في يد قائد الحرس ، مما يؤكد ازدياد نفوذ الارستقراطية العسكرية ، وهذا النفوذ أدى إلى ازدياد الفتن والشغب في أنحاء الولاية ، وتجلى هذا الأمر عندما أهمل بكر بن مالك الفرغاني الحرس ولم يلب مطالبهم ،فشغبوا عليه وكانت النتيجة مصرعه عام (٣٤٤ هـ / ٩٥٦م) على يد قائد الحرس البتكين ، ثم إن البتكين أرسل بكتاب العهد بقيادة الجيش إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم سيجمور ، وقد حمله إليه ابنه[٣].

ولم يستطع قائد الجيش الجديد أبو الحسن سيجموري والوزير العتبي إدارة البلاد بشكل كامل ، فعزلا ، وعين المنصور يوسف بن اسحاق وزيراً عام (٣٤٧ هـ / ٩٥٩م) وأبو منصور محمد بن عبد الرزاق والياً على خراسان[٤].

---

(١)- خواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء : ١٦ .

(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٢٤٦- ٢٤٨ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٥٢- ٧٥٣.
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢ و ١٤٢ - ١٤٣ .
وكرديزي : زين الأخبار : ٤٥-٤٦ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الارض : ٣٣٤ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٧- ٣٣٨ .
وابن الأثير : الكامل : ٨/٢٤٦- ٢٤٧ .

(٤)- ابن خلدون : العبر : ٤/٧٥٥ ، وفيه أن الوالي هو أبو العباس تاش لا محمد بن عبد الرزاق .

ولم تفلح جهود الأمير ليتخلص من سيطرة العسكريين ، ولذلك حاول التخلص من قائد الحرس بتعيينه والياً على خراسان سنة (٣٤٩ هـ / ٩٦١م)[١]، وأسند الحجابة لمملوك سالفه لالبتكين وأشرنا إلى أن البتكين كان قد عزل الوزير وأسند الوزارة إلى أبي علي بن محمد البلعمي[٢].

وقد توفي الأمير عبد الملك فجأة سنة (٣٤٩ هـ/ ٩٦١م) مما أدى إلى شغب الجيش ، وانتشار الفتن والاضطرابات بين الناس ، حتى أن دار الامارة نفسها تعرضت للنهب والحرق .

وحاول بعض أولي الأمر أن ينقذوا الموقف وأجلسوا ابن عبد الملك أميراً على البلاد على الرغم من صغر سنه ، ولكن هذا الامر لم يرض البتكين الذي كان يدبر الامور كي يكون منصور عم الأمير السالف أميراً جديداً ، وبالفعل فبعد يوم من إجلاس ابن عبد الملك أُزيل عن العرش ووضع المنصور أميراً للبلاد بمعاونة حاجبه فائق ، والوزير البلعمي الذي استمر في خدمة الدولة السامانية حتى وفاته .

ويشير النرشخي إلى رواية أُخرى تدل على أن خلافاً نشأبين الملك الجديد والبتكين لم يستطع البتكين إزالته على الرغم من الهدايا التي قدمها للملك[٣].

وسلفت الإشارة إلى أن أبا الحسن بن سيجمور استلم ولاية خراسان ، وظل حتى أواخر حكم المنصور ، وخاض حروباً كثيرة ضد الزياريين والبويهيين .

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٢٩٦/٨ ، ٢٩٨ .
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٢٩٦/٨- ٢٩٧ .
والمقدسي : أُحسن التقاسيم : ٣٣٨ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢ و ١٤٣ .
والمقدسي : أُحسن التقاسيم : ٣٣٨- ٣٣٩ .

وكان صاحب كرمان أبو علي بن إلياس قد حرض الأمير واصطدم مع البويهيين وسقط في المعركة وشمكير وتوفي سنة (٣٥٧هـ) وقام بالأمر بعده ابنه تسنون بن وشمكير الذي راسل ركن الدولة البويهي وعقد معه الصلح [١].

كذلك فإن أبا علي بن إلياس استبد في حكم كرمان، ثم توجه إلى الأمير المنصور مع ابنه سليمان، وأغريا الأمير بامتلاك الري، ثم طلب سليمان أن يستقل بحكم كرمان، وتوجه إليها، وجمع المناهضين لعضد الدولة البويهي الذي وجه إليه بدوره قائده كورتكين، ونشبت معركة بينهما.

وبعد تلك المعركة عقد صلح بين الأمير منصور وبين ركن الدولة البويهي الذي قدم ابنته هدية للأمير منصور مع كثير من التحف [٢].

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٧٥٣/٤ - ٧٥٤ ،
ابن الأثير : الكامل : ٣٤٨/٨ - ٣٤٩ ،
والكرديزي : زين الأخبار : ٤٥ ،

(٢)- ابن خلدون : العبر : ٧٥٣/٤- ٧٥٤
ابن الأثير : الكامل : ٣٩٦/٨- ٣٩٨
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٢

كما استرد السامانيون سيادتهم الاسمية على غزنة بعد مساعدتهم لإسحاق ابن البتكين سنة (٣٥٣ هـ / ٩٦٥م) ، وتم ضرب اسمهم على السكة إلى جانب الحكام المحليين .

وماسوى هذه الأحداث لم يكن هناك أمور كبيرة تذكر في مدة حكم الأمير منصور ، ولاسيما أنه هادن البويهيين ، إضافة إلى انتظام الأعمال الإدارية والقضاء على الفساد ، مع عدله وإنصافه للرعية . وتوفي الأمير منصور ابن عبد الملك بن نوح سنة (٣٦٦هـ) وقبل سنة (٣٦٥هـ)(١).

وتولى الإمارة بعده الرضي نوح ، وكان حدثاً لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره فأشرفت عليه أمه ، واستعانت بالوزير الجديد أبي الحسن عبدالله بن أحمد العتبي الذي كان شاباً فطناً ، ولكن الوزير الجديد لم يكن مرغوباً به عند أمير الأمراء سيمجور ولذلك كانت العلاقة بينهما سيئة .

وظلت الأمور كذلك حتى تم تعيين حسام الدولة تاش في خدمة الأمير نوح ، وأسندت الحجابة إلى فائق ، عندها وجد الوزير أن الأمور تسير لغير مصلحته فانسحب إلى قهستان التي كانت إقطاعاً عسكرياً لأسرته (٢).

وقد جهد العتبي في بداية حكمه للتخلص من سلطة العسكريين وإخضاع رجال الجيش لإدارته ،وإعادة سلطة الديوان والدولة إلى سالف عهدها ، وقد تم له ذلك بفضل كفاءته ومقدرته (٣).

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ١٣-١٤-
The Gaznavids, P. 30 - 72 .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٣ .
وابن خلدون : العبر : ٤/٧٥٦- ٧٥٧ -
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٥٤٥ -
ابن خلدون : العبر: ٤/٧٦٦- ٧٦٧ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٣-١٤٤ -
كرديزي : زين الأخبار : ٤٦و ٥١- ٥٢ -
وخواندمير (غياث الدين)دستور الوزراء ٢١٤ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٤-١٤٥ .

ومن الأحداث التي جرت في فترة حكم الأمير نوح عزل ابن سيجمور عن ولاية خراسان وتولية أبي العباس تاش مكانه ،وأثناء ذلك أجار أبو العباس قابوس ابن وشمكير وفخر الدولة بن ركن الدولة اللذين هربا من عضد الدولة البويهي الذي استولى على جرجان واخذها منهما ، فحاول أبو العباس إعادتها لهما ، ولكنه أخفق بعد حصار لجرجان دام أكثر من شهرين وبأمر من نوح نفسه ، الذي بادر إلى تجهيز الجيش للقيام بالمهمة بنفسه (١).

وفي أثناء ذلك بلغه مقتل الوزير العتبي الذي كانت أمور البلاد كلها تقريبا بيده ، وكان ذلك سنة (٣٧٢ هـ) ، واتهم ابن سيجمور بتدبير قتله وأرسل نوح إلى أبي العباس تاش يستدعيه لتسلم الوزارة وإدارة الأمور وطلب إليه أن يقتل كل من يجده أمامه من قتلة الوزير السابق .

وانتهز ابن سيمجور والحاجب فائق الفرصة فأعلنا الخروج على الأمير واستوليا على خراسان . وبعد مشاورات تم الاتفاق على أن تكون قيادة الجيش لتاش ، وبلخ لفائق ،وهراة لأبي الحسن بن سيمجور وهدأت الأمور نسبيا (٢).

أما فخر الدولة الذي كان بنيسابور فقد توجه إلى جرجان واستولى عليها بعد وفاة أخيه موءيد الدولة وبدعم من الصاحب بن عباد وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة .

كذلك فإن الأمير نوحا عزل أبا العباس تاش وولى الوزارة عبدالله بن عزيز بعد أن علم بمسير الأول من نيسابور إلى بخارى من غير إذنه (٣).

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٧٥٦/٤- ٧٥٧ .
ابن الأثير : الكامل /٣٤٨/٨ ،حوادث سنة ٣٤٤ .
وكرديزي : زين الأخبار : ٥٢-٥٣ .
(٢)- ابن خلدون : العبر : ٧٥٧/٤- ٧٥٨ - ٧٦٢ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٤، ١٤٤ .
وكرديزي : زين الأخبار :٥٢-٥٣ .

وتمرد صاحب سجستان خلف بن أحمد على الأمير نوح فبعث إليه بابن أخته الحسين بن طاهر لقتاله ، فحاصره سبع سنين ولم يفلح في القضاء عليه مما جعل هيبة السامانيين تهتز في نفوس الناس..

وانتشرت الفتن والاضطرابات والخلافات بين الأمراء حتى تم الاتفاق - كما أشرنا - بين ثلاثة من الثائرين على أن تكون نيسابور لأبي العباس تاش ، وبلخ لفائق ، وهراة مع قهستان لأبي الحسين سيمجور الذي توفي فجأة فاستلم بعده ابنه أبو علي ، ولم يدم الوفاق طويلا بينهم ،ونشأت منازعات أدت إلى عزل تاش ومطاردته ، فلجأ إلى البويهيين(١).

وأعان البويهيون أبا العباس تاش فحارب ابن سيمجور وانتصر عليه واستولى على نيسابور من جديد ، وحاول استعطاف الأمير نوح فأبى ، وجاءت الامدادات إلى ابن سيمجور فكر على تاش وهزمه ، فهرب إلى البويهيين وبقي في كنفهم حتى توفي سنة (٣٧٩هـ /٩٨٩م) .

وبعد وفاة تاش انتفض الجرجانيون ، وظهرت فتن كثيرة واستوت الأمور لأبي علي سيمجور الذي تفرغ لمقاتلة الحاجب فائق ، ولم يستطع فائق الثبات أمامه فهرب إلى الأمير ببخارى مما أثار حفيظة الأمير نوح عليه .

ثم قلد الأمير نوح أبا علي سيمجور إمارة خراسان ، ووقع صدام بينه وبين فائق انتهى بهزيمة فائق واستقرار الأمور لسيمجور(٢).

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٤/ ٧٥٩- ٧٦٢ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٤-١٤٥ .
وكرديزي : زين الأخبار :٥٤-٥٥ .
(٢)- ابن خلدون : العبر : ٧٥٩/٤- ٧٦١ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١٣٤ و ١٤٥ .
المقدسي : أحسن التقاسيم /٣٢٩ و ٣٣٨ .
والكرديزي : زين الأخبار ٥٨-٥٩.

وبلغ من قوة أبي علي سيمجور أن لقب نفسه أمير الأمراء المؤيد من السماء ، وجمع المال لنفسه ، ومنعه على الأمير نوح ،ثم أعلن استقلاله واتصل بملك الترك بغراخان وتحالف معه للهجوم على بخارى ، مما اضطر الأمير نوحا إلى طلب النجدة من أميرجوزجان أحمد بن فريغون الذي أخفق في ذلك وعقد معاهدة مع الحاجب فائق سنة (٣٨٤هـ)[١].

عند ذلك استنجد الأمير نوح بالأمير سبكتكين في غزنة ، فجمع عساكره لذلك ، وبلغ الخبر أبا علي وفائقا ، فاستنجدا بفخر الدولة بن بويه ووزيره الصاحب بن عباد . ، والتقت الجيوش بنواحي هراة ، ونشبت معركة قوية اسفرت عن هزيمة أبي علي ومن معه ، وانتصار سبكتكين[٢] ونوح ، عندها عين محمود بن سبكتكين قائداً لجيوش خراسان وأميراً لنيسابور وسبكتكين أميراً على هراة ، وعاد نوح إلى بخارى سنة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م)[٣].

وحاول ابن سيمجوروفائق استعادة ملكهما وهاجما محمود بن سبكتكين ،ولكن لم يفلحا في ذلك على الرغم من انتصارهما في بادئ الأمر ، وهربا من جديد وحاولا استرضاء الأمير نوح وانتهت الأمور بمقتل أبي علي سيمجور ،وفرار فائق إلى إيلك خان ملك الترك في كاشغر[٤].

وحرض فائق ملك اتلرك على حرب نوح ، فتوجه إليه بجيش كبير ، إلاَّ أن المعركة لم تحدث ، بل تم اتفاق على تولية فائق مدينة سمرقند[٥]، وظلت العلاقة وطيدة بين الأمير الساماني نوح وبين سبكتكين

---

(١)- ابن خلدون : العبر ٤/٧٦١- ٧٦٢.
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٥-١٤٦.
والكرديزي : زين الأخبار ٥٨-٥٩.

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى ١٤٥.

(٣)- ابن خلدون : العبر : ٤/٧٦١- ٧٦٢.
النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٦- ١٤٧.
والكرديزي : زين الأخبار :٥٨-٤٩.

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٤٦.
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٧٥- ٧٧٦.

(٥)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٧.
ابن الأثير : الكامل : ١١/٥٤
وابن خلدون : العبر : ٤/٧٧٦ و ٧٧٨

وولده محمود الغزنوي ،ويحاول بعض المؤرخين أن يتحدثوا عن نسب آل سبكتكين فيشيرون إلى انتمائهم إلى يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين حينا ، وإلى انحدارهم من إحدى القبائل التركية حينا آخر(١).

ولابد من الإشارة إلى إمبراطورية الخزر التي كانت مزدهرة في منتصف القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري ،والتي أحرزت انتصاراً عسكرياً كبيراً على البيزنطيين(٢).

ويبدو أن ازدياد قوة الروس شكل خطراً على الخزر ، وساءت العلاقة بينهما ولاسيما بعد أن منع خاقان الخزر أسطول الروس من المرور عبر الفولغا إلى بحر قزيون . وهذا الإجراء حمل الروس على مهاجمة (خزران - آتل) وتدميرها سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٨- ٩٦٩م) وكانت مركزاً تجارياً مرموقاً مما أدى إلى زعزعة أوضاع الخزر .

يضاف إلى ذلك أن المقدسي أشار إلى أنه سمع أن المأمون بن محمد قد أغار على الخزر كركانج (الجرجانية) وهزمهم ودعاهم للإسلام مما يعطي إشارة إلى الزمن الذي يحتمل فيه أن يكون الخزر قد اعتنقوا الإسلام ، ويفسر ارتباطهم مع خوارزم في تلك الفترة ، واحتلال هذه المدينة أكثر من مرة من قبل حكام الجرجانية(٣).

وكان من نتائج الحملة الروسية على الخزر أن أضعفت دولتهم وأنزلتها من مرتبة الإمبراطورية القوية إلى دولة ضعيفة ، وجعلت شعوب الترك يفلتون

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ١٣٥.
و The Gaznavids, P. 30 - 53 وحدود العالم : ٩٦ .
وابن خلدون : العبر : ٧٧٤/٤ - ٧٧٥.
(٢)- يهود الخزر : ٣١٥ و ٣٢٠ - ٣٢١ ، نقلا عن الدكتور سهيل زكار.
وحدود العالم : ٥٢٩ ،
ياقوت معجم البلدان : (روس) .
(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٢٢٣و ٢٣٤ .
ويهود الخزر : ٣٢٠- ٣٢١.

من زمام سيطرتها ، حيث أخذ بعضهم يبحث عن أرضٍ جديدةٍ للعيش ،ولذلك توسعوا نحو خراسان وماوراء النهر،أي باتجاه الدولة السامانية ، وقد أعانهم على توسعهم الوضع المتدهور للدولة السامانية وقتها.

وثمة إشارة إلى أن (سلجوق) قد أهان ملك الخزر وضربه ، وهو مؤسس الدولة السلجوقية(١)، وللمؤرخين أقوال في نسبه وأصله (٢).

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أوضاع الأطراف الشمالية للصين التي ظهرت فيها تكتلات قبلية مثل قبائل (الكيتانيين) في شمال شرق منغوليا ، التي حظيت بولاء كثير من القبائل في الغرب وكوريا ومنشوريا .وفي نهاية عام (٩٠٠م) أصبح الكيتانيون أهل السلطة في الشمال .وعندما أبعدت سلالة تي انغ (Tang) عن الحكم كان الكيتانيون من بين المطالبين بحكم الصين. كذلك طالب بالحكم أتراك شاتي (Shat,oturks) ولكن الكتانيين استطاعوا تدمير بوهاي سنة (٩٢٧م) على الرغم مما أصابهم من نكسات ، وهذا أخضع لهم كثيراً من القبائل ،منها قبائل التنغوس ، وجورش ، كما حظي هؤلاء بولاء القائد التركي (شيه شينغ يتانغ) الذي نصب على العرش الصيني كإقطاع خاضع لسلطان الكيتانيين ، وبناء على ذلك تغيير الإسم المنغولي للدولة التي تحكمها سلالة (Liao) لياو ، وخضعت مناطق كثيرة شمالي الصين لحكم لياو ، ولكن سرعان ماعاد الصولجان الصيني للسيطرة بعد أن أنهى سلالة لياو وذلك قبل سنة من نهاية حكم سلالة سونغ (Sung) (٣).

---

(١)- يهود الخزر : ٣٣١ ، نقلا عن الدكتور سهيل زكار.

(٢)- يهود الخزر : ٣٣٤ ، نقلا عن الدكتور سهيل زكار.
وابن فضلان : ١٤٣،
ومدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ترجمها وصنفها وقدم لها الدكتور سهيل زكار ١/٣١ - ٣٢، ٣٣ .

(٣)- A History of China from The Earliest times to the present day. By Woleram Ebernard. P.722 - 723.

وفي شمال الصين حكمت قبائل بدوية المناطق الريفية وعلى رأسها الطبقة العسكرية التي كان همها أن تحافظ على الأمن وتأخذ الأموال من الصين ، وهذا هو محور اهتمام الكيتانيين .

وجرت محادثات بين الصينيين ومملكة هسيا (Hsia) والكيتانيين، وانتهت بهرب مجموعة من الكيتانيين نحو الغرب ، شاركوا بغزو تركستان الشرقية وأسسوا دولة لياو الغربية التي كان حكمها بيد القبائل التركية أما الكيتانيون فكانوا نسبة قليلة انخرطت بالمجتمع ، ثم تنقلت الأمور بين مجموعة من القبائل التركية والصينية في تلك المناطق [1] والتيبت .

وبصعود الكيتانيين نحو الشمال بدأت أمورهم تتقدم ولاسيما بعد أن تفوقوا على السونغ ونادوا بشيخ قبيلة ملكا على هسيا عام (٣٧٩ هـ / ٩٩٠م)[2].

وبدأت دولة الكيتانيين تفرض وجودها في المنطقة وعلى جاراتها ونشأت علاقات مع الدولة السامانية بدءاً من القرن الثالث الهجري القرن العاشر الميلادي وذلك عندما توجهت جيوش السامانيين لفتح مناطق الكيتانيين كفتح نوح بن أسد لإسفيجاب ،وحمله إسماعيل الساماني على طرّاز ، وحمله الأمير نصر على شاوغر[3] ، وقيام جيش تركي بغزو بلاد ماوراء النهر في عهد اسماعيل ابن أحمد الساماني وهزيمته أمام السامانيين . وفي هذه الأثناء قامت جماعات كبيرة من الغز بالهجرة إلى بلاد ماوراء النهر وموافقة السامانيين على ذلك مقابل تعهدهم بحراسة الحدود[4].

---

(١)- A History of China from the Earliest .. P.723
ابن خلدون : العبر: ٨٤٧/٤- ٨٤٨

(٢)- A History of China ... P. 728

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧ و ١٣٢
ياقوت : معجم البلدان :٢٥/٢-٢٦ (تركستان)
و The Gaznavids . P. 72 - 82 .

(٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك / ٣٤٨/٨
ابن الأثير : الكامل :٣١٠/٨- ٣١١
المقدسي : أحسن التقاسيم :٢٧٥
وابن خلدون : العبر :٧٧٠/٤- ٧٧١

كما نزلت جماعة من الغز في منطقة الجنوب والجنوب الغربي من إسفيجاب ، إضافة إلى فرع آخر من التركمان برئاسة سلجوق الذي اعتنق الإسلام وكان على وفاق مع المسلمين ، مع أن خلفه لم يكن كذلك .

وقد فسح السامانيون المجال لأحفاد سلجوق كي ينزلوا في نواحي نور سنة (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) عندما احتل خان بلاساغون إسفيجاب[١].

وقد سبقت الإشارة إلى أن الملك التركي إيلك خان كان قد تشفع لفائق لدى الأمير نوح وولاه مدينة سمرقند وكان إيلك قد طمع في ملك الأمير نوح الساماني ، واعتزم الزحف على بخارى ،الأمر الذي حمل الأمير نوح على الاستنجاد بالدولة الفتية التي امتدت على مناطق كثيرة بقيادة سبكتكين، فجمع سبكتكين وابنه محمود الجيوش وطلبوا من نوح الاتجاه إليهم ولكن نوحا توفي سنة (٣٨٧هـ /٩٩٧م) في بخارى ، فلم يتم اللقاء والحرب[٢].

وبموت نوح تولى ابنه منصور بن نوح الإمارة ، وجعل فائقاً أميراً وأبا المظفر العتبي وزيراً ،وفي هذا الوقت توجهت قوات (إيلك خان سليمان) إلى بخارى واستقرت فيها فجمع منصور قواته بمساعدة فائق وهزموا قوات إيلك خان ، الذي ظل يهدد بخارى من حين لآخر[٣].

وكان سبكتكين قد حمى حدود السامانيين لفترة ، ولما توفي انتقل الأمر إلى ابنه إسماعيل ،ولم يدم له ذلك ،فانتقل الحكم إلى محمود بن سبكتكين الذي حاول الأمير منصور بن نوح الساماني منازعته الأمور ، فلم يفلح لقوة

---

(١)- ابن الأثير: الكامل : ٥٤/١١ .
الثعالبي اليتيمة : ٣١٦ .
النرشخي : تاريخ بخارى (الترجمة) :١١٦ و ١٢٧ .
و The Gaznavids, P. 722 - 730 .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٧ .
وابن خلدون : العبر: ٧٧٥/٤ - ٧٧٦ و ٧٧٨ .
(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى ص١٤٧- ١٤٨ .

محمود . ولم يدم الأمر كثيراً إذ إن بكتوزن أحد رجال منصور سمل عينيه سنة (٣٨٩ هـ/ ٩٩٨م) فانتقل الملك إلى عبد الملك بن نوح بن منصور الذي دامت سلطته ثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، لأن الأمير محمود الغزنوي تقدم للانتقام للأمير السالف ،وعند ذلك توصل إلى تفاهم مع أعدائه وتنازل عن نيسابور لبكتوزن ، واحتفظ ببلخ وهراة وذلك بعد أن أيقن أنه لايستطيع المواجهة ولاسيما بعد انضمام أبي القاسم سيجمور إلى جانب الأمير السامانى[1].

ولكن الحرب لم تلبث أن وقعت من جديد ، وأحرز محمود نصراًساحقاً استولى معه على خراسان ،وأرسل إلى الخليفة العباسي القادر بالله يعلمه أن حربه مع السامانيين كانت لأنهم انفصلوا عن الخلافة ، وبذلك ورث محمود الغزنوي ملك آل سامان وهرب عبد الملك إلى بخارى[2].

ولما بلغ الخبر إيلك خان قرر أن يجهز على ملك السامانيين في بخارى وماوراء النهر ، فتقدم بجيشه نحو بخارى مُدعياً مساعدة الأمير ،ولما وصل استقبله بكتوزن والأمراء والقادة قبض عليهم واستولى على بخارى سنة (٣٨٩ هـ/٩٩٨م) وانتهت دولة السامانيين .

وقد حاول المستنصر إسماعيل بن نوح أخو عبد الملك أن يعيد دولة السامانيين بعد هربه من سجن إيلك خان ،فانطلق إلى خوارزم واستقبله قابوس بن وشمكير وحاول مساعدته ، واستطاعا أن يحاربا جعفرتكين أخا أيلك خان في سمرقند وأسروه ،ولكن ذلك لم يجد نفعاً ولم تعد للسامانيين دولتهم التي بدأت قوية وانتهت ضعيفة مضطربة[3].

---

(١)- ابن خلدون : العبر: ٧٧٩/٤- ٧٨٠ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٧- ١٤٨ .
والكرديزي : زين الأخبار :٦٥-٦٦ .

(٢)- The Gaznavids, The Empire in Afghanistan and Eastern Eran. By C.E.Bosworth, P.721, 730
وابن خلدون : العبر: ٧٨٠/٤- ٧٨١ .

(٣)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٤٨-١٤٩ .
ابن خلدون : العبر: ٨٨٣/٤- ٨٨٤ .
وكرديزي : زين الأخبار :٦٥- ٦٦ .

وقد انتهت الدولة السامانية نهاية حزينة إذ إن عدداً من أمرائها أودعوا السجن ،وهم المنصور وإخوته أبو ابراهيم ،وإسماعيل ،وأبو يعقوب ،وأعمامه أبو زكرياء وأبو صالح وأبو سليمان ، وغيرهم ، وماتوا جميعا في السجن ، وبعض الروايات تشير إلى أن بعضهم حاول الهرب فقتله بعض أفراد القبائل هناك[١].

ودامت الدولة السامانية نحو مئة وخمسةوأربعين عاماً وامتدت رقعتها على آسيا الوسطى ،وكانت هذه الدولة محافظة على التقاليد الاجتماعية وعلى أوامر الدين ونواهيه ، ولذلك كانت الملاذ الكبير لعلماء المسلمين المتمسكين بالشرع والسنة ، وكان أمراء هذه الدولة يعدون خلفاء لآخر أسرة إيرانية حكمت تلك البلاد ، وتركوا تراثاً حضارياً وثقافياً لايستهان به ، ولذلك وجدنا كثيراً من المؤرخين والجغرافيين يتحدثون عن دولة السامانيين حديثا شيقا ويصفون ماكان فيها من حضارة ورقي واحترام للعلم والعلماء ، كالذي نجده عند المقدسي وابن حوقل ،ونظام الملك والثعالبي وغيرهم[٢].

وبانتهاء السامانيين سيطر على المنطقة الأتراك الذين اتصفوا بصبغة عسكرية فلم يكن لهم اهتمام كبير بغير هذا الجانب ولذلك آل امر المنطقة إلى الإنحدار والتراجع .

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٤/٨٤٦- ٨٤٧و ٨٣٣ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٢٤ و ١٤٩ .
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٦١ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٣٧- ٣٣٨ .
نظام الملك : سياسة نامة :٥٤ .
الثعالبي : اليتيمة : ٤٠ .
النرشخي : تاريخ بخارى ١٤٧- ١٤٨.
وابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٩- ٣٣٠ .

لابد لكل دولة من نظام يضبط أمورها وقوانين تسيرها ، ولما استقل السامانيون وأسسوا دولة لهم وضعوا لها الأسس والقوانين والمناصب التي تضبط الأمور وتدير البلاد على شكل حسن .

ويرجع النظام الإداري والعسكري الذي كان مطبقاً في العصر الساماني يرجع في أصوله - بشكل كبير - إلى النهج الخاص الذي رسمه وسار عليه الأمير إسماعيل الساماني في تنظيم شؤون الدولة وإدارتها بمساعدة رجال حكومته الأقوياء وبعض الكبار أمثال الوزير عبدالله الجيهاني وغيره .

وليس بين أيدينا معلومات كاملة توضح النظام الإداري والنظام العسكري للسامانيين ولانعلم بدقة ما الأنظمة التي كانت سائدة قبلهم وهذا مايرجح الرأي القائل : إن النظام في الدولة السامانية من عمل إسماعيل الساماني نفسه [١].

والذي يظهر للباحث أن طبيعة النظام القائم هي التي كانت - في الغالب - تحدد طبيعة المهام الملقاة على عاتق حكام الولايات والقادة ،وخاصة ولاية خراسان وبلاد ماوراء النهر التي كان عليها أن تثبت النظام والأمن وتخضع كل الفتن والمتمردين وتعيدهم إلى سلطة الحكم الساماني [٢].

وكان نظام الولاة في بداية الأمر نظاماً تعاقبياً يتم تغيير الولاة بكثرة وضمن أوقات قصيرة ، وهذا ماأدى إلى اضطراب الأمور واختلالها ، ولم يستتب الأمن في البلاد إلابعد أن ألغي نظام الولاة السابق ،وأصبح الولاة من أبناء أسر معروفة في مناطقها وصار حكمهم وراثياً [٣]،وكان هؤلاء يتمتعون

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٦٠/٥٦٠ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١١٠ ، ١١٢، ١٣٤ ،
وابن الأثير: الكامل :٣٨٠/٩- ٣٨١ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ١١-١٢ .
(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٥٢٥/٨ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٢٨ .
ابن حوقل : صورة الأرض ٢٧-٢٨ .
والنرشخي تاريخ بخارى :١٠٦ - ١١٦ .

بثقة السكان واحترامهم ، وكانوا ملمين بظروف البلادوأحوال السكان ،ولذلك سعى هؤلاء إلى تثبيت الأمور ثم سعوا إلى تحقيق مصالحهم الشخصيةوهذا ماكان يؤدي إلى استقلالهم الفعلي عن الدولة وبقاء الارتباط الأسمي فحسب .

ويمكننا أن نتحدث عن المناصب الإدارية والعسكرية للدولة السامانية من خلال استنتاجنا للأخبار التي وصلت إلينا على قلتها ، وهذه التنظيمات هي :

١)- الأمير :

وهو رأس الدولة السامانية ،والحاكم المطلق الصلاحيات ، وليس هناك سلطة أعلى منه تحاسبه أو تشاركه في الحكم ، حتى الخليفة في بغداد لم يكن له قدرة على التدخل في الشؤون الداخلية للأمير الساماني ، لأن التبعية في الغالب تبعية أسمية.

ولاشك في أن الأمير مطلع على كل مايجري من الأمور في دولته ، وهو يعمل على تحري أحوال الرعية والجيش ، حتى لايتهم بالتقصير ويتذمر الناس منه .

وقد جرت العادة في الدولة السامانية أن يجلس الأمير للمظالم يوميين في الأسبوع ، إلى خوان عظيم ، لإقامة العدل ، وإنصاف المظلومين ، والاستماع إلى شكاوي الرعية والتثبت منها ، فإذا تعذر الأمر على الأمير لسبب ما ، فإنه يكلف القضاء بهذه المهمة حتى لايجروء أحد على الظلم والتمادي ،خشية العقاب[1].

وكان يتوجب على الأمير أن يحسن إدارة الأمور ، وينظم البلاد ، ويهتم بمختلف طبقات الناس ، ويقوم بإعمار الدولة ، وشق القنوات ،وإنشاء الجسور والقنوات ومعابر المياه ، وإقامة الأسوار ،وتشييد المدن والأبنية الضخمة ، وإقامة الرباطات والطرق ، وكل مايمكن أن يعود بالنفع على الرعية[2]، هذا إضافة إلى إدارة سياسة الدولة وحماية الأمن ،وكان عليه أيضا أن يحسن اختيار الناس لإدارة البلاد وتسليمهم الوظائف والمناصب .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٢٣ .
ونظام الملك : سياسة نامة :٣٩ و ٤٤ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٣٩ .

وكان الأمراء السامانيون في نظر الخليفة في بغداد ولاة لهم على تلك المناطق ، أي عمال أمير المؤمنين ، وجباة ضرائب له [١]. ومما يؤكد هذا الأمر أنه عندما يختلف قائدان في تلك المناطق كان يلجأ كل واحد منهما إلى الخليفة ليأخذ منه عهداً بالولاية ليدعم موقفه أمام الناس وشرعيته في الولاية ، وإن كانت هذه النزاعات لاتنتهي بعهد الخليفة لأحد الطرفين ، بل بالسيف والحرب كما جرى بين البويهيين والسامانيين ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الأمر [٢]. وفي الغالب فإن الأمراء السامانيين تمتعوا بقوة ونفوذ فرضا احترامهم وهيبتهم وسلطانهم وسيادتهم على الناس حتى أطلق لقب (أمير المؤمنين) على عدد من الأمراء السامانيين وهو لقب الخلفاء العباسيين فقط [٣].

وكان لكثير من الأمراء السامانيين ألقاب أطلقت عليهم ، فقد أطلق على الأمير نوح لقب (ملك الملوك) ، وعلى والده منصور لقب (الأمير السديد) وعلى والده نوح لقب (الأمير الحميد) ، وعلى نصر والد نوح لقب (الأمير الرشيد) ولقب الأمير العادل على إسماعيل بن أحمد الساماني . وكانت هذه الألقاب في الغالب تتناسب مع أبرز صفات الأمير أو أعماله .

وكان للأمير حرس كما كان للخلفاء العباسيين حرس من الأتراك خاصة ولكنهم لم يبلغوا قوة الحرس لدى الخلفاء لأن الأمراء السامانيين في الغالب أقوياء وأصحاب هيبة ونفوذ [٤].

---

(١)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٥٢٥/٦.
(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٣٨٠/٨- ٣٨١ و ١٠٣/٩.
(٣)- ابن الأثير : الكامل :١٠٣/٩.
(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٣٤، ١٤٢، ١٤٤.
ابن حوقل : صورة الأرض :٣٩٠ و ٢٤٣ .
نظام الملك : سياسة نامة : ١١٧ و ٢٤٨.
الإصطخري : المسالك والممالك : ٢٩٢ .
وهلال الصابئ : التاريخ ٣٧٤ .

٢)- الوزيــــر :

يعين من قبل الأمير ،ويساعده في أدارة الأمور وتنظيم البلاد ،ومهمة الوزير مهمة صعبة لأنه على رأس العمال والمتصرفين ، ويجب أن يكون حسن الاعتقاد والمعاملة ، محباً للحاكم ، واسع الاطلاع على مايهم أمور الدولة .

وظهرت في الدولة السامانية مجموعة من الأسر كثر منها الوزراء واحتفظت بالوزارة بين أفرادها مثل آل الجيهاني ، وآل العتبي ، وآل البلعمي ، ولايعني هنا أن الوزارة وراثية ولكنها بين أفراد هذه الأسر فإن خرجت عنهم لفترة عادت بعد ذلك(١).

ومن الأمثلة على ماتقدم أنه في عهد الأمير السديد كان أبو علي البلعمي وزيره ، والبتكين والخواجة سبكتيكن قائدي جيش خراسان ، ومنصور بايقرا الحاجب الكبير ،وأبو يحيى بن الأشعث والياً على فرغانة (٢).

٣)- الوالــــي :

وهو منصب شغله في بعض الأحيان أفراد من الأسرة الحاكمة المحلية ، مثل قراتكين أمير أسفيجاب وابنه منصور . وشغل هذا المنصب أحياناً مماليك الترك وذلك جزاء ماقدموه من خدمات جليلة مثل آل سيجمور ،والبتكين ،وتاش ،وفائق ،وكل هؤلاء لم يكن بمقدور أحدهم شغل هذا المنصب إلاّ بعد بلوغه الخامسة والثلاثين من العمر . وقد تقدمت الإشارة إلى أخبارهم في الفصول السابقة.

ويعد منصب الوالي من المناصب العسكرية في الولاية .

٤)- قائد العسكر :

وهو منصب عسكري لمن يقود الحملات العسكرية ويخوض المعارك وكانت مراكز هؤلاء القادة تضعف أو تقوى بحسب قوتهم أولاً وبحسب قوة الأمير ثانياً .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٣٤ .

(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٤٧- ٢٤٩ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٢٧ .

٥)- حاجب الحجاب :

وهو أعلى المناصب العسكرية في الدولة ،وهو منصب والي خراسان ،وكان يحمل لقب (إسفهلار) أي قائد الجيش ، ويدعوه المقدسي بصاحب الجيش ، ومركزه الدائم بنيسابور، ومهمته الإشراف على جميع أملاك السامانيين جنوب نهر جيحون ، ومن التقاليد المتبعة في العهد السامانى أن يطلب الأمير مشورة قائد الجيش عندما يريد أن يعين شخصاً ما بمنصب الوزير[١] كما أن حاجب الحجاب يكون على رأس جميع رجال البلاط ويلقب أيضا (حاجب بزرك) .

٦)- الوكيل :

وكان يشرف على إدارة شوءون البلاط الداخلية ، وهو منصب مهم في العصر السامانى وذلك لأن صاحبه يذكر جنبا إلى جنب مع الأمير والوزير ، وهو لايقل أهمية عنهما ، ومحترم من قبل الجميع ويشرف على كل مايخص الأمير . ويهيىء نفسه للمثول بين يدي الأمير شهرياً أو يومياً ،وفي أي وقت ، وذلك لأنه الشخص الذي يعرف بكل مافي المجلس .

٧)- صاحب الحرس :

وهو المنصب الثاني في الأهمية بالبلاط بعد حاجب الحجاب ، وهذا المنصب قديم في الخلافة الإسلامية عامة ،وأول من أنشأه معاوية بن أبي سفيان[٢] . وكانت إمارة الحرس من الأهمية بمكان ، وكان على صاحبها أن ينفذ العقوبات ، والجميع يخشى غضب الأمير وعقابه .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٣٣، ١٣٤ و١٤٢ .
نظام الملك : سياسة نامة :٢٤٨- ٢٤٩ .
الثعالبي : اليتمة :٤/٤٥ .
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣٧ .
والطبري : تاريخ الرسل و الملوك :٦/٤٧٣ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوم :٨/٥٧٨ .

والأوامر كانت تعطى لأمير الحرس كي ينفذها ومنها ضرب العنق ، وقطع الأيدي والأرجل وما إلى ذلك من العقوبات .ومن خصوصيات أمير الحرس : الدف ، والطبل ،واللواء ،مع أحسن الوسائل وأفضل أدوات الزينة (١).

وربما استعمل الطبري في حديثه لفظ صاحب الحرس وصاحب الشرطة بمعنى واحد مما يدل على اقتراب مهمة كل واحد منهما من الآخر مع أن المنصبين يشغلهما شخصان ، ولعل منصب صاحب الشرطة أعلى من الحرس (٢).

٨)- حرس القصر :

وهم مجموعة مؤلفة من مئتي رجل على الأقل مختصون بحماية قصر الأمير، ويكونون عارفين بكل فنون القتال ، متمفين بالشجاعة والرجولة والتضحية . وهم ذوو مظهر حسن وبنية قوية . ويكون في الغالب مئة من خراسان ومئة من الديلم ، ويستلمون مئتي قطعة من السلاح تسترد منهم في أوقات معلومة ، كما يلبسون الثياب الثمينة ولهم رواتب دائمة .

٩) - نقيب الحرس :

وهو قائد مسؤول عن كل خمسين حارساً من حراس القصر،يتولى شؤونهم والإشراف عليهم ، وإصدار الأوامر والمهام، وجميع هؤلاء الخيالة المجهزين بكل الوسائل والمعدات ، وبعضهم يختص بالأمير ، وبعضهم يختص بالأمير،وبعضهم بالقادة أو الوزراء (٣).

والمعروف عن هذه الفترة أن غالبية سكان ماوراء النهر كان رجالهم مقاتلين أشداء يحملون السلاح ويعرفون بالشجاعة (٤).

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ١٦١- ١٦٢.

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٥٧٩/٨- ٥٨٠.

اليعقوبي : التاريخ ٢٧٦/٢.

ونظام الملك : سياسة نامة : ١٦١.

(٣)- نظام الملك : سياسة نامة : ١١٧.

النرشخي : تاريخ بخارى :١١٢- ١١٣ .

واليعقوبي : التاريخ :٢٧٦/٨.

(٤)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٨٧.

والنرشخي : تاريخ بخارى :٣٧- ٣١.

١٠)- قاضي القضاة والقضاة :

وهو رئيس الهيئة القضائية والقضاة ، وهو موكل بأمور القضاء ، وقد ينيبه الأمير للنظر بالمظالم عند الضرورة ،وعليه وعلى القضاة مسؤولية المحافظة على دماء الرعية وأموالهم وما إلى ذلك ، ولكل قاضٍ راتب شهري يكفيه أمور معيشته ، ويعتبر القضاة نواباً للحاكم ،ويترتب عليه أن يشد أزرهم ويساندهم في تطبيق العدالة ، ويحفظ لهم احترامهم ومنزلتهم المرموقة بين الرعية . وذكر النرشخي أن احمد بن إبراهيم البركدي كان قاضيا في عهد الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني ،وكان فقيهاً زاهداً(١).

١١)- المحتسب :

يعين إلى جانب القاضي في كل مدينة محتسب لمراقبة البضائع التي تباع في الأسواق خوفاً من الغش والاحتكار ، إضافة إلى عمله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعتبر وظيفة المحتسب مهمة للمحافظة على حقوق الفقراء ، ولذلك يلقى تأييداً من الحاكم(٢).

١٢)- رئيس المدينة :

وهو منصب وراثي في الغالب يوكل إليه إدارة المدينة ورعاية مصالح الناس فيها وتلبية احتياجاتهم ، وكان هؤلاء يعينون في العصور الأولى من بين الأسر المحلية المشهورة .

وكانت هذه الأسر الحاكمة تفرض سيطرة ونفوذاً على المدن وتستقل أحياناً بالحكم ولم تعد لها غير التبعية الاسمية للأمير ، وهذا مايعرقل تطبيق جميع الأنظمة والقوانين على الولايات كلها بشكل واحد وكامل ،ومن هذه الأسر أسرة آبي داود ببلخ ، وآل

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :١٨ .

(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٢٧.

البلاذري : فتوح البلدان ص٤١١.

النرشخي : تاريخ بخارى : ١٧ .

الطبري : تاريخ الرسل والملوك :٥٦٨/٦- ٥٦٩.

الصفار بسجستان ،وآل فريغون في جوزجان ، وهناك حكام وطنيون في غزنة قضى عليهم آلبتكين[1] وكذلك الأمر بالنسبة للأسرة الحاكمة في بست كانت من الأتراك ،ومثلهم كثير في باقي المدن ، وكان هؤلاء يقدمون الهدايا للأمير دون الخراج ولاسيما عندما يكونون أقوياء كحاكم إسفيجاب وحاكم إيلاق الذي تمتع بنفوذ سياسي كبير لكثرة أمواله واتساع أملاكه ، وقد وصفه المقدسي بأنه (دهقان قوي)[2]،وكان أكثر الأمراء المحليين نفوذاً أمراء خوارزم وإسفيجاب وصغانيان[3]. وقد مر معنا أن العرب المسلمين كانوا يتركون الأسر المحلية الحاكمة حتى يكسبوهم إلى جانبهم.

١٣)- الخواجة :

وهو منصب رئيس ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء ، وبذلك فهو يرأس أهل القلم ، ويأتي في أعلى الهيئة الديوانية ، وله شارته الخاصة ، ويبدو أن هذه الوظيفة كانت وراثية في الغالب ، ويتوجب على صاحبها أن يتحلى بالأخلاق الحسنة لأنه مكلف بإيصال الامور إلى الناس .وربما أطلق عليه لقب (عميد الملك) او(خواجة عميد) .والموظف المدني الذي يقوم بهذه الوظيفة يحمل أيضاً لقب (العارض) ويخضع في جميع تصرفاته لصاحب الشرطة ،ومن مهامه صرف أرزاق الجند والاطمئنان على أحوالهم وتأمين احتياجاتهم[4].

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ١٩٦/٨.
المقدسي : أحسن التقاسيم :٢٧٥ و ٢٧٧.
وابن حوقل : صورة الأرض : ٤٠١.
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٢٧٧.
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٤٦.
(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض :٤٠١.
(٤)- الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٩-٣٢ و ٦٩ - ٧٠ و ٧٥ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :٧٥ - ٧٦ و ١٤٥.

١٤)- رجال الدين والأستاذ :

وهم طبقة العلماء والفقهاء ، وتمتعوا في العهد الساماني بمكانة خاصة لسيطرتهم على أغلبية الناس وحاجة الأمير إليهم ، وقد مر بنا كيف أن موءسس الدولة السامانية قد ثبت ملكه في بخارى مستعيناً بهم . وكانوا يختارون من بين الحنفية خاصة في بخارى ، لأنهم كانوا يعدون باقي المذاهب كالرافضة والإسماعيلية والشيعة من أعداء الدولة.

ويترأس هذه الفئة من رجال الدين مايوازي منصب شيخ الإسلام في العصور اللاحقة ، وهو يحمل لقب (أستاذ) .

وكان أمراء السامانيين يحترمونهم ويجلونهم ولايكلفونهم بتقبيل الأرض بين يديهم كعامة الناس احتراماً لمنزلتهم وتكريماً لهم[1].

١٥)- الخطيب :

وهو من المناصب الدينية الخالصة في الدولة السامانية ، ولايصبح الرجل خطيبا إلا بعد إجراء اختبار له والتأكد من نفوذه وحفظه للقرآن الكريم ، لأنه يوءم الناس ويعظهم ، والصلاة مرهونة به فهو القدوة ، ولذلك لايوظف بهذا المنصب إلأبعد اختبار لعلمه[2].

أما الخطبة في المساجد فكان يقوم بها عادة الوالي أو خليفته ثم انتهت هذه العادة في زمن السامانيين لأن أغلب الأمراء من الترك والفرس الذيم لايجيدون اللغة العربية ، وقليلون منهم الذين تجتمع فيهم صفات الأمير والخطيب [3].

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ٣٤-٣٥ ، و ٢٢ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٧ و ١٠٩ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة :٨٨ .
(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣٩- ٣٤٠ .

١٦)- المشـــرف :

وهو منصب المراقب ، ويقوم عليه رجال ممن يعتمد عليهم اعتماداً كاملاً ، لأن مهمتهم الإحاطة بكل مايجري في البلاط ، وعلى المشرف أن يعين نائباً له في كل ناحية ومدينة للإشراف على تحصيل الخراج ومراقبة الأمور[١].

وهناك مناصب أخرى وطبقات لها مكانتها في الدولة السامانية من ذلك العسكر ، فإن المناصب العسكرية الكبرى لم تكن وقفاً على ضباط الحرس وحدهم ، بل كانت تتقلدها أيضا الأسر المحلية ذات الشأن ، وقد وجد بين صفوف هؤلاء الدهاقنة الذين تحدث عنهم الطبري في مواضع عديدة ، وابن حوقل الذي أشار إلى نفوذ هذه الطبقة ومسايرة الأمراء لها حرصاً على استتباب الأمن والنظام ، وقد كان هؤلاء الدهاقنة على علاقة حسنة مع الأمراء في كثير من الأحيان ولاسيما مع إسماعيل الساماني[٢].

وكان الجيش يتخذ من كل الفئات ، مما ساعد على استقرار الأمور وقلل من أخطار الفتن والتخريب والفساد ، لأن الجيش أساس الحكم ، وكان يتطلب كثيراً من النفقات لكي يؤمن الحماية للبلاد ، وقد حرص الأمراء على تأمين رواتب الجند وأرزاقهم وعدم التأخير بها لئلا يثوروا ، وقد حدث أن تأخرت أرزاق الجند في عهد السلطان نوح فثاروا عليه وأحدثوا شغبا في البلاد[٣].

وكان يرابط من العسكر في القصر ألف رجل من خراسان والديلم ، والباقي من بقية الفئات ممن يؤمن غدرهم إلى جانب الترك والدهاقنة[٤].

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة :٨٨ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٥ - ٣٢٠ و ٦٢٢/٦ .
ابن حوقل : صورة الأرض :٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٣)- نظام الملك : سياسة نامة :١٢٦- ١٢٧ .

(٤)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك :٤٠٤/٦ و ٤٢٥ و ٤٤٧ .
الإصطخري : المسالك والممالك :٢٩٢ .
النرشخي : تاريخ بخارى :١١٢ - ١١٣ و ٢٣ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٤٣.

/ ويصف نظام الملك الطريقة التي يرتقي بها الجندي في البلاط السامانى ضمن التسلسل العسكري ،فهو يبدأ في العام الأول سائسا للخيل، ولايجروء على امتطاء صهوة الجواد حتى في السر لأنه يعاقب على ذلك عقاباً صارماً . وبعد عام من سياسة الخيل يتسلم حصاناً تركياً بأمر من الحاجب وموافقة رئيس الخيمة (وثاق باشي) ويظل في حوزته جهاز بسيط . وفي العام الثالث يمنح حزاماً خاصاً يدعى (قراجور) . وفي العام الرابع يعطى قوسا وكنانة سهام. وفي العام الخامس يتسلم سرجاً أكثر جودة، ولجاماً ملوكياً ، وزياً أفخر ، ودبوساً ، وفي العام السادس يمرف له قدح . وفي العام السابع يتسلم رداء العرض العسكري . وفي العام الثامن يحمل لقب (وثاق باشي) أي رئيس الخيمة ، ويكون رئيساً على ثلاثة غلمان من المماليك الجدد ، ويمكن أن يصبح بمنصب (خيل باشي) أي قائد كتيبة فرسان ، وهكذا حتى يصل في النهاية إلى مرتبة الحاجب[1].

وإلى جانب المناصب السابقة هناك وظيفة البواب ،والخدموالندماء.

وهناك أيضا طبقة الفرسان التي اتصفت بالشجاعة والإقدام والسرعة في تنفيذ مهماتها مع افتقارها في الغالب إلى التنظيم ، وكان هوءلاء من " اتباع المرازبة والأساورة والأشداء " كما وصفهم الطبري[2].

كذلك وجد لقب (صاحب البريد) أو (صاحب الخبر)،و(المنهي) وعملهم تبليغ الأقاليم بأسرع مايمكن الأخبار ومايستجد من أمور . وتدفع أجورهم من الخزانة ليقوموا بواجبهم على النحو الأفضل ، ولايقبلوا بالخيانة أو ماإلى ذلك [3].

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة :٢٩-٣٠.
(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٧٣/٦.
(٣) - نظام الملك : سياسة نامة :٢٨.
والطبري : تاريخ الرسل والملوك :٤٣٠/٦- ٤٣١ و ٤٧٣ .

وقد أصدر ألبتكين أمراً إلى جنوده يمنعهم فيه أن يأخذوا شيئاً من أي شخص دون أن يعطوه ثمنه ، وكل مخالف يخضع لعقوبة شديدة ، وحدث أن أحد الجنود أخذ مخلاة ودجاجة ظلماً ، فأمر البتكين بشنقه على قارعة الطريق ، ليعتبر به غيره.

وقد لجأ الأمراء والقادة في كثير من الأحيان إلى استخدام (الجواسيس) للتبليغ عن تصرفات الولاة ،ولمراقبة أطراف الدولة ، ويكونون بهيئات شعبية مختلفة غير معروفة أو مميزة لئلا ينتبه إليهم أحد ليستطيعوا استقصاء الأخبار ونوايا الناس والعمال في كل مكان[(١)] ولذلك كان سلطان السامانيين من القوة بحيث إنه كانت تصل إلى الأمير كل المعلومات من جهات الدولة وهذا ماساعد الأمراء على ضبط الأمور ، وعلى توسيع أملاكهم الخاصة[(٢)]

وفي زمن السامانيين كان يوضع (سعاةومرشدون) على الطرق المعروفة ويخصص لهم أجور شهرية ومكافآت حتى يهتموا بنقل مايقع من أخبار وأحداث في الليل والنهار ، وعليهم مراقبون يراقبون صدقهم في أعمالهم[(٣)].

وجرت العادة إرسال الرسل بمهمات خاصة يطلع عليها أولو الأمر ، وكان الرسل يكرمون ويعانون على تأدية واجبهم.

ولما كان الأمير الساماني هو الذي يعين عمال الولايات ،فإنه من الطبيعي أن توجد المناصب نفسها في تلك النواحي كالتي في العاصمة مع اختلاف يسير وهو أن الوزير كان يحمل لقب (الحاكم في الأقاليم)[(٤)].

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة :٣٤ و ٨٩ .
النرشخي : تاريخ بخارى :٢٤ .
والطبري : تاريخ الرسل والملوك :٦/٤٣٠- ٤٣١ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٣٤-٣٥و ٥٣ .
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٨- ٣٢٩ .
ابن حوقل : صورة الأرض :٣٤١- ٣٤٢ .
والخوارزمي : مفتاح العلوم :٦٥-٦٦ .
(٣)- نظام الملك : سياسة نامة : ٣٩ و ١١٠ .
(٤)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٩ .

وكان من عادة السامانيين ألا يولوا رجلاً واحداً منصبين في آن واحد ، وألا يولوا المغمورين مناصب بارزة في الدولة ، حرصاً على ضبط الأمور واستتبابها.

ومن الملاحظ أنه أضيفت كلمة (الدولة) إلى اسماء القادة والأمراء مثل : شرف الدولة ، وحسام الدولة(1).

كما كان هناك نوع من النظام المفروض في وقوف الكبراء وغيرهم من العبيد والخدم في حضرة الأمير ، ويجب أن يراعى نظام الوقوف مثلما يراعى نظام الجلوس ، حيث كان يقف حملة السلاح والسقاة بالقرب من سرير الأمير ويلتفون حوله ويمنعون أحداً من الاقتراب منه ، وعلى رأس هؤلاء في إبعاد الناس عن الأمير صاحب البلاط .

ويبدو أنه درج أن يلبس الأمراء وأصحاب المناصب الزي الزنديجي الذي ينسج في قرية (زندة) من قرى بخارى ،وكان الكبار والملوك يتخذون ثيابهم منه ويشترونه بثمن الديباج(2).

أما فيما يتعلق بنظام الدواوين ، فقد كان النظام الديواني المعمول به في العصر الساماني متطوراً الى حد كبير ،ويذكر النرشخي عشرة دواوين كانت موجودة وهي :

١- ديوان الوزير

٢- ديوان صاحب الخزينة (المستوفي)

٣- ديوان عميد السلطان

٤- ديوان صاحب الشرطة

٥ - ديوان صاحب البريد .

٦- ديوان الصاحب المؤيد .

---

(1)- نظام الملك : سياسة نامة : ١٠٨ .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٢٥- ١٢٦ و ١٢٩ .

(2)- نظام الملك : سياسة نامة :١٦١ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ٢٣-٢٤ و ٣١ .

٧ - ديوان المشرفين
٨ - ديوان الأملاك الخاصة (أي أملاك الأمير) .
٩ - ديوان المحتسب .
١٠- ديوان الأوقاف . وديوان القضاء[١].

ومما له صلة بالدواوين أننا كثيراً ما نجد كلمة (المستوفي) تتفق ولقب الخازن أو دار الخزينة ،ويوجد موظفون يعملون تحت إمرته يسمون الحساب (جمع حاسب) . وإن هذه الإدارة تتفق و (ديوان الخراج) عند العباسيين ،وجرت العادة أن يسند عمل المستوفي إلى أحد خاصة الملك أوخدمه ، ومن يهابه الناس [٢].

وكان المشرف يعمل جنباً إلى جنب مع أصحاب الخزينة حيث يقومون بمهمة تسجيل أملاك البلاط ، ويستنتج من هذا أن إشرافهم كان ينصب على الأموال المخصصة لبلاط الأمير .

أما ديوان الخاصة الملكية الذي كان يسمى في عهد العباسيين (ديوان الضياع) فكان في العصر الساماني تحت إشراف الوكيل نفسه .

وكانت رواتب الجند والموظفين في العصر الساماني تدفع أربع مرات في العام ،كل ثلاثة أشهر مرة ، كما كان عليه الحال عند عمرو بن الليث الصفاري[٣] إذ كان عنده نظام معين يقسم فيه مالية الدولة بين ثلاث خزائن ،ويبدو أن السامانيين قد جعلوا أموالهم في خزينتين الأولى تحوي الأموال المستعملة في مصروفات الدولة المختلفة ،والثانية تستخدم أوقات الضرورة القصوى .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى :٤٤ .
ابن حوقل : صورة الأرض :٣٨٩ .
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣٧.
ابن الأثير : الكامل :١٠/١٣٨ .
ونظام الملك : سياسة نامة : ٢٦ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ٧١ .
الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/٥٨٧ - ٥٨٨
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٠٠و٣٤٠، النرشخي : تاريخ بخارى :٧٥ ،
(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض :٣٤١-٣٤٢ .

كما جرت العادة لدى السامانيين أن يشكل عمال البريد ديواناً خاصاً مستقلاً عن حكام الولايات ، ومن مهام صاحب البريد أن يكون عنده أخبار كل مايجري ليقوم بإطلاع الأمير على كل مايجري في دولته مبرهنا على أنه يقظ وأن له مخبرين للضرب على أيدي الظالمين وأهل الفتن ، وبذا ينصرف الناس للبناء والإعمار . والمعينون في هذا المنصب هم من الأمناء والمستقيمين(١).

أما النقود في بخارى فكانت تستعمل النقود الفضية ، ويطلق عليها عامة الناس اسم (غدريفي) ، وقد أشار النرشخي إلى أن أول من ضرب الفضة ببخارى هو الملك (بخارخداه) الذي ظل على المدينة ثلاثين عاماً. وكان يتاجر في بخارى بالكرباس والقمح ، وعندما أخبروه بأن الولايات الأخرى قد ضربت النقود الفضية ، أمر بأن تضرب نقود في بخارى من الفضة الخالصة ، وأن تنقش عليها صورته بالتاج ، وقد تم هذا الإجراء في الزمن الذي كانت فيه الفتوحات الإسلامية تتجه في الأرض في زمن الخليفة أبي بكر الصديق(٢).

وضربت النقود الغدريفية بقصرماخك أو ماخ ، وكانت نسبة الفضة في الدرهم الغدريفي أكثر من الأخلاط الأخرى .

أما السامانيون في بخارى فقد ضربوا عملة صغيرة ،رقيقة من النحاس سميت (بشيزات) أو الشيزات العدلية ، أما في باقي الولايات فقد كثرت فيها الأخلاط ، إذ ضربت الدراهم الفضية من ستة أخلاط هي الذهب والفضة والمسك والقصدير والحديد والنحاس ، ولهذا كانت سوداء ، ولم يتقبلها أهل بخارى، كانوا يعادلون كل ست دراهم غدريفية بدرهم واحد من الفضة الخالصة ، ولهذا ارتفع خراج بخارى .وكان قديماً مئتي ألف درهم فضي .

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة :٨٩ .
النرشخي : تاريخ بخارى :٢٥-٢٦ .
المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣٨- ٣٣٩ .
والخوارزمي : مفاتيح العلوم :٦٥ .
(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى :٥٩ و ٦١ .
وابن الأثير : الكامل : ١٩٦/٨ .

وعندما ضربوا الدرهم الغدريفي وراج استعمال الفضي المقوم بستة دراهم غدريفية الزمهم السلطان أداء الخراج بالدرهم الغدريفي فارتفع لذلك خراج بخارى كثيراً مما كان عليه ، فقد بلغ خراجها في أيام أمراء آل سامان مليوناً ومئة وثمانية وتسعين الفاً وخمسمئة وستة وستين درهماً وخمسة دوانق ونصف الدانق مع خراج كرمنية ، وقد قل الخراج بعدها في كل النواحي ، ورفع عن بعض النواحي لتعرضها للغرق والكوارث ، كما أن بعض النواحي خرجت عن سلطة الامير فلم تعد تدفع الخراج مثل بيكند(١).

أما المكوس ، فكانت تجمع عادةً عند معابر جيحون بمقدار درهمين على الحمل ودرهم على أمتعة الراكب . وكان يجري تفتيش دائم في منازل الوصول بسبب سبائك الذهب والفضة التي ترد إلى بخارى.

وكان لايسمح للرقيق الترك بالعبور إلاّ بجواز من السلطان يكلف صاحبه (٧٠ ـ١٠٠) درهم ، وكذلك بالنسبة للجواري التركيات ، كما أن النساء تدفع مابين العشرين إلى الثلاثين درهما(٢).

تلك هي أبرز مظاهر النظام الإداري والعسكري للدولة السامانية وقد لاحظنا كيف أن مقاليد الأمور كلها كانت بيد رجل واحد هو الأمير ، وباقي المناصب تتبع له ، وليس هناك من يحاسبه ، وكانت منزلته تترسخ أو تهتز بقدر مايكون قوياً وممسكاً بزمام الأمور ، وهذا ماجعل بعض القادة أو الولاة يحاولون الانشقاق أو التمرد ولاسيما إذا وجدوا قوة خارجية تعينهم على ذلك.

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٤ و ٦٠ و ٦١.
وابن حوقل : صورة الأرض ٤٠١.
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٤٠٤ ، ٤١١.
وابن الأثير : الكامل : ١/ ١٩٦.

وقد غلب على الدولة السامانية الطابع العسكري ، مع أن كثيراً من أمرائها اتصفوا بالعلم وأكرموا العلماء ولم ينسوا الجوانب الحضارية الأخرى للبلاد .

وبفضل هذا النظام الإداري والعسكري القويم والمتطور بالقياس إلى غيره ، واستتباب الأمن ازدهرت التجارة والصناعة وازدادت العائدات التي ترد من الولايات ، وتحسنت أحوال الرعية بشكل ملحوظ ، مما أدى إلى ازدهار الحياة بشكل عام .

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

الفصل السادس

الحياة الاقتصادية

الزراعة

الصناعة

التجارة

مزايا السكان

لما كانت الحياة الاقتصادية تعتمد على الأرض ومافيها من ثروات ، وعلى انتاجها الزراعي ومايتأثر به ،وعلى جهد الإنسان في كل ذلك وفي الصناعة والتجارة ، كان لابد لنا في بداية هذا الفصل من الحديث عن طبيعة المناخ والتضاريس للدولة السامانية لأن في ذلك تمهيداً للحياة الاقتصادية ومشيراً إلى كثير من قضاياها.

ويعد إقليم ماوراء النهر من الأقاليم الباردة جداً باستثناء خراسان فهي أقل برودة ، وتشتد البرودة شتاء وتهبط درجة الحرارة إلى نحو (٢٠°) مئوية تحت الصفر ، وتتساقط الثلوج بكثرة ، وتتعرض البلاد إلى عواصف هوجاء في الشتاء[1] مما يؤدي إلى خراب المواسم الزراعية أحيانا .

وتتميز أرض ماوراء النهر بوعورتها ، وتنوع تضاريسها ففيها الجبال الشاهقة الموحشة ، والوديان الصخرية السحيقة ذات الأخاديد المسننة ، ولاسيما في جبال طاجكستان والقسم الشرقي من أوزبكستان وقرغيزيا والصين الغربية وشمال أفغانستان وهذا مما يؤثر في طبيعة المناخ ، كما يقلل من المساحات الزراعية المنتجة بشكل جيد .

وتتصل بلاد ماوراء النهر بالهضبة الإيرانية وجبالها اتصالاً كاملاً ، حتى لتكاد تشكل منطقة جبلية واحدة. تشتد وعورتها كلما اتجهنا شرقا حتى تصل أشد ما تكون عليه من الوعورة والارتفاع في هضبة بامير المشهورة وجبالها العالية عند الحدود الصينية الروسية [2].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى ص ٣٤ ،وقتيبة بن مسلم الباهلي : ٤٠-٤١ ، والمقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٢-٣٢٣ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٨١ و ٣٨٤ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٣٨ - ٣٣٩ .
وابن الفقيه : مختصر البلدان :٣٦٥- ٣٦٦ .

وتتشكل مجموعة من السهول تنحصر بين وادي جيحون الذي ينبع من هضبة بامير ويصب في بحيرة أورال ، وبين وادي سيحون الذي ينبع من شمال بامير ويصب أيضاً في شمال بحيرة أورال ، إذ يتشكل جيب من السهول داخل منطقة الجبال العالية لآسيا الوسطى .

وهذا السهل محصور بين بحر الخزر من الغرب ، وجبال مشهد الإيرانية ، وأفغانستان من الجنوب ، وجبال طاجكستان وأوزبكستان من الشرق . وتمتد ضمن هذه المنطقة ثلاثة أنهار رئيسية وفروعها ، وهي :

١)- نهر هاري ورد الذي ينبع من جبال كابل الأفغانية ، ويجري غرباً جنوب مدينة هراة الأفغانية .

٢)- نهر جيحون (أموداريا) : يوازي هاري ورد ويقع إلى الشمال منه .

٣)- نهر سيحون (سرياداريا) : يوازي جيحون ، ويجري شمالاً حتى يصب في بحيرة أورال[1].

وتشكل الأنهار الثلاثة وفروعها وفرة مائية جيدة تروي السهول وتساعد في تنمية الانتاج الزراعي . وتعتبر سهول هذه المنطقة من أغنى بقاع العالم في المحاصيل الزراعية ، إلى جانب غناها بالمدن والقرى العامرة ، لذلك سكنتها مجموعات مختلفة من السكان من التتر والأتراك والصغد والطاجيك والأوزبك ..

---

(١)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٦٥ - ٣٦٦ .
الحميري : الروض المعطار : ١٨٥ و ٣٣٣ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨١ و ٣٩٣ .
وقتيبة بن مسلم الباهلي : ٤١-٤٢ .

وقد وصفها الحموي في معجم البلدان فقال : " ناحية كثيرة المياه ، نضرة الأشجار ، متجاوبة الأطيار ، مونقة الرياض والأزهار ، ملتفة الأغصان ، خضرة الجنان ، تمتد مسيرة خمسة أيام لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ، ولاتبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند ، وقصبتها سمرقند[1]. أما الجبال فهي مكسوة بالغابات والأحراش في القسم الجنوبي الكائن في طاجكستان ، ووعرة وحشية جرداء في السلاسل الكائنة في سمرقند وطشقند ، ويتخللها مضائق وأخاديد ووديان سحيقة ، ولاتجري السفن إلا بجيحون ونهر الشاش .

ومياه هذا الإقليم من أعذب المياه وأبردها وأخفها ، وهي من الكثرة بحيث تعم الجبال والضواحي ، ولايوجد مكان بما وراء النهر يخلو من مدن تسقى أو مراع لسوائمهم والثلوج تغطي جميع نواحي المنطقة مدة طويلة من السنة ، والمناخ معتدل ، باستثناء بعض مناطق السهوب كبخارى وكركي وقراقول ، فإنها تتفاوت فيها درجات الحرارة مما يجعل مناخها سيئاً .

ويعتبر مناخ بخارى غير صحي ، وتكثر فيها الأمراض ، ويذكر النرشخي أن الأرض التي أقيمت عليها بخارى كانت مناقع وغياضاً ومروجاً عامرة بحيوانات الصيد ، وقد تكونت من فياضانات نهر (ماصف) الذي عرف فيما بعد بنهر الصغد ، ويفيض هذا النهر من ذوبان الثلوج في أعالي الجبال ، ويجرف الطمي الذي يملأ

---

(١)- الحموي - ياقوت : معجم البلدان : ٢/٣٣٥ - ٣٣٦ .
النرشخي : تاريخ بخارى : ٧-٨ .
وقتيبة بن مسلم الباهلي : ٤٠ ، ٤٢ .

به الوهاد ، ويتخلف عنه الماء الذي يكون المناقع ، وقصد الناس هذه الأرض لطيب هوائها وخصبها[١].

أما المقدسي فيصف مناخ نواحي إقليم خراسات بقوله : " هو إقليم بارد ، الأسجستان وبست وطبس وهراة فإنهن على هواء جروم الشام ، وأما بلخ فهواؤها عراقي ، وهواء مرو شامي ، وبرد خراسان ألين من برد هيطل[٢]، وهذا الإقليم كله يابس ، ثم لايتساوى اليبوسة أيضاً ، وكلما اشتد موضع برد هذا الإقليم اشتد حره إلاّ سمرقند فإنها طيبة في الصيف ، وكذلك نيسابور ، غير إنها ألين برداً من سمرقند ، وفي هذا الإقليم كله ينامون على السطوح وهم في تعب[٣]".

ثم قال المقدسي موضحاً ذلك : " ودخل عبدالله بن المبارك على عبد الرزاق بصنعاء فسأله عن الهواء وبخراسان ، فقال : إننا ننام ثلاثة أشهر في البيوت وثلاثة في الصفصاف ،وثلاثة فوق السطوح[٤].

كذلك فإن ابن الفقيه تحدث عن مناخ خراسان وصفات أهل هذا الإقليم فقال : " وبخراسان اعتدال الهواء ، وطيب الماء ، وصحة التربة ، وعذوبة الثمرة ، وإحكام الصنعة ،وتمام الخلقة ، وطول القامة ، وحسن الوجوه ، وفراهة المراكب من الخيل والإبل والحمير ، وجودة السلاح والدروع والثياب ".

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٦-٧ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٢٣٧- ٢٣٨ .

(٢)- لعل التسمية نسبة إلى الهياطلة الترك مع أن ياقوت قال : سميت بهيطل بن عالم بن سام بن نوح : معجم البلدان : مادة هيطل .

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٢-٣٢٣

(٤)- المصدر السابق : ٣٢٢- ٣٢٣

كما قال : " وهم أشد العدو بأساً ، وأغلظهم أكباداً ،وأصبرهم على البأس آنفا ، وقد جاء في الحديث : اتركوا الترك ماتركوكم[1] ".

ويُعد أقليم ماوراء النهر من أخصب أقاليم الأرض وأكثرها خيراً ، وإلى أهله تنسب كثير من الفضائل ، وهم يوصفون بأنهم " أهل بسالة وسلاح ، وعلم وصلاح "[2].

ونستطيع أن نستنتج من ذلك كله أن التنوع الواضح في التضاريس واختلاف المناخ من منطقة لأخرى أدى إلى تنوع الموارد الاقتصادية بشكل عام ، ووجود أنماط مختلفة من الحياة تتفاوت بين المدن والقرى من جانب ، وبين مدينة ومدينة من جانب آخر ، وقد أثر هذا التفاوت في التركيب البيولوجي لسكان المنطقة ، فتعددت اهتماماتهم وتنوعت أعمالهم ، فقد أتقنوا الصناعة ، ومهروا بالتجارة ، وعملوا بالزراعة والرعي ، وكانوا على شأن كبير من العلم والفقه والأدب ، ومضرب المثل في البأس والشجاعة ، وكل هذا ينبئ بتقدم اقتصادي للمنطقة وازدهار حضاري متوقع ، ولاسيما أن إنتاجها يكفيها ويزيد لخصوبة أرضها ووفرة وارداتها حتى وإن تعرضت إلى قحط أو آفة ، لأن ذلك نادر ، وقد كثرت أيضا في هذه المنطقة الحيوانات النافعة كالبغال والإبل والحمير والأغنام ، وهذا كله يسهم في قوة الاقتصاد .

---

(١)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٦، ٤٩٤ .
والحميري : الروض المعطار : ٢١٥ .

(٢)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٣٦٠ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨٤- ٣٨٥ .
والإصطخري : المسالك والممالك : ١٦٤- ١٦٥ .

وإضافة إلى طبيعة البلاد التي تساعد على نهضة الزراعة والثروة الزراعية والحيوانية ،فإنها اشتملت على معادن مختلفة كالفضة والحديد والذهب والزئبق ، ومعادن بنجهير الوفيرة ، إضافة إلى النوشادر الذي يضاهي مافي سائر بلاد الإسلام بقوته ، إضافة إلى ثبات الكاغد الذي تميز أيضاً بجودته ووفرته (١).

وفي بلاد ماوراء النهر إنتاج فائض من الفواكه ، حتى إنهم يجعلونه علفاً للدواب لكثرته في معظم أنحاء الدولة ، باستثناء بعض المناطق

ونشطت في إقليم ماوراء النهر وماحوله من المناطق التجارة وتعددت البضائع المتداولة بين الأقاليم وبين الناس ، كل يتاجر بما عنده ، من ذلك أن تجارة الرقيق انتشرت وكثرت ، فكان يؤتى به من الترك المحيطين بهم ، مع وجوده بينهم ، ثم ينقلون الفائض إلى سائر أنحاء بلادهم.

وكانوا يجلبون من التيبت المسك وخرخيز ، وهو من أكثر الأنواع جودة ، وأغلاها ثمناً.

ويكثر في الصغانيان الأوبار والسمور والسنجاب والثعالب فينقلونه إلى واشجرد ويبيعونه هناك مع طرائف من الخذنك (نوع من الجمال) والبزاة وغير ذلك مما يتنافس به الملوك ويحتاجون إليه لتقديمه كهدايا (٢).

---

(١)- الاصطخري : المسالك والممالك :١٦٤- ١٦٥ .
وابن حوقل : صورة الأرض :٣٨٤ - ٣٨٥ .
(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٦٠- ٣٦١ .
الإصطخري : المسالك والممالك :١٦٤-١٦٥ .
والثعالبي : لطائف المعارف :٢١٩.

وقد أورد المقدسي خبراً مفصلاً تحدث فيه عن منتجات المناطق وما دار بينها من تجارات وصناعات ،ويحسن بنا أن نورده بتمامه لما فيه من دقة وتفصيل ، قال : " وأما التجارات فترتفع من بخارى الثياب الرخوة والمصليات ، والبسط ، وثياب الفرش الفندقية ، وصفر المنابر، وحزم الخيل تنسج في المحابس وثياب أشموني[1] والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس . ومن كرمينية : المناديل . ومن دبوسية ووذار : ثياب الوذارية ، وهي ثياب على لون المصمت . وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان[2].

ومن رنجن : أرز الشتاء من اللبود والحمر[3]، ومصليات وطاسات اسبيدوري ، والجلود ، وحرير القنب ،والكبريت.

ومن خوارزم : السمور ، والسنجاب ، وفاقون ،وفنك (فرو) ، ودلة ، والثعالب ، وخربز (البطيخ) وخركوش ملون ،وبزبوست ، والشمع ، والنشاب ، والتوت ، والقلانس ، وأسنان السمك[4] ، والعسل ، والبندق وآبوز ، والسيوف ، والدروع ، والخلنج ، والرقيق من الصقالبة ،والأغنام، والبقر . كل هذا من بلغار . ويرتفع منها أعناب وزبيب كثير ، وملابن ، وسمسم ، وبرود ، وفروش ، وثياب اللحف ، وديباج بيشكش ، ومقانع ملحم وأقفال وثياب آرنج[5]،والقسي التي لايقوى على مط القوس إلاّ أشد الرجال ، والرخبين ، والمصل ، والسمك ، والسفن تنحت

---

(١)- انظر الإصطخري : المسالك والممالك :٥٣ .
(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض :٤٠٣ ،في حديثه عن الثياب الوذارية .
(٣)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٣٥/٦ ، ويذكر الأنسجة الموفية المصنوعة في رينجن .
(٤)- لعله يقصد منها سن الفيل .
(٥)- الثعالبي : لطائف المعارف :١٢٩ ، ويصفها بأنها ثياب من القطن .

وتعمل ، ومن ترفد أيضاً ، ويحمل من سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية والقدور العظيمة من النحاس ، والقماقم الجياد ، والأخبية ، والركب ، والحكمات ، وسيور .

ومن درك : اللبود الجياد ، والأقبية منها.

ومن بناكث : ثياب تركستان

ومن الشاش : سروج رفيعة متميزة ، والجعاب والأخبية ،وجلود تجلب من الترك وتدبغ ، والأرز ، والمصليات ، والبنيقات (من لوازم الثياب) ، والبزر ، والقسي الجيدة ، والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض .

ومن سمرقند أيضا ديباج يحمل إلى الترك ، وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزي[1] ، وقز ، وثيابه ، والبندق ، والجوز ..

ومن فرغانة وإسفيجاب : الرقيق من الأتراك مع الثياب البيض ، والآلات ، والسلاح ، والسيوف ، والنحاس ،والحديد .

ومن طراز : بزبوست

ومن شلجي : الفضة

ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج البغال ، وكذلك من الختل[2]

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٤٤٢ .
وهذا مايشير إلى تأثير الصناعة المصرية في صناعة ماوراء النهر عن طريق فارس .
الثعالبي : لطائف المعارف :٢١٩.
ويشير إلى مايحمل من سمرقند .
ول .ديورانت : قصة الحضارة : ١٣-١٤ .
عصر الإيمان . ترجمة محمد بدران : ٩ ١٩٦.
والحموي : ياقوت : معجم البلدان :٢/٢٤- ٢٥ .

(٢)- الثعالبي : لطائف المعارف :٢١٦.
ويشير إلى أنه أجود أنواعه.

وجنس بطيخ لهم يسمى السان[1]، ولا لقسي خوارزم وغضائر وكاغد وسمرقند " .

إن ماورد في هذا النص للمقدسي يؤكد أيضا ما أورده الإصطخري ويدل على أنه لم يجانب الصواب عندما قال إن سكان بلاد ماوراء النهر كانوا يمتلكون كل شيء بوفرة ، ولم يكونوا بحاجة إلى شيء ممن جاورهم [2].

كذلك فإن بخارى تميزت بجودة فواكهها ولذة طعمها ،وكثرة حبوبها والقمح والحرير والخضاب ، مع وفرة الأنعام والخيول التي اشتهرت في كل آسيا ، وكذلك آبلها وأغنامها [3].

وتمتعت بخارى نتيجة لذلك بثراء طائل ، وقامت فيها صناعات متعددة وتجارات كثيرة ،ولهذا كانت غنائم المسلمين ومايأخذونه من خراجها كثيرة [4].

ويذكر النرشخي أنه كان ببخارى دار صناعة ،تقع بين المدينة وسورها قرب المسجد الجامع ، وكان ينسج فيها البسط والسرادقات واليزديات (نوع من القماش الفاخر) والوسائد ، وسجاجيد الصلاة ، والبرود التي يكثر الخلفاء من شرائها واستخدامها.

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣- ٣٢٦، وقد أوردت ماله علاقة بمدن ماوراء النهر فحسب .

(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك : ٢٨٧.

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٦، ٤٠١، ٤٠٤ .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٣٧ .

وكان ببخارى صناع مهرة مخصصون لهذا العمل ، وكان التجار يأتون من الولايات ليأخذوا من تلك الثياب ، كما كانوا يحملون الزندنيجي إلى الشام ومصر والروم ، إذ إنها لم تكن تنسج في أي مدينة بخراسان ، وكان منها الأحمر والأبيض والأخضر ، والثوب الزندنيجي من أشهر ثياب تلك المنطقة ، ولم يكن يخلو منه بيت خليفة أو أمير أو قائد[1].

كما تميزت قرى بخارى مثل (شرغ) و (وردانة) و (زندة) بمحصولاتها الكثيرة ، وانتاجها النادر ، كالحلوى المحشوة من عصارة التمر ،والحشيشة ، والأخشاب ، والسمك المملح الطازج ، وفراء الخراف والحملان الذي يوجد بكثرة في (شرغ) ،والكرباس من (زندة) إذ يحمل إلى جميع الولايات ،والعراق ،وفارس وكرمان .

كذلك اشتهرت وردانة بتجارتها الرائجة وخاصة الزندنيجي الجيد[2]

ومحاصيل بخارى الوفيرة تنطبق على الأقاليم المجاورة لها، من الشرق والغرب على السواء ، وكان اسماعيل بن أحمد الساماني يتحدث عن بخارى فيصفها بقوله : " ما أشبه بخارى في ضيق داخلها وقذرة ، وطيب سوادها وحسنة ، إلاّ بالإنسان في قبح باطنه وحسن ظاهره [3]".

---

(١) - النرشخي : تاريخ بخارى :٣٠-٣١ .
(٢) - النرشخي : تاريخ بخارى :٣٠-٣١ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٤٠١ ،٤٠٤ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣ ،٣٢٥ .
والثعالبي : لطائف المعارف : ٢١٦ .
(٣)- الثعالبي : لطائف المعارف : ٢١٦ .

هذا فيما يتعلق ببخارى وأقاليمها من محاصيل وتجارة وصناعة .
ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل هناك مناطق التلال إلى الشرق من مدينة سمرقند وغربها ، وقد اشتهرت بكثرة معادنها ، وذكر المقدسي ، نقلاً عن البلخي أن فيها الحديد ، والنوشادر ،والزئبق والصفيح ، والرخام ،والذهب ، والقار ، وزيت الزاج ، وهو ضرب من الحجارة كان يستخدم في الوقود ، ولعله الفحم الذي اكتشفه الروس في تلك المنطقة (١).

وتكثر في سمرقند البساتين ، وقل أن تخلو دار من البساتين والأشجار فيها، كما تكثر فيها الخانات التي يرتادها التجار ،وهي مجمع رقيق ماوراء النهر ، ويقال إن طاهر بن عبدالله بن طاهر كتب إلى وكلائه : " إذا وجدتم البرذون الطخاري ، والبغل البرذعي ، والحمار المصري ، والرقيق السمرقندي ، فاشتروها ولاتستطلعوا رأينا فيها". مما يدل على شهرتها بالرقيق ، إضافة إلى جمالها وكثرة خضرتها (٢).-

وكان لكواغيد (قراطيس) سمرقند شهرة كبيرة أكثر من شهرة قراطيس مصر أو الجلود التي كانت مستخدمة سابقاً ، وقد ذكر صاحب (المسالك والممالك) أن الكواغيد دخلت إلى سمرقند من سبي أتوا به من الصين(٣).

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣ - ٣٢٥ -
ابن حوقل : صورة الارض : ٤٠٦ - ٤٠٨ ، ٤١٠ .
وتركستان : فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد ٢٣٠
(٢)- الثعالبي : لطائف المعارف : ٢١٩ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٤ .
وابن خرداذبة : المسالك والممالك : ١٧٨ .
(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك : ٢١٨ -
والثعالبي : لطائف المعارف : ٢١٨ .

ويقال إن العرب المسلمين أخذوا عن أهل سمرقند صناعة عجينة الكتان التي استخدمت للقراطيس[١].

كذلك فإن خراسان ومناطقها اشتهرت بمحاصيل وتجارات كثيرة ، وأبرز أقاليمها : بلخ ، وهراة ، ومرو، ونيسابور .

أما بلخ فهي أقدمهم ، وهي حاضرة الملوك ، وإليها ينسب نهر جيحون الذي يقال له : نهر بلخ ، وقد تميزت بكثرة مراعيها ولاسيما للنوق .

وبها الأترج الحسن الفائق ، والنيلوفر ، وقصب السكر ،والأصباغ[٢].

أما نيسابور فقد اشتهرت بالمنسوجات الحريرية والكتانية ، وكثرة أسواقها الواقعة خارج المدينة وداخلها[٣]، وكلها عبارة عن خانات وفنادق لسكن التجار ، ويختص كل فندق بنوع معين من أنواع التجارة إضافة للخانات المستخدمة للبيع والشراء ، والتي يسكنها أرباب الصنائع المختلفة ، كالقلانسيين ، والأساكفة ،والخرازين ،والحبالين والجمالين وغير ذلك [٤].

---

(١)- ويل • ديورانت : قصة الحضارة : ١٣ - ج٢ مج٤ ص ١٦٩ - ١٧٩ .

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٧٥- ٣٧٦ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨٤ .
الإصطخري : المسالك والممالك : ٣٨٧ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ٣٠-٣١ .

(٤)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٦٣- ٣٦٦ .
الثعالبي : لطائف المعارف : ١٩٤- ١٩٦ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣ .

ومما اشتهرت به نيسابور أيضاً : الثياب الحفية ، والمناديل الأصيرية[١] ، والتاختج والراختج[٢]، والمصمت[٣] ، إضافة إلى صناعة الثياب الرقيقة التي نسبت إلى نيسابور وعرفت بالسابري[٤].

ويروي الثعالبي أنه لما دخل إسماعيل بن أحمد الساماني نيسابور استحسنها واستطابها فقال : " يالها من بلدة جليلية لو لم يكن لها عيبان : كان ينبغي أن تكون مياهها التي في باطن الأرض على ظاهرها ، وأن يكون مشايخها الذين على ظاهرها في باطنها[٥].

وتنوعت تجارة نيسابور بناء على محاصيلها وصناعتها ، فصدرت كل الأنواع التي سبق ذكرها ، إضافة إلى البيبان والعمائم الشهجانية الحفية ، والعتابي ، والسعيدي والطرائفي والمشطي من الثياب ، وثياب الشعر والغزل المرتفع والحديد[٦].

وتأتي مرو بعد نيسابور في الأهمية ،وكانت قديماً داراً للإمارة ومعسكراً للإسلام . وقد اشتهرت بالفواكه والبطيخ الذي يقدد ويحمل إلى بلدان كثيرة . ويزرع فيها القطن ،والإبريسم ، ومن قطنها تصنع الثياب وترسل إلى مناطق أخرى[٧].

---

(١)- الأصيرية : في القاموس : " الأصير : المتقارب والملتف من الشعر ، ولعلها نسبت إلى شيء من هذا .

(٢)- التاختج والراختج : ضرب من الحرير والكتان يصنع في نيسابور ،كما ذكره ابن الفقيه في البلدان .

(٣)- المصمت : كناية عن الثوب الرقيق . (القاموس)

(٤)- الثعالبي : ثمار القلوب : ٤٢٩

(٥)- الثعالبي : لطائف المعارف : ١٩٤

(٦)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٤

(٧)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٦٥

وكان العرب يسمون كل ثوب صفيق حمل من خراسان : المروي ، وكل ثوب رقيق يجلب منها : الشاهجماني ، لأن مرو عندهم أم خراسان وعرفت بمر الشاهجمان ، ومازال الاسم يطلق إلى اليوم على الثياب الشاهجمانية (١).

وفي مرو فنادق ورباطات ، وتعتبر سوقاً صالحةً لكل المنتوجات .

أما هراة : فقد اشتهرت بالفراء الأبيض ، والقطن ، والأدوات المصنوعة من النحاس . ويتبع هراة مدينتان هما : كروخ وأوفة .

ويرتفع من كروخ الكشمش والزبيب الطائفي الذي اشتهرت بصناعته ويصدر معظمه إلى العراق وسائر البلاد . أما أوفة فلاتقل أهمية عن كروخ لما فيها من محاصيل زراعية وبساتين .

ومن أهم ماتنتجه هراة وتختص به الجلود الفاخرة التي تفوق الجلود المصرية من حيث الجودة ، كما أنها تصدر القطن والأدوات النحاسية(٢).

وأما الختل وخوارزم ومايتبعها(٣) فهي في غاية الخصب ، وكلها ذوات أشجار وأنهار ، ولها رساتيق كثيرة عامرة خصبة ، وفيها كروم وأشجار ، ونتاجها كثير ووفير .

---

(١)- الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٠٠-٢٠١.
الحموي : ياقوت : معجم البلدان : (مرو الشاهجمان).
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٦٤- ٣٦٥ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٠٧و ٣٩٨ .
(٢)- الثعالبي : لطائف المعارف : ١٩٠ و ٢٠٠.
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٦٧ .
(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٧٤ – ٣٧٥ .
والثعالبي : لطائف المعارف : ٢٢٦- ٢٢٧.

وتجلب منها الخيول والبغال ويصدر من بذخشان البجاذي الرفيع ، والأحجار الكريمة ، وفي جبالها معادن كثيرة ، ويجلب إليها المسك التبتي[١].

وتأتي بعدها بنجهير ، وتقع على جبل ، ويقدر عدد سكانها وقتها نحو عشرة آلاف ، لهم مزارع وبساتين ، وتشتهر بوفرة الفضة ،واللازورد ، والأحجار الكريمة ، ومياهها وفيرة[٢].

وفي منطقة الجبل توجد كندرم وهي كثيرة الكروم والجوز واللوز ، وفيها السوائم ، وأكثرها من الأغنام ، ومنها تأتي الجلود المدبوغة .

وتسكن منطقة الغور قبائل متعددة تأتي منهم المعادن الثمينة كالفضة والذهب والحديد ، وفيها سوائم كثيرة[٣].

ولما كانت خوارزم قريبة من بلاد الترك ، فإنها شابهتهم ببعض الخصائص الاقتصادية ، ففيها متاجر الرقيق مثلا ، ويجلب منها أيضا الأغنام ، والأوبار ولاسيما الثعالب الحمر والسمور ، والقسي الفاخرة والقطن الأبيض والبطيخ[٤] ويقال إنه كان يحمل منه إلى المأمون والواثق في قوالب الرصاص معبأة بالثلج ،وتباع بأسعار غالية.

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٧٤- ٣٧٥ ، ٣٨٤ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٠٧ - ٣٠٨ و ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٣٩٨ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٧٥ .
وابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٨ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٧١ و ٣٧٦ .

(٤)- الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
وابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٨ .

كما تشتهر بالكرابيس ، أي الثياب القطنية البيضاء التي تباهي بها غيرها من الإمارات[1].

وليس بخوارزم معادن ، ويقع إليهم رقيق الخزر وما والاها من رقيق الأتراك ، والأوبار من الفنك ، والسمور والثعالب [2].

وقد أورد المقدسي عدداً من البضائع التي يتجر بها أهل نيسابور ، وماحولها فقال : " وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية ، والبيبان ، والعمائم الشهجمانية الحقبة ،والراختج والتاختج ، والمقانع " والملاحم بالقز ، والمصمت ،والعتابي ، والسعيدي ، والظرائفي ،والمشطي ، والحلل ، وثياب الشعر والغزل المرتفع والحديد ، وغير ذلك .

ومن نسا وأبيورد : القز وثيابه ، والسمسم ودهنه ، وثياب الزنبفت ، ومن نسا ثياب النبوزية ، وفراء الثعالب والبزاة .

ومن طوس : البرام الفائقة ، والحصر ، والحبوب . ومن رساتيق نيسابور : ثياب كثيرة غليظة .

ومن هراة : البز الكثير ، وديباج دون ، وخلدي ، والزبيب الطائفي والعنجد .

ومن مرو : الملاحم ، ومقانع القز ، والإبريسم ، والقطن ، والبقر ، والجبن ،والبزر ، والشيرج ،والنحاس .

ومن سرخس : الحبوب ، والجمال .

---

(١)- الحميري : الروض المعطار : ٢٢٥ .
الجواليقي : المعرب : ٢٩٤ .

(٢)- الحميري : الروض المعطار : ٣٠٤- ٣٠٥.
المقدسي : ٣٠٥ و ٣٩٧ .
والثعالبي : لطائف المعارف : ٢١٠- ٢١٣ .

ومن سجستان : التمور ، والزنابيل ، والحبال من الليف والحصر.

ويرتفع من قوهستان ثياب تشابه النياسبورية بيض ، وبسط ، ومصليات حسنة .

ومن بلخ : الصابون ، والسمسم ، والأرز ، والجوز واللوز،والزبيب والعنجد ، والسمن ، وعسل الشمسي من العنب والتين ولب الرمان ،والزاج والكبريت ، والرصاص ، والسبرك ، والزرنيخ ، والأبخرة ،والواقيات على عمل الجرجانية ، والأبراد ، والأدهان والجلود .

ومن غرج الشار : الذهب ، واللبود ، والبسط الحسان ،والحقائب ومافي معناها ، والنخيل الجيد ، والبغال[1]" .

هذا النص الذي أورده المقدسي يدل على أنواع التجارات والبضائع التي يتبادلونها فيما بينهم وضمن المناطق التي كانت خاضعة للدولة السامانية .

ونستمر في عرض ماكان لكل مدينة من مدن ماوراء النهر وغيرها من خصائص وبضائع وزراعة وتجارة .

من ذلك سجستان : البلد المتصل بالسند والهند ، وسجستان قليلة المدن كثيرة القصور . وزرنج قصبتها ، وهي محكمة الحصن ، عجيبة البنيان ، وفيها كثير من المتاجر والمعادن والفواكه ، وتتصف برخص المعيشة فيها.

ومما تميزت به سجستان : الطاسات ، وجلاجل البزاة ، والطبول المولبية ،ودبابيج الفرش ، (أي فرش الديباج).

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٣ - ٣٢٤ .

وقد جعل المقدسي ، (غزنة) و (بست) من سجستان ، ولذلك لابد من الحديث عنهما ، وإن كان بعضهم لايعدهما منها[1].

أما بست فهواؤها لطيف ، وماؤها وفير فرات ، وهي موفورة الحظ من الميز والرياحين ، ونبات البساتين . ويكثر افيها الإجاص المتميز ، والتين السجزي الذي يحمل إلى كافة المناطق[2].

وأما غزنة فهواؤها صحيح ،وترتيبها جيدة ، ومياهها عذبة ، وفيها قلة بالثمار ، وتشتهر بالتفاح الأميري والوغياج ، وهو طعام يصنع من اللبن[3].

ومن خلال ماتقدم نستطيع ملاحظة إن منطقة ماوراء النهر وبخارى وخراسان التي أصبحت تحت حكم السامانيين ، كانت تتمتع بمحاصيل زراعية متنوعة ووفيرة ، وبثروة حيوانية ومعدنية كثيرة جعلت إنتاجها ومواردها المحلية تحقق اكتفاءً ذاتياً من الناحية الاقتصادية ، إضافة إلى كونها مصدراً للتجارة والتبادل وكسب الأرباح.

ومما لاشك فيه أن صناعتهم قد تأثرت بصناعة أهل الصين ، إضافة إلى أنه يوجد مايشير إلى تأثر صناعتهم أيضاً بالصناعة المصرية ، التي وصلت إليهم عن طريق بغداد وفارس ، ولاسيما في صناعة الأنسجة الدبيقية التي انتشرت صناعتها في مدينة خوارزم ، والثياب الأشمونية التي ورد ذكرها عند المقدسي[4].وهي مستوحاة من الصناعة المصرية.

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٩٧

(٢)- المصدر السابق : ٣٩٧ . الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٠٤ -٢٠٦ .

(٣)- الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٠٧-٢٠٩ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٠٤- ٣٠٥ .

(٤)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٠ و ٣٣٩ ،
الهمذاني : الأعلاق النفيسة : ٣٠٨ ،
و النرشخي : تاريخ بخارى : ٣٧ .

وقد وجد العرب الفاتحون آثار الصنعة الصينية واضحة في صناعات ماوراء النهر ، وهذا ماجعل أثر الصينيين ينتقل أيضا إلى الفن الإسلامي ، وتجلى ذلك فيما أطلق عليه (الصيني) من الأدوات والأواني .

وحظيت بعض منتوجات ماوراء النهر بشهرة واسعة في العالم الإسلامي وقتها كالمنسوجات الحريرية من وادي زرفشان ، والأدوات المعدنية من فرغانة ولاسيما الأسلحة التي أقبل الناس عليها في بغداد(١).

وسلفت الإشارة إلى تأثر صناعة النسيج بالصناعة الصينية والمصرية ، وكذلك صناعة ورق سمرقند (الكاغد) الذي كان له أهمية في تاريخ الحضارة(٢). وتشير الروايات العربية إلى أن أهل سمرقند أخذوا هذه الصنعة من الصينيين الذين أسروا سنة (٧١ هـ) وبعضهم يشير إلى أن هذه الصناعة أخذت عن ورق الخرق ، ولكن هذا لايثبت لأن الورق لم يعرف من قبل ٩٤٠م ، وأثبتت المكتشفات أن هذا الورق كان يستخدم في القرن العاشر(٣).

---

(١)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٦ و ٣٢٨ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٢٣ ، ٣٢٦ . أشار إلى ذلك وهو يتحدث عن منتوجات المساجين التي كانت تعرض للبيع .
و ص : ٤٤٣ ، حيث أشار إلى الدبيقي الذي كان يصنع بفارس .
الثعالبي : لطائف المعارف : ١٢٦ - ١٢٧ .
وأشار إلى أن صناعة الورق وجدت بالشام ، ونقل ذلك من ابن خرداذبة .

(٣)- ويل ديورانت : قصة الحضارة : ١٣ ج٢ مجلد ٤ ص ١٦٥- ١٦٧ .
والثعالبي : لطائف المعارف : ٢٢٦ .

وقد أمكن لورق سمرقند أن يحل تماماً محل البردي للكتابة في العالم الإسلامي .

وتأتي صناعة الملابس بعد الورق في الأهمية وهي من منتوجات خوارزم ، وكان يؤتى بالمسك من التبت إلى أنحاء الدولة[1].

أما التجارة فهي في الغالب كانت تجري بين سكان السهوب والبراري ، وكانت مورداً أساسياً لبعض الأقاليم ولاسيما إقليم خوارزم ، إذ كان يستورد عدداً كبيراً من الماشية والدواب والجلود والفراء[2].

والتجارة مع أهل الحضر أمر حيوي للبدو الرحل الذين كانوا يحصلون عن طريقها على حاجاتهم من لباس وغذاء وغلال وغير ذلك[3].

وكان أهل خوارزم من أكثر المستفيدين من التجارة مع البدو ولاسيما مع الترك كما أشار الإصطخري ، فمن كركانج كانت تخرج القوافل إلى خراسان جنوبا ، وإلى الخزر غربا ، كما يشير الكرديزي إلى طريق آخر كانت تسلكه القوافل[4].

---

(١)- اليعقوبي : البلدان : ٣٦٥ .
(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٧٤ .
ابن حوقل : صورة الأرض ٣٣٦ و ٣٩١ .
الإصطخري : المسالك والممالك : ٢٢٨ و ٣٠٣ .
الحميري : الروض المعطار : ٣٧٢ .
والحموي : ياقوت : معجم البلدان : ٢/٣٩٦ – ٣٩٧ .
(٣)- الإصطخري : المسالك والممالك : ٣٠٣ .
ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٩١– ٣٩٢ .
(٤)- الإصطخري : المسالك والممالك : ٢٢٩ و ٣٠٥ .
وكرديزي : زين الأخبار : ٩٥ .

وكانت تجارة خراسان في معظمها مما يأتي به أهالي خوارزم الذين تميزوا بالقلانس الطويلة التي يضعونها على رؤوسهم[1].

ويشير المقدسي إلى أن جميع ضياع نسا كانت ملكاً للخوارزمية في فترة من الفترات، وصاحب ذلك ازدهار فكري، وهذا ماعبر عنه المقدسي بقوله: "قل أن التقى بامام في الفقه أو الأدب أو القرآن إلا وله تلميذ خوارزمي[2]".

وثمة أمر يحسن أن نورده، لما له من صلة بالحياة الاقتصادية لبلاد ماوراء النهر، وهو أجور العاملين على قلة المصادر والأخبار حوله، وبين أيدينا نص قيم للكرديزي والطبري جاء فيه:

إن يعقوب بن الليث كان يتقاضى خمسين درهما في الشهر أجراً على عمله مع أحد الصفارين. أما الضرائب فلم تكن مرهقة بالقياس إلى السكان والإنتاج، إضافة إلى أن دخل الدولة السامانية كان كبيراً يقارب الخمسة والأربعين مليونا من الدراهم[1].

وكان تحت تصرف السامانيين الذين كانوا يصرفون هذه الأموال في دفع أرزاق الجند وعمال الدولة الذين كانت أجورهم ثابتة في

---

(١)- الإصطخري: المسالك والممالك: ٣٠٤- ٣٠٥.
(٢)- المقدسي: أحسن التقاسيم: ٣٢٠ و ٤٢٢.
(٣)- الإصطخري: المسالك والممالك: ٤٢٣.
الثعالبي: لطائف المعارف: ٢٢٦ - ٢٢٧.
والحموي: ياقوت) معجم البلدان: ٢/٣٩٦- ٣٩٧ (خوارزم).
الكرديزي: زين الأخبار: ١٧-١٨.
والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٣٨٢/٨، ٣٨٦.

كل الولايات ومتساوية . وهذا لايعني التطابق التام وعدم وجود فوارق ضمن هذه الدولة المترامية الأطراف ، فقوهستان مثلاً اختلف الأمر فيها لأنها كانت كلها إقطاعا لآل سيجمور المماليك[1] الذين بلغوا أعلى المراتب العسكرية وكانوا قادرين على امتلاك أي شيء ومنهم مثلا البتكين الذي امتلك خمسمئة قرية من قرى خراسان وغيرها له في كل واحدة قصر وبستان وخان وحمام[2].

ومع ذلك فإن السامانيين أحياناً كانوا يفرضون ضرائب طارئة ورسوماً جديدة في الملمات ، وربما تأخروا في دفع رواتب العمال والجند مما يؤدي إلى شغب بين الرعية[3].

وكانت عائدات السامانيين من المكوس التي تجمع من ضرائب عبور نهر أموريا ، إضافة إلى مايحطون عليه من التفتيش على الذهب والفضة مع التجار ، ومايحصلون عليه من ضرائب على عبور الرقيق والجواري من الترك[4].

وذكر ابن الفقيه أن جميع خراج كور خراسان وماضم إلى عبدالله ابن طاهر (٤٤٠٨٠٤٧) درهم ، ومن الدواب ثلاثة عشر الف دابة ، ومن الغنم ألف شاة ، ومن السبي ألف فارس واثنان وعشرون فارساً، ومن المرورة وصفائح الحديد ألف وثلاثمئة قطعة[5].

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٤٢٥،٤٣٠ .
وابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٨ .
(٢)- نظام الملك : سياسة نامة : ١٣٢-١٣٣ .
(٣)- أحسن التقاسيم ر٢٧٨- ٢٧٩ ، و ٢٢٨ .
(٤) - المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٤٠ - ٣٤١ .
الخوارزمي : مفتاح العلوم : ٥٩ .
وابن خرداذبة : المسالك والممالك / ٣٩ .
(٥)- ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٨
وابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٣٩

على أن ابن رستة يقول : وكان خراج خراسان يبلغ في كل سنة من جميع الكور أربعين ألف ألف درهم سوى الأخماس التي ترتفع من الثغور ينفقها آل طاهر فيما يرون ، ويحمل بعد ذلك من العراق ثلاثة عشر ألف ألف سوى الهدايا ، وبهذا يخالف ابن الفقيه بعض الشيء (١).

بينما فصل المقدسي في تحديد خراج كل منطقة فقال :
" وأما الخراج : فعلى فرغانة مئتا ألف وثمانون ألفاً محمدية . وعلى الشاش مئة ألف وثمانون ألفاً مسيبية . وعلى خجندة من مقاطعة الاعشار مئة ألف مسيبية . وعلى الصغد وكش ونسف وأشروسنة ألف ألف وتسعة وثلاثون ألفاً واحد وثلاثون درهماً محمدية . وخراج أسفيجاب أربعة دوانيق ومكنسة تبعث إلى السلطان كل سنة مع الهدايا . وخراج بخارى ألف ألف ومئة ألف وستة وستون الفاً وثمانمئة وسبعة وتسعون درهماً غطريفية (٢). وخراج الصغانيان ثمانية وأربعون الفاً وخمس مئة وتسعة وعشرون درهماً . وعلى وخان أربعون الفاً . وعلى خوارزم : أربعمئة ألف وعشرون ألفاً ومئة وعشرون بدراهمهم (وهي أربعة دوانيق ونصف) (٣).

أما النرشخي فيذكر أن خراج بخارى ونواحيها في أيام الدولة السامانية مليون ومئة وثمانية وستون الفاً وخمسمئة وستة وستون درهماً ، وخمسة دوانيق ، ونصف دانق ،مع خراج كرمينية (٤).

---

(١)- ابن رستة : الأعلاق النفيسة : ٣٠٨ .

(٢)- الدراهم الغطريفية : نسبة إلى غطريف بن عطا أمير خراسان. النرشخي : تاريخ بخارى : ٢٥٩.

(٣)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٤ .

بيد أن هذا الخراج كان ينقص أحياناً لمحن تصيب بعض المناطق أو لخروجها عن الطاعة ، كما حدث مثلا في بيكند وكرمينية [١].

وكانت جباية خراسان وما وراء النهر تحمل على دفعتين بينما كان أمراء سجتان وخوارزم وغرج الشار وجوزجان وبست ، وغزنين والختل يكتفون بإرسال الهدايا ، وقد كانت هذه الأقاليم تحت سلطات متعددة. ولم تتحد تحت سلطان واحد إلاّ في زمن إسماعيل بن أحمد الساماني (٢٨٧ هـ) [٢].

مما تقدم يتبين لنا أن الخراج كان مورداً أساسيا من موارد الدولة ، وكانت أمواله تصرف على الرباطات ، وعمارة الطرق ،وأرزاق الجند ، ويذكر أنه كان في إقليم ماوراء النهر وحده أكثر من عشرة آلاف رباط تعج بالنزلاء والضيوف [٣].

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى أن النقود المضروبة من المعادن ليست قديمة عهد في مناطق شرق إيران ، بل يعود تاريخها إلى أوائل القرن السابع الميلادي ، وكان أول من ضرب الدراهم من الفضة ببخارى (ملكها بخار خداة) " وكان ملكاً على بخارى ثلاثين عاماً. وكان يتاجر في بخارى بالكرباس والقمح. فأخبروه بأنهم ضربوا الفضة بالولايات الأخرى ، فأمر أن تضرب أيضا النقود الفضية ببخارى من خالص الفضة وان تنقش عليها صورته بالتاج . وكان هذا في زمان خلافة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق [٤].

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٤.

(٢)- ابن حوقل : صورة الأرض :٣٨٥ و ٣٨٨ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٨٥ .

(٣)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨٦ .

(٤) - النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٩ .

ولكن الفضة بدأت تنفد من البلاد بسبب خروج الدراهم الفضية منها ، وضاق الناس ذرعاً من هذا الأمر ، فاتفقوا مع أمير خراسان غطريف بن عطاء أن تضرب الدراهم من ستة معادن : الفضة ، الذهب ،القصدير والمسك ،والحديد ، والنحاس ، وسميت بالدراهم الغطريفية (١).

وفي العهد السامانى " ضرب كل من آل سامان والملوك الآخرين بعدهم في بخارى كثيراً من البشيزات العدلية " وهي عملة رقيقة من النحاس الأحمر (٢).

ومع كثرة موارد الدولة السامانية فإنها لم تضرب النقود من الذهب الخالص ولعل هذا الأمر يعود إلى قلة توفر معدن الذهب في تلك البلاد ، ولذلك جعلوا الذهب ضمن ستة معادن يضرب منها الدرهم. كذلك فإن السكان في الأصل يعتمدون في تجارتهم على المقايضة وتبادل الحاجات ، كما هو واضح من نص النرشخي : " وكان يتاجر في بخارى بالكرباس والقمح " . وهذا يجعلهم أقل اهتماما بالعملة المعدنية ، إضافة إلى أننا يجب أن لانتوقع من دولة كالدولة السامانية أن تكون قد بلغت مبلغاً عظيماً جداً يؤهلها لضرب العملة الذهبية لقصر مدة بقائها بالقياس إلى الدول الأخرى ، ولأنها في الأصل تابعة للخلافة العربية الإسلامية في بغداد وحكامها كانوا دوما يعلنون ولائهم وطاعتهم له ، ولعل هذا الأمر مما لم يشجعهم على الاستقلال بعملة ذهبية كانت موجودة لدى الخلافة في بغداد .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٥٩ - ٦٠

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٦١

وكما يبدو أن استبدال الفضة الخالصة بخليط من ستة معادن لم يكن سببه ندرة الفضة أو غلاء سعرها ، بل كان سببه الحد من تداول العملة الجديدة كما بين النرشخي ، ومن ثم لم يكن هناك مايبرر رفض أهل بخارا للدرهم الغطريفي ، كما أن أحداً لم يفسر لنا ظاهرة ارتفاع سعر الدرهم المخفض ويغلب على الظن أن سبب ذلك كان يرجع إلى انخفاض قيمة الدرهم الأبيض لكثرة استعماله وقدمه.

إضافة إلى أن كل فئة من هذه الدراهم المخفضة كانت بها منطقة انتشار جغرافية معينة . أما فيما يتصل بمظهرها الخارجي فلم يكن هناك اختلاف جوهري يميز هذه الدراهم بعضها عن بعض وفقا لأقوال الجغرافيين(١).

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم ٣٤٠ .
ابن حوقل : صورة الأرض ٣٦٣.
والاصطخري : المسالك والممالك ٣١٤ .

* - خصائص السكان ومزاياهم :

تمتع سكان ماوراء النهر وبخاري وخراسان بالكثير من الصفات والمزايا التي كان لها دور ما في الحياة الاقتصادية للدولة ولو بطريق غير مباشر ، فإن هذه الصفات أعانتهم على التأقلم مع البيئة والعمل والإنتاج والإسهام في الحركة التجارية والصناعية ، بل وأعانتهم على خوض الكثير من الحروب التي عادت عليهم بالغنائم والخراج مما جعل الحياة الاقتصادية أكثر ازدهاراً.

فمن صفاتهم السماحة وإكرام الضيف حتى إن هَمَّ معظمهم تركز في أنْ يمتلك بيتاً واسعاً وأن يجهد نفسه في العمل حتى يقوى على إكرام الضيوف .

وكان الناس يتسابقون في العمل وجمع الثروات لينفقوها في الطرق التي تكسب مرضاة الله ، وفي عمارة الطرق وسبل الجهاد، وهذا ماجعل معظم الناس يعملون فلم تظهر البطالة فيهم إلاّ نادراً .

كما تمتع هؤلاء الناس بالبأس والشوكة ، والجرأة ، والإقدام على الجهاد وحماية الثغور[1]. وأكثرماتميز بهذه الصفات أهل خراسان، حتى إن شريك بن عبدالله قال : " خراسان كنانة الله ، إذا غضب على قوم رماهم من كنانته " . وقال الشعبي : " كاني بهذا العلم

(١)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٣٦٠ و ٣٦٣ .
الإصطخري : المسالك والممالك :١٦٤-١٦٥ .
وابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٥- ٣١٦ .

قد تحول إلى خراسان(١)" .

ومع ذلك فقد طعن بعض المؤرخين بأهل خراسان ، ورماهم بالبخل ولاسيما أهل مرو ، ولكن هذا لم يثبت يقيناً ، وقد وفد على بعض الخلفاء رجل من خراسان ذو عقل وأدب ومعرفة بأهلها ،فقال له : أخبرني : من أصدق أهل خراسان ؟ قال : أهل بخارى ، قال : فمن أوسعهم بذلاً للخبز والملح ؟ قال : أهل الجوزجان . قال : فمن أحسنهم ضيافة ؟ قال : أهل سمرقند . قال : فمن أسوأهم طاعة وأنهبهم بنفسه ؟ قال : أهل خوارزم . قال : فمن أحسنهم فطنة وأبعدهم عذرا ؟ قال : أهل مرو الروذ . قال : فمن أضعفهم رأيا وتدبيراً ؟ قال : أهل نيسابور . قال فمن أجهلهم بالخلق ؟ قال : أهل بوشنج. قال : فمن أرماهم ؟ قال : أهل جرجانية خوارزم . قال : فمن أدقهم نظراً ؟ قال : أهل مرو(٢).

هذا الخبر يعطي صفة من خبير لكل إقليم من أقاليم الدولة السامانية ، وأبرز ما اختص به أهل كل أقليم ، كذلك فإن من صفات هؤلاء الناس أنهم كانوا يتسابقون لأداء فريضة الحج لاستطاعتهم

---

(١) — ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٤ .
الحموي (ياقوت) : معجم البلدان : ٣٥١/٢ — ٣٥٣ .
والحميري : الروض المعطار : ٢١٤ — ٢١٥ .
(٢)— ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٩ و ٣٦٥ — ٣٦٦ .

وكثرة الأموال معهم . كما أنهم كانوا عصب الأمراء ورجالهم المدافعين عنهم [1].

أما عن معتقدات الناس فمعروف أن الإسلام انتشر بينهم انتشاراً واسعاً ، ومع ذلك فقد ظلت بقايا العقائد القديمة موجودة كما ظهرت بعض الفرق والمذاهب الجديدة ، فمن المعتقدات القديمة المتبقية : الزرادشتية ، والبوذية ، مع بعض النصارى واليهود ،و أصناف المجوس .

وقد تحدث المقدسي حول هذا الجانب فقال : " ومذاهبهم مستقيمة ، غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة ...وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة . وللشيعة والكرامية بها جلبة . والغلبة في الاقليم لأصحاب أبي حنيفة ، إلاّ في الشاش وإيلاق وطوس ونساوأبيورد وطراز وصنفاج وسواد بخارى ، وسنج والدانقان ، وأسفرابين وجويان ، فإنهم شفعوية كلهم ، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ، ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمردين، ولايكون قاضياً إلا من الفريقين . وخطباء المواضع التي استثنينا ،ونيسابور أيضاً شفعوية . وللكرامية جلبة بهراة ....ولهم خوانق بفرغانة والختل وجوزجان ، وبمرو الروز وأخرى بسمرقند . وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب ومذاهبهم تقارب الزندقة ،وأقوام على

---

(١)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨٧- ٣٨٨.
نظام الملك : سياسة نامة : ١٢٦ .
الإصطخري : المسالك والممالك : ١٦٣- ١٦٤ .
ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٦- ٣٢٠ .
الحموي : (ياقوت) : معجم البلدان : ٣٥٢/٢- ٣٥٣ .
وابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٣٩٣ .

مذهب عبدالله السرخسي لهم زهد وتقرب[١]. وربما ظهرت عصبيات بين أتباع هذه المذاهب والفرق [٢].

ومن عاداتهم أن المقارع عندهم تضرب بين يدي أجلة الأمراء وفي كل بلد عدة من المزكين ،فإن طعن الخصم على الشاهد سئل عنه المزكي ،ولايتحنك فيه إلا فقيه أو رئيس [٣].

ويقام بنيسابور مجلس للمظالم كل أحد وأربعاء ، يحضره صاحب الجيش ، ويعقد مجلس الحكم كل اثنين وخميس في مسجد محدد كما تعقد مجالس للقراء ، ولهم زي محدد يلبسونه . وأما الفقهاء والكبراء فيتطيلسون ولايتحنكون ،ولهم ألبسة خاصة في الشتاء ،وأزياء وتقاليد في اللباس تخص كل فئة من الناس ،وكل مدينة [٤].

هذه هي أبرز المزايا والصفات للسكان في أقاليم ماوراء النهر وبخارى وماحولها ، هذه الأقاليم التي شكلت دولة السامانيين الذين ينحدرون من أهل بهرام جور كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد عرف بقوته وبأسه وإجلاله للعلم والعلماء [٥].

وقد لاحظنا كيف طبيعة البلاد بما فيها من أراض خصبة ومياه وفيرة ساعدت على ازدهار الزراعة وكثرة المحاصيل وتنوعها .

---

(١)- المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٦٠ .
والنرشخي : آرمينوس فامبري (الترجمة) : ٣٣- ٣٤ .

(٢)- المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٣، ٣٣٥ - ٣٣٦ و ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٣)- المصدر السابق : ٣٢٧ - ٣٢٨ .
والتحنيك : أن يدير العمامة من تحت حنكه

(٤)- المصدر السابق : ٣٣٨

(٥)- ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٣٨ .

كما أن وجود المعادن المختلفة أسهم في قيام صناعة في الدولة ، وواضح مما تقدم أن الصناعة كانت تعتمد على موارد الأقاليم الزراعية والمعدنية . وكل ذلك أدى الى نشاط بخارى واضح بين الأقاليم ، بل بين الأقاليم والمناطق المجاورة ، ومجمل ذلك عمل معه تطوراً حضارياً واجتماعياً لسكان الدولة السامانية ، مما أسهم في قوة تلك الدولة ومقدرتها على تنمية جيشها والإنفاق عليه ، وعلى ظهور نهضة عمرانية ، وحركة فكرية وثقافية واسعة ، وكان لسكان هذه الدولة وما يتمتعون به من صفات دور كبير في كل ذلك ، كما أن أمراء السامانيين أعانوا على ذلك باحترامهم للعلم وتقريبهم للعلماء ، واتباعهم الأساليب المختلفة للحفاظ على الأمن والاستقرار وحماية الدولة . وقد وصف الثعالبي بخارى في عهد السامانيين وصفاً يدل على كل ماتقدم بقول : " إنها كانت مثابة[1] المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر[2]" .

---

(١)- المثابة : المرجع

(٢)- الثعالبي : يتمية الدهر : ٦٥/٣

وانظر : المقدسي : أحسن التقاسيم :٣٣٩ و ٣١٠ - ٣١١ .

ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣٢٠ .

ابن رستة : الاعلاق النفيسة : ٣٠٨ .

ابن حوقل : صورة الأرض : ٣٩٠ .

النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٩ .

ونظام الملك : سياسة نامة : ٥٠-٥١ .

" الفصل السابع "

العلاقات الخارجية للدولة السامانية

علاقات السامانيين مع الترك

مع الدولة الصفارية

مع الصين والهند

أحاط بالدولة السامانية عدد من الدول والشعوب المختلفة ، إذ كان يجاورها الأتراك ،والصينيون ، والهنود ، إضافة إلى قبائل الهضبة الإيرانية ، وإلى الدولة الصفارية التي قامت ونازعتهم الملك والسيادة .

وقد نشأت علاقات مختلفة بين السامانيين وبين هذه الدول المجاورة تراوحت بين الاتفاق والتعاون إلى الاختلاف والحرب ، والتقاطع حسب الظروف التي تمر بها كل دولة ، وهذا ما سنرصده فيما يأتي من خلال الحديث عن العلاقات الخارجية للدولة السامانية .

أولا : علاقة السامانيين بالأتراك :

سبقت الإشارة إلى أن حكام بخارى كانوا يستعينون في بداية الأمر بالأتراك ، وقد تحدثنا عن استعانة الملكة خاتون بهم ضد جيوش الفتح الإسلامي في البدايات ، بيد أن هؤلاء الأتراك كانوا يضمرون نوايا وأطماعاً كثيرة ازدادت بمرور الزمن ، وفي أثناء حكم السامانيين ، ولذلك ازدادت هجماتهم على منطقة ماوراء النهر ، وتكررت غاراتهم . وهذا ما حمل السامانيين منذ منتصف القرن التاسع الميلادي أي آخر القرن الثاني الهجري على القيام بإرسال الجيوش إلى السهوب لإخضاع بدو الأتراك .

وبدأ هذا منذ زمن نوح بن أسد الذي أخضع فرغانة إخضاعاً تاماً ، وكاسان وأورست خاصة (١). كما قام نوح بإخضاع إسفيجاب عام

---

(١) - البلاذري : فتوح البلدان :٤٢٠- ٤٢١ .

٢٢٥هـ / ٨٤٠م وأمر وقتها ببناء حائط بأسفيجاب " يحيط بكروم أهله ومزارعهم[١]، وذلك لحماية المنطقة من غارات الترك المتكررة .

ونحن نعلم أن ولاية أسفيجاب ظلت حتى القرن العاشر الميلادي تحت حكم أسرة تركية ، وتمتعت ببعض الامتيازات ، منها إعفاؤها من الخراج - كما بينت في فصل الحياة الاقتصادية - وكان أمير أسفيجاب يرسل في كل عام إلى السامانيين أربعة دوانق ومكنسة ،وهدايا تعبيرا عن تبعيته لهم وولائه[٢].

والظاهر أن عملية إخضاع الترك لسلطة الخلافة العربية الإسلامية بشكل جاد وحازم بدأت في عهد المأمون[٣]، فقد أمر ولاته بمتابعة قتال المتمردين حتى يتم إخضاعهم ، واستمر هذا الأمر في عهد المعتصم وبشكل أوسع ، ولذلك قام عبدالله بن طاهر ، يعاونه السامانيون بحملة على بلاد الغز ومجاهدة الترك لإخضاعهم ونشر الدين بينهم .

ويبدو أن عدداً من سادة ماوراء النهر كانوا في بلاط الخليفة ،وهم الذين حركوا الخليفة وأقنعوه بإخضاع تلك المناطق ، وماحملة إسماعيل ابن أحمد إلى طراز ، وحملة نصر على شاوغر، واحتلال المسلمين لناحية هفت بفرغانة إلاّ لهذا الغرض[٤].

---

(١)- البلاذري : فتوح البلدان : ص ٤٢٢ و ٣٤٠ - ٣٤١ .
(٢)- الإصطخري : المسالك والممالك : ٣٣٣ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٢١ و ٣٣٩ .
(٣)- البلاذري : فتوح البلدان : ٤٣١ .
(٤)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧ - ١١٨ .

وفي خلافة المعتضد أعطي منشور من الخليفة ينص على تولية الأمير إسماعيل الساماني على ماوراء النهر بعد وفاة الأمير نصر سنة (٢٨٠ هـ / ٨٩٣م) ، فبدأ إسماعيل ولايته بغزو (طراز) شمال طشقند ، فلقي عناءً كبيراً حتى أخضعها وخرج إليه أمير المنطقة مع عدد من الدهاقين معلنين إسلامهم ، وحولت كنيستهم الكبرى إلى مسجد ،وخطب لأمير المؤمنين المعتضد بالله ، وحصل الأمير إسماعيل بعد عناءٍ على غنائم كثيرة [1]. هذا ما أورده النرشخي ووضحه المحقق في الحاشية ص (١١٧) .

والمتتبع للأحداث التي جرت بين السامانيين والأتراك يجد أن هناك مرة وحيدة حارب فيها الأتراك بجيش كبير ، وذلك في عهد الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني سنة (٢٠٩ هـ / ٨٧٩م)(٤٠٩ هـ / ١٠٣٨ م) فهناك خبر عن الأمير إسماعيل نفسه يقول فيه : " غزوت الترك في بعض السنين في نحو عشرين ألف رجل من المسلمين ، فخرج إليّ منهم ستون ألفاً في السلاح الشاكي ،فواقعتهم أياماً ، فإني ليوماً في قتالهم إذ اجتمع إليّ خلق من غلمان الأتراك وغيرهم من الأتراك المستأمنة ، وقالوا لي إننا لنا في عسكر الكفرة قرابات وإخواناً ، وقد أنذرونا بموفاة فلان ، أي كاهنهم ، والذي يزعمون أنه يُنْشِيء سحابَ البَرَدِ والثّلْج ....." وعندها دعا الأمير إسماعيل ربه أن يخلصه من هذه السحابة حتى لاتكون فتنةً للمسلمين وسُطْوَةً للمشركين، ويبدو أن هذا الأمر من قِبَل الكاهن لم يكن حقيقة ، فلم تصل السحابة إلى جيش المسلمين ، ولم ينتصر الترك بل حاقتهم الهزيمة ،وانتصر

---

(١) ـ النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧- ١١٨ .

الحموي : (ياقوت) : معجم البلدان : ٢/٢٥- ٢٦ .

وابن حوقل : صورة الأرض : ٣٨٠ ، ٣٨٩ .

السامانيون وغنموا غنائم كثيرة ،وبرز دور (المطوعة) الذين استعان بهم إسماعيل في حربه ، ونالوا شهرةً واسعةً ، وصار لهم تنظيم نقابي ، وصاروا يتقدمون للمساعدة في الجهاد ، وأصبحوا من القوة بمكان بحيث إن هؤلاء أصبحوا قوة للسلطان الذي يعاونونه ، وخطراً على من يناهضهم ، وهم الذين أطلق عليهم الكرديزي اسم (العيارين) وقد سببوا فيما بعد متاعب كثيرة للسامانيين(١).

وماسوى هذه المعركة التي أبدى الأتراك فيها قوةً وشجاعةً لم يكن لهم نفوذ كبير أو خطر مهم في الأحداث ، بل إن السامانيين تمتعوا بنفوذ كبير في بلاد الترك ، ويؤيد هذا القول ماحدث في النصف الثاني من القرن العاشر حيث تشير إحدى الروايات إلى أنه قد شُيد رباط على حدود الترك ،لأن قبائل البدو من الترك تعودت المجيء بأعدادٍ كبيرةٍ إلى مُدن الثغور الإسلامية للتجارة وأخذ حاجاتهم من منتوجات المناطق الخاضعة للسامانيين ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنهم أُخفقوا في الحصول على هذه الحاجات عن طريق الغزو والحرب ، لذلك اضطروا إلى شرائها عن طريق التجارة بعد أن أوقفوا تلك الغارات لعدم قدرتهم على مواجهة السامانيين أو الوقوف في وجه حملاتهم القوية(٢).

---

(١)- ابن الأثير : الكامل : ٨/٦١ ،
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٨٢ - ٣٨٥ .
ابن خلدون : العبر : ٤/٧٧٠- ٧٧٢ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٧٦- ٢٧٧.
الاصطخري : المسالك والممالك : ٢٩١ و ٢٤٥.
والثعالبي : خاص الخاص : ٥١ والكرديزي : زين الأخبار : ١٣

(٢)- ابن الأثير : الكامل : ٩/٣٢٢.
النرشخي : تاريخ بخارى (الترجمة) : ١٢٧ - ١٢٨ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٧٥.



هذا هو أحد جوانب العلاقات التي كانت بين السامانيين والأتراك ، وهو جانب الحرب والغزو . بيد أن الأمور لم تكن دائماً على هذه الحالة من الحرب والقتال ، بل هناك جوانب أخرى وقد لاحظنا قبل قليل كيف أن الأتراك لجؤوا إلى أخذ حاجاتهم من السامانيين عن طريق التجارة ، أي أن نوعاً من الهدنة والصلح قد تم على الحدود بين الدولتين .

كذلك فإن الأخبار تشير إلى أن السامانيين قد سمحوا لجماعة كبيرة من الغز بالنزول في أراضي ماوراء النهر الصالحة للرعي بعد أن هجر هؤلاء أوطانهم لأمر نجهله ، وليس بين أيدينا دليل على السبب الذي حمل السامانيين على الموافقة على هذا الأمر ، ولكن يبدو أنهم سمحوا لهم بالإقامة في المناطق الحدودية ، واشترطوا عليهم حراسة تلك المناطق ، وبذلك يكون السامانيون قد حاربوا الترك بالترك.

كذلك فإن النرشخي يذكر أن فرعاً من التركمان وفي مقدمتهم (سلجوق) قد اعتنقوا الإسلام ، وتحرروا من دفع الخراج ، ولكن خلفاءه لم يكونوا بقوة سلجوق ومقدرته ، ولذلك نشأ خلاف بينهم وبين الولاة ، فغادروا منطقتهم متجهين نحو الجنوب ، فأفسح السامانيون المجال لهم وأنزلوهم بنواحي نور ، وذلك عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) (١)

---

(١) - النرشخي : تاريخ بخارى (الترجمة): ١١١- ١١٢.
والمقدسي : أحسن التقاسيم :٣٢٣ - ٣٢٤ .



وبعد أعوام احتل (أُسفيجاب) خان (بلاساغون) ،فكان للتركمان دور في القتال بين هذا الخان من جهة ، وبين السامانيين من جهة أخرى .

وجدير بالذكر أن (شهاب الدولة وظهير الدعوة) لم يلق عند غزوه لبلاد ماوراء النهر مقاومة تذكر ، لأن قائد الجيش أبا علي فائقاً كان قد اتفق مع بغراخان سراً لاقتسام أرض الدولة السامانية ، على أن يأخذ بغراخان بلاد ماوراء النهر ، وتكون الأراضي الواقعة جنوب نهر أموداريا تحت سيطرة أبي علي[1].

وسبقت الإشارة إلى أن طبقة الدهاقين ذات النفوذ الكبير كانت ساخطة على الحكومة ، وكذلك كان رجال الدين . وقد اتفق المؤرخون على أن بغراخان وخليفته علياً كانا ورعين ، وكذلك كان فائق ، وهذا ممايجعلنا نفترض أن الشعب قابلهم بطيب وحسن استقبال ، ولاسيما الخواص من المجتمع الذين تضررت مصالحهم في الفترة الأخيرة نتيجة للفوضى والاضطراب اللذين كانت تعاني منهما الدولة السامانية في آخر أيامها ، وهذا يحملنا على الظن أن بغراخان لم يكن يريد إحراق بخارى كما تقدم.

وهكذا كانت علاقة السامانيين بالأتراك تتراوح بين الهدوء والاتفاق حينا ، وبين الحرب والغزو من قبل الجانبين حينا آخر.

---

(١)- ابن الأثير : الكامل ٩/٦٨، وفيه أن ذلك تم بدعوة من سليمان .
و ٩/٧٠،و ٨/٣٤٤ - ٣٤٨، ويحكي أن بغراخان أراد حرق بخارى لمعاداة أهلها له .
والنرشخي : تاريخ بخارى :١٢٨ .

ثانيا : علاقة السامانيين بالدولة الصفارية

نشأت الدولة الصفارية مجاورة للسامانيين ، بل وأحياناً نازعتهم السلطة على بعض الأقاليم ، ومعروف أن هذه الدولة قامت على يد يعقوب بن الليث الصفاري ثم إخوته عمرو ، وطاهر ، وعلي ، وهم من قرنين سجستان قرب بست . وقد انتقل يعقوب إليها وعمل لدى رجل صفار (أي يعمل الأواني من الصفر وهو النحاس) . أما أخوه عمرو فيقال إنه كان يعمل مكارياً ، والآخر كان نجاراً .

وقد انضم هؤلاء الإخوة إلى خالهم كثير بن رقاق وشكلوا جماعة انضمت إلى المطوعة ، وصاروا يعملون تحت قيادة درهم بن مضر بن صالح[1].

ويبدو أن يعقوب بن الليث كان خارجياً[2] في بداية أمره ، ولكن صداماً بينه وبين الخوارج أدى إلى قتل أخيه طاهر ، فاعتزلهم وانضم إلى خاله درهم الذي تنازل له عن زعامة المطوعة ، فبدأ اسمه ينتشر بين الناس ، وبدأ يؤسس دولة منذ زمن الطاهريين ، ولاسيما بعد استيلائه على مدينتي بوشنج وهراة ، ثم على كرمان التي استخلصها من علي بن الحسين بعد معركة شديدة[3].

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٦٨٧/٤- ٦٨٨ .
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠- ١٧١ .
والطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٢/٨ - ٣٨٤ .

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٧-١٠٨ .

(٣) - الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٤/٨، ٤٠٦ .
وابن الأثير: الكامل : ٣٨٠/٨- ٣٨١ .

كذلك فقد دخل يعقوب شيراز ، وملك بلاد فارس ، ثم رجع إلى سجستان ومعه الغنائم والأسرى ، فعاد الخليفة المعتز إلى إرسال عماله إليها [١].

واستطاع يعقوب أن يكسب ود الخليفة المعتمد (٢٢٥ – ٢٧٨هـ) (٨٧٠– ٨٩٢م) فضم إلى دولته ولاية بلخ وطخارستان . ثم استولى على كرديز،وكابل ، ودخل عاصمة الطاهريين سنة (٨٧٣م / ٢٥٨هـ) . ولم يستطع الخليفة في بغداد أن يدافع عن الطاهريين ، بل اضطر إلى التغاضي عن يعقوب وأعماله ، وتنازل له وولاه خراسان وطبرستان والري وفارس وشرطة بغداد [٢].

ويبدو أن يعقوب كان يطمع في أكثر من ذلك ، فاتجه نحو بغداد لاسقاط الخليفة ، ولكنه مات دون ذلك . فاستلم بعده أخوه عمر وبن الليث (٢٦٤ – ٢٨٦هـ) (٨٧٩– ٩٠٠م) وكان أكثر سياسةً ودهاءً من أخيه ، فاستعمل اللين والقوة ،والترغيب والترهيب ، خلافاً ليعقوب الذي كان رجل حرب وتجميع أموال ، ولذلك وجد معه عندما توفي أربعة ملايين دينار،وخمسين مليوناً من الدراهم.

وعندما استلم الأمر عمرو أعلن ولاءه للخليفة ، وحاول كسب ود الطاهريين فأخفق [٣].

---

(١)– الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٤/٨– ٣٨٥ ،وحتى ٤٠٦ ،
وابن الأثير : الكامل : ٣١٠/٨ .

(٢)– ابن خلدون : العبر : ٦٨٩/٤ – ٦٩١ .
نظام الملك : سياسة نامة : ٤٥–٤٧ .
والكرديزي : زين الأخبار ٢٢– ٢٣ .

(٣)– الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٩–٣٢٠ .
ابن الأثير : الكامل : ٣١١/٨–٣١٢ .
ابن خلدون : العبر : ٦٨٩/٤–٦٩٢ .
و النرشخي : تاريخ بخارى : ١١٧–١٢٠ .

وبرزت شخصية عمرو العسكرية ،فأسس جيشاً كبيراً ، وهذا جعله بحاجة دائمة إلى الأموال مما أرهق به كاهل رعيته حتى سئموا منه وسخطوا عليه (١).

ومع توسع الدولة الصفارية كان لابد لها من أن تصطدم بالدولة المجاورة ، وهي دولة السامانيين ، ولاسيما أن عمراً لم يكتف بالسيطرة على خراسان ، بل أراد بسط نفوذه على بلاد ماوراء النهر ، فنشأت حروب طاحنة بينه وبين السامانيين. وكان السامانيون قد رسخوا قواعد دولتهم وكسبوا طاعة الناس ، ولاسيما في زمن إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكان السامانيون يقيمون دولتهم على شيء من احترام الرعية لأنهم انبثقوا من الشعب ،أما الصفاريون فكانت دولتهم عسكرية أرهقت الناس وأسخطتهم عليهم، ولذلك لما اصطدامت الدولتان السامانية والصفارية لم يستطع الصفاريون الثبات أمام السامانيين ، فهزموا وكان للسامانيين فضل القضاء على الدولة الصفارية (٢).

وبعد أن ورث السامانيون دولة الصفاريين ، ظل الأمير اسماعيل ابن أحمد طوال مدة حكمه يخضع ولايات إيران الشمالية ،ولكن خلفاءه من بعده تركوا مناطق بحر قزوين والقسم الغربي من إيران للأسر الشيعية الحاكمة من العلويين والزياريين والبويهيين ،الذين دأبوا على إذكاء الروح القومية الفارسية لدى الناس مما جعلهم يكسبون شعبيةً كبيرةً (٣).

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٣٩.
(٢)- المصدر السابق : ١٢٠-١٢٢و ١٠٨- ١٠٩ .
الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ١٧٠-١٧١ .
وابن الجوزي : المنتظم : ١٢٩/٥ ،سنة ٢٢٦ .
(٣)- ابن الأثير : الكامل : ٢٢٦/٨ و ٣٨٠- ٣٨١ .

ومع ذلك فان المؤرخون عندما يتحدثون عن تاريخ الدولتين الصفارية والسامانية فإنهم يميلون إلى السامانيين ويتحدثون على دولتهم وسياستهم حديثاً حسناً ، وأما حديثهم عن الدولة الصفارية فهو حديث ينال من سياستهم العسكرية القائمة على السلاح وجمع المال والقوة [1] ،وكذلك فإن عقيدة السامانيين كانت أنقى من عقيدة غيرهم مما جعل الناس يتمسكون بهم ويؤيدونهم •

وهذا يعني أن العلاقة بين السامانيين والصفاريين لم تعرف إلا جانبا واحداً وهو جانب الحرب والقتال ، ويبدو أن الصراع بين الدولتين كان يعني أموراً مهمة ، فبالنسبة للسامانيين هو صراع من أجل البقاء ، فالصفاريون كانوا يريدون القضاء عليهم ، وبالنسبة للصفاريين فهو صراع من أجل تحقيق الطموحات الكبيرة التي لم تقتصر على سجستان وخراسان وماوراء النهر ، بل امتدت حتى نالت الخلافة ومركزها في بغداد •

هذه هي علاقات السامانيين مع جيرانهم في الهضبة الإيرانية •

---

(١)- نظام الملك : سياسة نامة : ٤٥-٤٦، ٤٩ •
الحميري : الروض المعطار : ٣٠٤- ٣٠٥ •
ابن خلدون : العبر : ٦٨٧/٤- ٦٨٨ •
والطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣٨٢/٨ ، ٣٨٤ •

ثالثا : علاقة السامانيين مع الهند والصين

كان للهند والصين علاقة مجاورة واتصال بالدولة السامانية ، ولم يكن بين السامانيين والهند والصين أطماع كبيرة واضحة تؤدي إلى اللجوء إلى الحرب والقتال ، بل إن مابينهم كان يتم عن طريق الاتفاق والمعاملة الحسنة ، ولذلك نشأت علاقات تجارية فيما بينهم تقوم على تبادل المنافع والمصالح المشتركة (١).

وقد مر بنا في حديثنا عن التجارة والصناعة في الدولة السامانية أن أهل سمرقند تعلموا حرفاً كثيرة من الصينيين ،أضافة إلى تجارة الحرير التي اشتهر بها الصينييون .

وكانت المبادلات مع الصين تتم عن طريق تجار مدينة بيكند الذين كانوا وسطاء بين الصين والبحر الغربي أي بحر قزوين . ومن المعروف أن أهل بخارى كانوا ينقلون الحرير إلى الامبراطورية الرومانية منذ القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

وقد تمت مبادلة الخبرة والتأثير والتأثر في مجالات مختلفة بين الدولة السامانية والصين ، من حيث الزراعة ،والتجارة ،والصناعة ،حتى إن بخارى كانت داراً للصناعة ، كما أن ابن الفقيه كان يقارن خراسان بالصين في مهارة الصناعة ، ولاسيما الفن الصيني(٢).

---

(١)- ابن خلدون : العبر : ٧٠٢-٧٠٣ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ١٢١-١٢٢.

(٢)- النرشخي : تاريخ بخارى : ٣٧
ابن الفقيه : مختصر البلدان : ٣١٦ .
والثعالبي : لطائف المعارف : ١٢٧ .

ومن حيث التجارة نشأت مبادلات بين سكان الدولتين ،وأفاد منها سكان البادية الرحل .

وكان الرعاة ينتقلون بقطعانهم عبر الحدود ،وإلى الحواضر للاتصال بالتجار ، وكان من أبرزهم تجار خوارزم الذين كانت لهم تجارات مع كل الدول المجاورة ، وكانت الجرجانية أكبر مركز من مراكز التجارة في خوارزم[1].

يستبعد أن يكون قد نشأ هناك تبادل دبلوماسي بين الصين والدولة السامانية لما تميزت به علاقتهم من احترام للحدود والجوار .

وبذلك نلاحظ أن الدولة السامانية كانت تؤثر وتتأثر بالدول المجاورة لها فتارة تكون العلاقات سيئة وتنتهي إلى الحرب والقتال كما كان عليه الحال مع الأتراك ومع المغاربيين ، وتارة تكون العلاقة حسنة فينشأ نوع من العلاقات الحسنة والتبادل التجاري والزراعي والصناعي كالذي كان بين الصين والسامانين .

واستطاع السامانيون أن يحافظوا على دولتهم ضمن هذه العلاقات المتناقضة مع الدول المجاورة مدة طويلة من الزمن .

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى (الترجمة) ٤٦-٤٧ .
الحموي : (ياقوت) : معجم البلدان : ٢/٢٥-٢٦ .
الحميري : الروض المعطار : ٢٢٥- ٢٢٦ .
المقدسي : أحسن التقاسيم : ٢٤٧ .
الإصطخري : المسالك والممالك : ٣٠٢ .
وابن حوقل : صورة الأرض : ٣٩١ .

" الفصل الثامن "

أهم العطاءات الحضارية في ظل الدولة السامانية وأبرز أعلامها

إن ماتقدم من حديث عن الدولة السامانية وماكان لها من مكانة وقوة في زمنها يحملنا على الحديث عن دور هذه الدولة الحضاري وماقدمته في تاريخ البشرية من آثار إيجابية ، وهي آثار كثيرة متنوعة من بناء وعمران ، ومن علم وعلماء مازالت أعمالهم وآثارهم شاهدة لهم بالتقدم الحضاري إلى يوم الناس هذا.

ولعل الناظر في تاريخ الدولة السامانية يدرك أن بخارى كانت مركز الدولة منذ اتخذها الأمير إسماعيل الساماني عاصمة له[1] ولذلك أضحت كعبة الملك ، وحاضرة الدولة ، ومجمع العلماء والأدباء والمحدثين والفقهاء ممن كان لهم مشاركة كبيرة في الميادين العلمية والأدبية وعلا ذكرهم بين الناس [2].

وقد شهدت الثقافة العربية وقتها ازدهاراً كبيراً في شتى المجالات ، وفي معظم أنحاء الخلافة العربية الإسلامية ، وبرز عدد من العلماء والأدباء والشعراء الذين انتشر ذكرهم وطارت شهرتم في الآفاق .

ويحسن بنا أن نشير من جديد إلى أن اللغة الفارسية التي ضمر استخدامها وكادت أن تتلاشى أمام لغة الدولة الجديدة (العربية) ظلت مستخدمة على نطاق شعبي في مناطق إيران ، وفي مطلع القرن العاشر أخذت هذه اللغة تتحرك لاستعادة مكانتها التي تستحقها في الاستخدام الأدبي والعلمي وكذلك في نظام الحكم ولاسيما أننا

---

(١) - النرشخي : تاريخ بخارى : ١٢٣ .
والمقدسي : أحسن التقاسيم : ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٢)- الثعالبي : يتيمة الدهر : ٦٤/٤- ٦٥.

لاحظنا كيف أن بعض الحركات التي قامت وقتها كانت تنمي الروح القومية بين الناس ، وتدعوا إلى استخدام اللغة الفارسية بدلاً من العربية ، وهذا أدى إلى عودة الحياة إلى اللغة الفارسية كلغة أدب وعلم وحكم بعد أن استمدت شروة طيبة من الألفاظ العربية ، واستخدمت الخط العربي لرسم حروفها[1].

وقد بدأت نهضة اللغة الفارسية هذه بالشاعر الكبير الرودكي ، المتوفى سنة (٩٥٤م) الذي كان شاعراً ومنشداً في بلاط السامانيين في بخارى .

ومما أسهم في نمو اللغة الفارسية وحضارتها أيضاً طلب الأمير نوح بن منصور إلى الشاعر الدقيقي أن يصوغ (الخدينامة) أو كتاب الملوك شعراً ، وهذا الكتاب كان أحد الفرس وهو دانشور المتوفى نحو (٦٥١ م) قد جمع فيه أخبار بلاد الفرس القديمة ، وقد شرع الدقيقي في نظم الكتاب شعراً ، ولكنه ماكاديتم هذا الكتاب حتى اغتاله أحد عبيده وقضى عليه ، ولما جاء الفردوسي بعده قام بمهمة إتمام الكتاب ، ونظم (الشاهنامه) ملحمة الفرس الكبرى[2].

---

(١)= الجذور التاريخية للشعوبية : د. عبد العزيز الدوري (ط . بيروت) ٥٠ - ٥١ .
ابن النديم : الفهرست : ١٧٣ .
والمسعودي : مروج الذهب (ط . باريس) : ٨/٣٩٢- ٣٩٣

(٢)- الفردوسي : أبو القاسم : الشاهنامة ، وترجمتها نثراً الفتح بن على البنداري ، وحققها د . عبد الوهاب عزام ، (ط مصورة - طهران - ١٩٧٠) ص ٣٦- ٣٧ .
ول ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ /مج٤ /ص ٢٣٤ .

وفي هذه الفترة ، وهي فترة الدولة السامانية برز عدد كبير من العلماء والفلاسفة والأدباء أمثال ابن سينا ، والفارابي ،والبيروني والخوارزمي ،والفردوسي ،والسيرافي ،وغيرهم.

كذلك شهدت الدولة السامانية تطوراً حضارياً في البناء والعمارة وبرز فيها المعماريون الذين بنوا القصور والحصون والقلاع وغير ذلك ، كما شهدت عدداً من الفنانين والموسيقيين.

وشهدت حركة الترجمة الفارسية نشاطاً واضحاً في عصر السامانيين، وكان هذا نذير خطر على اللغة العربية التي حملها معهم الفاتحون العرب المسلمون ، وهذا يحملنا على الوقوف عند هذه الظاهرة قليلا للحديث عن اللغة العربية في الدولة السامانية ومناطق إيران وماتعرضت له من انتكاسات في صراعها مع اللغة الفارسية (١).

ومن المعروف أنّ اللغة العربية وصلت إلى إيران وخراسان وتلك المناطق مع الفاتحين العرب ، وقد عاش هؤلاء العرب في البداية ضمن تجمعات قبلية سكنت في الغالب حول المدن ومدينة مرو تحديداً، ثم بدأ عدد لابأس به منهم يتجه نحو المدن يسكنها مثل خراسان وغيرها، وذلك منذ بداية خلافة عبد الملك بن مروان تقريباً ، وفي الوقت نفسه بدأ عدد من سكان تلك المناطق باعتناق الدين الجديد الإسلام (٢)، وازدادت هذه الحركة ، والتحق كثير من هؤلاء بعدد من القبائل العربية ، وأدرك عبد الملك بن مروان خطورة هذه المرحلة لذلك قام بتعريب الدواوين والدينار ليواكب العمل الحكومي العمل الشعبي .

---

(١)- الفردوسي / الشاهنامة : ٣٣- ٣٤ .
والنرشخي : تاريخ بخارى : ٨٦- ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٤٩ .

(٢)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٩٦/٣-١٩٧.

واستمر الأمر على هذه الحال حتى زمن العباسيين الذين شجعوا جميع القوى المناهضة للأمويين بما فيهم ورثة الديانات والعقائد الماضية ، وحين استهدفت بعض هذه الحركات الإسلام استهدفت معه في الوقت نفسه العربية والعرب ، ويؤيد هذا التوصيات التي صدرت عن الإمام إبراهيم إلى أبي مسلم الخراساني بألا يبقي عربياً[1] وهذا الاتجاه يفسر لنا ظهور بعض الحركات وتعاونهما فيما بينهما ضد الحكم العربي المسلم.

وأدى ذلك كله إلى تراجع اللغة العربية في حين بدأت تزدهر الفارسية ، وزاد من ازدهارها فترة حكم محمود بن سبكتكين (٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م) الذي جعل الفارسية لغة رسمية إضافة إلى ازدهار الثقافة والحركة العمرانية الإيرانية لنشاطه في ذلك.

كذلك فقد ظهرت حركات أخرى كالشعوبية ، والقرامطة ، وغيرها نالت من العرب وحضارتهم لفترة من الزمن[2].

ويتعذر على الباحث أن يفصل بين النشاط الديني والنشاط السياسي للحركات التي ظهرت كحركة بهافريد (١٣٢هـ)وحركة أستاذ سيز (١٥٠ هـ) والخرمية ، وغيرها ، وقد وجد الوعي الفارسي لدى الناس في أبي مسلم الخراساني رمزاً كبيراً . ومثل هذا يمكن

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٥ ، ١٣١- ١٣٣ ،١٤٩ .
مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية : الدكتور سهيل زكار :٣٢-٣٧ .
والجذور التاريخية للشعوبية : د .عبد العزيز الدوري : ٥٠ -٥١ .

(٢)- الجذور التاريخية للشعوبية د .عبد العزيز الدوري ٥٠ - ٥٣ .
الجاحظ : البيان والتبيين : ٣/ ١٤ .
وابن النديم : الفهرست : ١٥٣- ١٥٥ .

أن يقال في الراوندية الذين اعتقدوا بحلول جزء الهي في العباسيين وقدسوا أبا مسلم وكان لهم آراء متطرفة ومغالية [1]. وهذا يعني أن هؤلاء الذين ناصروا العباسيين ضد الأمويين كان لهم غايات وأهداف أخرى هي نقض الخلافة العربية والقضاء عليها والعودة إلى الحضارة الفارسية التي تلاشت أمام جيوش الفتح العربي الإسلامي .

ولما كانت هذه الصراعات موجودة ضمن الخلافة الأموية فالعباسية وفي المناطق والأقاليم الفارسية الأصل وغير العربية ، كان لابد أن يظهر أثرها بين الخواص والعام ، ولذلك نجد عدداً من الوزراء الفرس الذين كانوا يحلمون بعودة الحكم الفارسي ، وكذلك كان الكتاب الذين يشكلون قاعدة أساسية يحاولون إعادة الحياة للتراث الثقافي الفارسي .

ومنهم من حاول نقل الكتب وترجمتها عن الفارسية إلى العربية ، فنشطت حركة الترجمة ، ولكن دون أن تقضي على الاتجاه الآخر الداعي إلى أحياء الفارسية وتراثها [2].

وقد حظي الأدب والفكر والعلماء في البلاط الساماني بعناية الأمراء واهتمامهم وتشجيعهم ، واستقبالهم في مجالسهم ،بل ومراسلتهم ومن ذلك أن الأمير نوح بن منصور الساماني كتب سنة (٣٥٠هـ) إلى أبي سعيد السيرافي النحوي يسأله عن بعض المسائل في النحو والأدب [3].

---

(١)- الجذور التاريخية للشعوبية : عبد العزيز الدوري : ٢٦-٢٩ .
المسعودي : مروج الذهب : ٣٩٢/٨ .
الدينوري : الأخبار الطوال : ٣٦٠ .
وابن النديم : الفهرست : ٧٤ .

(٢)- الثعالبي : يتيمة الدهر : ٦٣-٦٥ .
والفردوسي : الشاهنامة : ٣٤-٣٥ .

(٣)- ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب : ترجمة د. سهيل زكار دمشق ١٩٨٨ .
الثعالبي : يتيمة الدهر : ١٠١-١٠٤
ومجلة التراث العربي : العددان ٦/٥ ، دمشق ،وزارة الثقافة .

كما حظي أدب الجغرافيا عند السامانيين بعناية كبيرة ، ففي رحاب دولتهم ، وفي مدينة بلخ عاش الجغرافي أبو زيد البلخي المتوفى (٣٩٤ هـ) ، وحظي برعاية الوزير أبي عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني الذي تولى الأمور في زمن نصر بن أحمد الساماني عندما كان الأمير حدثاً ، وقد خلف البلخي مؤلفات كثيرة في جميع فنون العلم.

ويبدو للباحث أن الدولة السامانية كانت ملاذاً لكثير من الشعراء والأدباء والفلاسفة والعلماء ، مما يوحي بتوفر حركة ثقافية وحرية فكرية ونهضة علمية .

وسنقف عند بعض العلماء والأدباء المشهورين الذين عاشوا في كنف السامانيين ، لنتحدث عنهم وعن أعمالهم وكتبهم مما يعين على كشف بعض الجوانب الحضارية للدولة السامانية.

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

" الفيلسوف الطبيب ابن سينا "

أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا البلخي ثم البخاري(١).

نشأ ابن سينا (٩٨٠- ١٠٣٧م) في كنف الدولة السامانية ، ثم الغزنوية والقراخانية ، وذلك في العصر الذهبي للفكر الإسلامي الذي يعد ابن سينا فيه قمة من قممه ، وعلماً من أعلام فلسفته وطبه .

وتشهد سيرته التي كتبها بيده - وهي من السير النادرة في التراث العربي - بماكان يحدث في العصور الوسطى من تقلب في حياة العلماء والحكماء .

---

(١)- ترجمته عند : البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ٢ص- ٧٢
الشهرستاني : تاريخ الحكماء : ٤١٣- ٤٢٦ .
ابن الأثير : الكامل / ٤٥٦/٩ .
ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٤٣٧ - ٤٥٩ ،
ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١٥٧/٢- ١٦٢ ،
الذهبي : العبر : ١٦٥/٣، وسير أعلام النبلاء : ٥٣١/١٧ .
الصفدي : الوافي بالوفيات : ٣٩١/١٢- ٤١٢ ،
ابن كثير : البداية والنهاية : ٤٢/١٢- ٤٣ .
ول ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ / مج٤ / ص ١٩٢- ١٩٣ ،
ومجلة التراث العربي - وزارة الثقافة - دمشق - العدد ٨ ص-٦ .

وكان ابن سينا ابناً لأحد الصيارفة الذين انتقلوا من بلخ إلى بخارى ، وكانت نشأته في الدولة السامانية ثم الغزنوية والقراخانية . فابن سينا ترعرع وشب رجلاً وكهلاً في عصر تميز بازدهار اقتصادي وحضاري واستقرار في المجالات كلها ، كما تطورت فيه القوى المنتجة ، وثقافة المجتمع ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

أخذ ابن سينا علومه من علماء عصره ، وكان لهم أثر في تنوع معارفه واهتماماته بين الطب والأدب والفلسفة والرياضيات ، وغير ذلك ، وقال عنه ابن خلكان إنه لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد اتقن علم القرآن العزيز ، وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهند والجبر[1]. وهذا يدل على نبوغه المبكر .

وقد تعلم الطب ،وأخذ في معالجة المرضى وهو شاب يافع ، واشتهر بين الناس كثيراً ، ولاسيما بعد أن شفي - وهو في السابعة عشرة - الأمير نوح ابن منصور أمير بخارى من مرضه ، فعينه في بلاطه .

ويقول صاحب عيون الأنباء : " لما سافر الشيخ إلى همذان عرفه شمس الدولة ، وأحضره إلى مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه ، فعالجه حتى شفاه الله [2]، وقد حظي بالكثير من العطايا وأصبح من ندمائه حتى إن شمس الدولة سأله تقلد الوزارة عنده فقبلها ، وألف أثناء ذلك جزءاً من (الشفاء) في الفلسفة ، وجزءاً آخر من (الالهيات) والمنطق ، وجزءاً من (القانون في الطب) . ولكن ماوصل إليه ابن سينا أوفر صدر

---

(١)- ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢/١٦٠ .

(٢)- ابن أبي صيبعة : عيون الأنباء : ٤٤٠ .

الحاسدين ، فدبروا له تهمة ، وجعلوا الشرطة تداهم داره حيث أُخذ إلى السجن ، ثم جردوه من كل ماليه ، وسألوا الأمير أن يقتله ، فامتنع ،واكتفى بنفيه بعد أن أمضى مدة في السجن . وقد أُلف في سجنه (الهداية) و (حي بن يقظان) و (القولنج) . وعندما خرج من السجل آكمل (القانون) وكتب جزء الموسيقى من (الشفاء) .

وعاود بعدها مرض القولنج الأمير شمس الدولة ، فطلب ابن سينا ، واعتذر إليه ، واشتغل بمعالجته ،وأقام عنده مكرماً بعد أن أُعاد إليه الوزارة .

وكانت نشأة ابن سينا في موطن غلبت عليه الحنفية ، ويبدو أن والده قد مال عن هذا المذهب إلى مذهب باطني هو الإسماعيلية، ولم يمنعه مذهب أبيه من الاشتغال بالفقه الحنفي ،وعلم المناظرة المعتمد على الكلام والفلسفة والمنطق . وما أن بلغ العشرين من العمر حتى أخذ الملوك والأمراء يتنافسون في دعوته إلى حضرتهم ،حيث قضى نحو أربعين عاما متنقلا بين مختلف الأقاليم الإسلامية (١).

وظل ابن سينا بين حل وترحال حتى مات في السابعة والخمسين من عمره ، وهو مسافر إلى همذان ، حيث لايزال قبره مزاراً للناس يؤمونه ويزورونه مجلين من فيه (٢).

---

(١)_ ابن سينا : الإشارات والتنبيهات : ١٣٤_ ١٣٥.

(٢)_ ابن سينا : الاشارات والتنبيهات : ١٤٤.

والفاخوري والجسر : تاريخ الفلسفة العربية ٤٤٣_ ٤٤٧ .

ويل ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ / مج ٤ /ص ١٩٥_ ١٩٦.

ووجد ابن سينا في حياته المتقلبة بين الراحة والخوف متسعاً من الوقت لتأليف الكثير من الكتب بالعربية والفارسية ،تحدث فيها عن فروع مختلفة من فنون العلم والمعرفة ،إضافة إلى قصائده ومنظوماته العلمية والتي وصل إلينا منها خمس عشرة قصيدة ، منها قصيدته العينية في النفس وهبوطها إلى الجسم من عالم علوي ،ومطلعها :

هبطت عليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع(١)

كما ترجم كتاب إقليدس في الهندسة ، ووضع له عدة أزياج فلكية ، وله دراسات مبتكرة في الحركة والطاقة والفراغ والضوء ، وغير ذلك ،وله أيضاً رسالة في المعادن بقيت حتى القرن الثالث عشر من أهم مصادر علم طبقات الأرض عند الأوربيين .

ولابن سينا كتابان يشتملان على أهم آرائه ، الأول كتاب (شفاء النفس) وهو موسوعة من ثمانية عشر مجلداً في العلوم الرياضية والطبيعية وماوراء الطبيعة ، والدين والاقتصاد والسياسة والموسيقى .

والثاني كتاب (القانون في الطب) وهو يتناول وظائف الأعضاء ، والصحة ، والعلاج ، ويتطرق أحيانا إلى بعض القضايا الفلسفية ، وقد كتبه بأسلوب أدبي متميز جعله مثالاً للكتابة العلمية بأسلوب أدبي .

وكان ابن سينا من كبار الموسوعيين في التاريخ إلى جانب تبحره في الطب والفلسفة ، وكتابه الإشارات في الفلسفة من أشهر آثاره الفكرية التي خلفها وأفاد منها العالم أجمع (٢).

---

(١) - ابن سينا : الإشارات والتنبيهات : ١٤٧ .

(٢) - ابن سينا : الإشارات والتنبيهات : ١٣٥ - ١٤٩.

وحنا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية : ١٤١-

والفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية (ط . القاهرة ١٩٧٠) .

والإلهيات : ج١ / ج٢ (ط . القاهرة ١٩٦٠- ١٩٦١).

النفس : ٢/١ (القاهرة - ١٩٧٤) .

ويل ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ ،م٤ج ، ص ٢١١ -٢١٢ .

وابن سينا أحد الرحالة العرب[١]، وقد عرف كيف يتعامل مع المدارس الفكرية والمذاهب الكلامية المختلفة ، وكانت له فلسفته التي تقبلها الكثيرون ، ولاسيما في مشرق الخلافة منذ القرن السادس الهجري وحتى الرابع عشر . وهو ممن مزجوا العلم بالفلسفة كغيره من العلماء عصرئذٍ[٢].

ولهذا الفيلسوف دراسات مهمة ، وآراء كثيرة جديرة بالاهتمام سواء التي كانت في الطبيعيات ،أو الرياضيات ، أو الجيولوجيا أو علم النبات والحيوان ، أو الطب ،أو الموسيقى . ومازال هناك كثير من الجوانب العلمية عنده لم تنل حظها من الدراسة والبحث حتى الآن ، ويظل الطب العربي بوجه خاص ،والعالمي بشكل عام مدينا إلى حد كبير لما قدمه ابن سينا الذي ظل مرجعاً في ذلك عدة قرون[٣].

ولم يقف أثر ابن سينا عند العربية ، بل جاوزها إلى لغات شرقية أخرى ، فقد ألف بالفارسية ،وتنوقلت كتبه بين الفرس الذين حاولوا أيضاً ترجمة مؤلفاته العربية.

ولابن سينا تلاميذ كثر من بينهم صدر الدين الشيرازي (١٦٤٢م) الذي أخذ كثيراً من علومه ، وتناولها بالشرح والتعليق وكانت شروحه لكتب ابن سينا مما يعول عليه . كذلك كان لابن سينا أثر واضح فيمن جاء بعده . وقد عرف عنه مشاركته باللغة

---

(١)= حنا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية : ٤٦٤ومابعدها .
(٢)= حنا الفاخوري : تاريخ الفليفة العربية : ٤٤٤ ومابعدها.
(٣)= انظر كتاب : الشفاء - المنطق - المقولات - المقالة الاولى : ص ٨ .

التركية ، والكردية ، والعبرية ، وقد أفاد منه اليهود ودرسوا مؤلفاته وترجموا الكثير منها ، وفيلسوفهم الكبير ابن ميمون (١٢٠٤م) مدين لابن سينا بقدر ماهو مدين لابن رشد أيضاً.

كذلك وجدت فلسفته طريقها إلى السريانية ، فترجم عدد من كتبه إليها ، ويعد ابن العبري أحد كبار مفكري السريان في القرن الثالث عشر الميلادي أحد المستفيدين الكبار من علم ابن سينا [1].

ولم يتأخر انتقال علم ابن سينا ومؤلفاته إلى أوربة ، فلم يكد يمضي نحو قرن على وفاته حتى بدئ بترجمة كتبه إلى اللاتينية ضمن حركة ترجمة الكتب العربية إلى تلك اللغات ، وقد تركت فلسفة ابن سينا أثراً عظيماً في فلسفة القرون الوسطى ولاسيما كتابه (النفس).

وكان لابن سينا أدلة وبراهين على وجود النفس ومن براهينه البرهان المشهور (برهان الرجل الطائر) الذي حظي باهتمام الفرنسيسكان ،وكان برهانه هذا أشبه ببرهان سابق للقديس أوغسطين ولم يكتف بهذا الأمر بل تناول قضايا لاهوتية كبرى كأصل العالم وذات الباري وصفاته وصلته بمخلوقاته ، وكل هذه القضايا كانت الشغل الشاغل لمفكري القرون الوسطى المسيحيين.

---

(١)- ابن سينا : الإشارات والتنبيهات : ١٣٢/١
ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء : ٤٦٤
التراث العربي : التداذن ٥ - ٦

(٢)- انظر : الفلسفة الإسلامية والنهضة الاوربية ،في أثر العرب في النهضة (ط . القاهرة ١٩٧٠).

ونستدل من هذا كله على الأثر الواضح الذي تركه ابن سينا في تاريخ الفكر المسيحي في القرون الوسطى ، وقد نوه به كبار مفكريهم ،وأخذوا عنه ، وفي مقدمتهم البير الكبير ،وروجربيكون[١]

ولم يقف الأثر الذي تركه ابن سينا عند القرون الوسطى بل جاوزها إلى عصر النهضة والتاريخ في الحديث ، حيث اكتسب طب ابن سينا وكتابه (القانون في الطب) صفة عالمية ، وعد في أوربة مرجعاً هاماً للدراسات الطبية طوال ستة قرون من الزمن[٢].

وبذلك استحق ابن سينا أن يكون قمة من قمم الثقافة العالمية على مدى عصور متتالية ، في الشرق والغرب ، وعدت مؤلفاته حلقة هامة في تاريخ الفكر الإنساني من حيث إسهامه في تقديم العلوم ،وتميزه بثلاث مميزات ،وهي :

١- قوة الملاحظة

٢- نزعته إلى الاستقراء والتجربة في أعماله

٣- التخلي عن الأحكام المسبقة في نظرته إلى الوقائع العلمية ،

وهذا دليل على نباهة عقله العلمي ومكانته التي احتلها في تاريخ البشرية ، فقد أسهم في تشييد صرح العلم الحديث في العالم وفي بلاد إيران وباكستان ، حيث تدرس مبادئ طبه .

---

(١) - الفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية ،في أثر العرب في النهضة (ط . القاهرة ١٩٧٠).

(٢)- الفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية في أثر العرب في النهضة : ص ١١ والتراث العربي - العددات : ٥/٦ فهما مخصصان عن ابن سينا ومؤلفاته .

وقد تحدث (أندره هان) عن كتاب ابن سينا (القانون في الطب) ضمن مقال عن الطب العربي فقال : " وإننا نرى في ابن سينا الفيلسوف والشاعر والطبيب ومؤلف القانون ، الرجل الأول الذي يمثل بحق ذروة الطب العربي ».

وقد تفوق ابن سينا بتجاربه الطبية ، وبعمق فلسفته ، مما دعاهم إلى تسميته بالشيخ الرئيس ،لأنه بحق شيخ الأطباء والفلاسفة ، وهو يشير في آرجوزة المجربات إلى منهجه في التجريب بقوله في مطلعها :

بدأت باسم الله في النظم الحسن أذكر ماجربته طول الزمن

ثم قال :

هذا الذي جربته في عمري نظمته للمقتفين أثري

ونظم هذه المنظومة التعليمية قبل وفاته بأربعين يوماً .

وإضافة إلى هذا الجهد في الطب فإن نظراته وآراءه الفلسفية لم تكن بأقل من ذلك ولاسيما رسائله الكثيرة كرسالة الطير ، وحي بن يقظان ،وغيرها[1].

والذي يقرأ حي بن يقظان بإمعان يدرك ماتنطوي عليه من رموز محفوفة بخيال قوي وتصور فلسفي ، ونجد مثل ذلك في رسالة الطير .

---

(١)- ابن سينا : الإشارات والتنبيهات : ١٤٤- ١٤٥.
ومجلة التراث العربي : العددان ٥/٦ ص ٥٤- ٥٦.

ولابن سينا مشاركة لغوية وأدبية وموسيقية وشعرية إضافة إلى باقي جوانب ثقافته . ويذكر تلميذه أبو عبدالله الجوزجاني قصة إتقانه لعلوم اللغة بقوله : كان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الأمير ، وأبو منصور الجبائي حاضر ، فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها ابن سينا ماحضره ، فالتفت إليه أبو منصور وقال : إنك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ في اللغة مايرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام ، وتوفر على درس اللغة العربية ثلاث سنين ، حتى بلغ فيها طبقة قلما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة ، وكتب ثلاثة كتب ، أحدها على طريقة ابن العميد ،والثاني على طريقة الصابئ ، والثالث على طريقة الصاحب بن عباد ، وأمر بتجليدها ، ثم عرضت على الأمير ، فاختبره بها ، وأقره على علمه [1].

وقد اختلف الباحثون في عقيدة ابن سينا ، فمن قائل إنه مؤمن مخلص في إسلامه ، وكل ماقام به هو محاولة التوفيق بين العقل والنقل ، إلى قائل ، إنه ملحد ، كما قال الغزالي ولكن الظاهر أن ابن سينا مؤمن بالله ، وعقيدته قوية به ، ونستشف هذا من خلال وصيته لتلميذه أبي سعيد الصفي بقوله : ليكن الله تعالى أول فكر لك وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ، وإن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأبطل السعي المراءاة [2].

---

(١) - تاريخ الفلسفة العربية : ٤٧٤ ومايليها .

(٢)- تاريخ الفلسفة العربية : ٤٧٥ .

وكثيراً مادعا هذا الفيلسوف إلى اتباع الاعتدال في كل الأفعال ، ومع كل ماقيل عنه فإن ابن سينا يبقى الشيخ الذي تسابقت الأمم في نسبته إليها ، فالأتراك ادعوا أنه منهم ، والفرس كذلك، وعلى جدران مكتبة أكسفورد ظهرت مجموعة من الصور ، منها واحدة لابن سينا إلى جانب أرسطو وأفلاطون[1].

هذا هو ابن سينا الذي يُحار الباحث ويدهش مما خلفه للحضارة الإنسانية من فلسفة وإلهيات ، وتصوف ،وجل ،وغير ذلك ، فهو بحق من نوادر الدهر ونوابغه.

ومما يأسف له الباحث أن حوادث الأيام وتصاريف الدهر أفقدتنا الكثير من مؤلفاته ، ومع ذلك فإن مابقي منها يزيد عن مئتي مؤلف ، وقلما تخلو مكتبة من المكتبات العالمية من نسخ من كتب الشيخ الرئيس .

وهكذا فان ظهور أول دولة طاجيكية في القرون الوسطى وتطورها بزعامة السامانيين ، يشكل إحدى المراحل المهمة في تاريخ آسيا الوسطى ، ولهذا تبرز أهمية اهتمام الباحثين على اختلاف اختصاصاتهم بهذه المرحلة ،وخاصة أن ابن سينا من أُبناء الشعب الطاجيكي ، هذا الشعب الذي حمل كثيرا من العلوم والتقاليد البناء في مجالات الزراعة وبناء المدن ، والإنتاج الحرفي والصناعي والخبرات في مستوى التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي[2].

---

(١)- ويل ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ مج٤ ص ١٩٢.

(٢)- آ.ي . ياكوبوفسكي : المسائل الرئيسية لدراسة تاريخ تطور مدن آسيا الوسطى ـ الفرع الطاجيكي لدى أكاديمية العلوم السوفيتية مج ٢٩/ص ١٥-١٦.
ن . ن غماتوف : دولة السامانيين وماوراء النهر وخراسان) في القرن التاسع والعاشر . دوشانبه " دونيش " ١٩٧٧ .
لينين : المؤلفات الكاملة ;مج ١٧٨/٢.

وابن سينا قد دعم فعليا جميع إنجازات العقل المبدع والممارسات التطبيقية لعصره وللعصور اللاحقةوغيرها ، وبذلك استحق الوصف الذي وصفه به المستشرقون من أنه عالم موهوب ، ومفكر عالمي ، يملك ذكاءً نادراً وذاكرةً قويةً وعقلاً خصباً ، وجلداً متقطع النظير . وأعجب مافيه طموحه العقلي الدائم للبحث عن الحقيقة ، وهو بحق عبقري العقل ، يتلألأ كل ذلك في مؤلفاته التي تزيد على المائتين[1].

---

(١)- أ.ي ياكوبوفسكي : المسائل الرئيسية لدراسة تاريخ تطور مدن آسيا الوسطى : ١٧-١٨.
ومجلة التراث العربي : العددان ٥/٦ ص ٥٩

" أبو الريحان البيروني "

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي[1] (٣٦٢ - ٤٤٠هـ/٩٧٣-١٠٤٨ م) فيلسوف رياضي ، ومؤرخ ، وكان رحالة وجغرافياً ولغوياً وشاعر وفلكياً وعالماً في الطبيعيات .

وهو من أعلام الدولة السامانية في الأدب إضافة إلى الفردوسي . ولد بالقرب من مدينة (جنوى) الحالية ، انتهت إليه زعامة موطنه في غرب بحر قزوين من الناحية العلمية في العصور الوسطى .

وقد أقام البيروني في الهند بضع سنين ثم عاد إلى وطنه ،وعرف أمراء خوارزم وطبرستان فضله ومنزلته ، وأدركوا عظم مواهبه ، فأفردوا له مكاناً في بلاطهم ، وسمع السلطان محمود الغزنوي بكثرة علماء وشعراء خوارزم ، فطلبهم من أميرها ، وطلب من بينهم البيروني ، ولم يكن أمام والي خوارزم إلا أن يطيع ، وانتقل البيروني ليعيش حياة هادئة وكريمة في كنف السلطان المحارب[2].

---

(١)- ترجمته عند : البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام : ٧٢ .
والحموي (ياقوت) معجم الأدباء ١٨٠- ١٩٠ .
السيوطي : بغية الوعاة : ٢٠ .
زيدان (جرجي) تاريخ اداب اللغة : ٣٤٥/٢ .
دائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٧/٤ - ٤٠٣ .
الزركلي : الأعلام : ٣١٤/٥ .
ويل ديورانت : قصة الحضارة : مج ٤ /ج٢ / ١٨٣- ١٨٤ .
ومجلة التراث العربي - وزارة الثقافة - دمشق - العدد١٠ ص- ٦ .

(٢)- ويل ديورانت : قصة الحضارة : مج٤ /ج٢/ص١٨٣ .

ولعل البيروني قد دخل الهند في ركاب السلطان محمود نفسه ، ثم أقام هناك مدة درس خلالها لغة البلاد ، وآثارها القديمة ، ثم عاد إلى بلاط السلطان محمود .

ويقال إن رجلاً من شمال آسيا زار السلطان محموداً ، ووصف له إقليماً ادعى أنه رآه بعينه ،حيث قال : إن الشمس تظل في هذا الإقليم عدة أشهر لاتغيب أبداً، فاستنكر السلطان ذلك وكاد يسجن الرجل لكذبه لولا أن قام البيروني بشرح الأمر وتوضيحه وتأكيد صحته للسلطان من خلال معرفته بعلم الفلك والجغرافيا.

وحظي البيروني بمودة الأمير مسعود بن محمود الذي كان مولعاً بالعلم ، فأخذ يغدق الأموال والهدايا على البيروني ، ولكن البيروني كثيراً ماكان يأخذ الأموال منه ثم يردها إلى بيت المال لأنها تزيد عن حاجته . قيل إنه " لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي ، فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه "(1).

وللبيروني مؤلفات كثيرة ومبتكرة في ميادين مختلفة ،وهو يضاهي ليبنتز وليوناردو دافنشي عند الغربيين .

وكان أول مؤلفاته الكبرى رسالة علمية تعرف باسم : الآثار الباقية في التقاويم والأعياد عند الفرس وأهل الشام واليونان واليهود والمسيحيين والصابئين والزرادشتيين والعرب . ويعد الكتاب دراسة موضوعية كبيرة لما تقدم زمنه من هذه الأحوال والمناسبات ، وترفع البيروني فيها عن التعصب والأهواء على أنه اتُّهم بالنزعة الشيعية (2).

---

(1)- ياقوت : معجم الأدباء : ١٨١/١٧

(2)- البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية :٢٥٦(ط. ليبزغ ١٨٧٨) والبيروني العالم : في أعمال مهرجان البيروني خلال أعمال أسبوع العلم الرابع عشر في دمشق ١٩٧٤.

وقال البيروني في الآثار الباقية مثل ماقال فرنسيس بيكن في بعض كتبه " بعد تنزيه النفس عن العوارض المردية لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق ،وهي كالعادة المألوفة ، والتعصب والتضافر ، واتباع الهوى ، والتقلب بالرياسة وأشباه ذلك .

وبغير ذلك لايتأتى لنا نيل المطلوب ولو بعد العناء الشديد والجهد الجهيد(١)" . وبذلك يكون البيروني قد سبق الكثير مع العلماء المشهورين إلى كثير من النظريات والآراء المهمة في تاريخ الحضارة الإنسانية .

وقد ألف البيروني كتاباً مهماً وجاء بالمعلومات فيه من خلال إقامته في الهند ودراسته لطبائع الشعب هناك ولغاته وأديانه وثقافاته ، وسمي كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) وهو مطبوع كتبه سنة (١٠٣٠م) وهو من أعظم ما ألف في هذا المجال ، دون فيه ماشاهده وسمعه وخصّ به أحوال الهند الفلكية باثنين وأربعين فصلاً ،وأديانها بأحد عشر فصلاً .

وترجم في هذه الفترة عدداً من المؤلفات السنكريتية إلى العربية ، كما نقل كتاب أصول الهندسة لإقليدس إلى السنكريتية ، وكذلك نقل المجسطي لبطليموس .

ومن مؤلفاته أيضا تواريخ حكم السلطان محمود ، وسبكتكين ،وتاريخ خوارزم . وقد رأى ياقوت الحموي فهرس كتب البيروني في مرو ، وحجمه ستون ورقة ، ومن مؤلفاته : (الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب)(٢).

---

(١)- البيروني : الآثار الباقية : ٢٥٤- ٢٥٥

(٢) - طبع في حيدر آباد الدكن ١٩٥٨

و(الجماهر في معرفة الجواهر) و(تاريخ الأمم الشرقية) و (القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم والجغرافية . و (الإرشاد) في أحكام النجوم ، و (تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن) ،و (التفهيم لصناعة التنجيم) ، و(استخراج الأوتار في الدائرة) في الهندسة ، وهذه الكتب مطبوعة (١).

وعندما توفي السلطان محمود بن سبكتكين سنة (٤٢٢ هـ) كان أبو الريحان البيروني لايزال بغزنة ،ومن أهم الكتب التي وضعها ذلك العام (تقاسيم الأقاليم) وقال فيه النيسابوري : " لقد كان له السبق في الرياضيات ، لقد كان مكباً على تحصيل العلوم ، منصبا إلى تصنيف الكتب يفتح أبوابها ولايكاد يفارق يده القلم ، وقلبه الفكر إلا لإعداد ماتمس إليه الحاجة في المعاش (٢).

وتوفي البيروني سنة (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) ويصف لنا الوالجي وفاته فيقول : " دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه ،وضاق به صدره ،فقال لي في تلك الحال : كيف قلت يوما حساب الجبرات الفاسدة ؟، فقلت له إشفاقاً عليه أخي هذه الحولة ؟ قال لي : ياهذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة الا يكون خيراً من أخليها وأنا جاهل بها (٣).

وهذا يدلنا على جد البيروني ومتابعته للعلم وحرصه على تحصيله حتى آخر لحظة في حياته .

---

(١)- الزركلي : الأعلام : ٣١٤/٥ .
وويل ديورانت : قصة الحضارة : مج٤ /ج٢ /١٨٤- ١٨٥ .

(٢)- ياقوت : معجم الأدباء : ١٨١/١٧ .

(٣)- الصفدي : الوافي بالوفيات : ١٤٢/٢ - ١٤٣ .
والبيروني : الآثار الباقية : ٢٥٧- ٢٥٨ .

وكان البيروني موقراً ومقدماً عند الملوك ويقال إن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه لمحبته ويبقيه في داره على أن يكون له الأمر والطاعة في جميع مايحويه ملكه فأبى عليه ولم يطاوعه في ذلك [1].

وعرف أبو الريحان بإقباله على علم النجوم ومحبته له ،ورأينا دليلاً على ذلك فيما تقدم من ذكر لمؤلفاته . وقد حاول الأمير مسعود بن محمود أن يسأله حول برهان على سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض فأجابه : أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين ، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض ،فاخلق بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور فأجزل له السلطان العطاء .

أما كتابه (الدستور) فقد صنفه لشهاب الدولة أبي الفتحمودود بن السلطان الشهيد واستوفى فيه أحسن المحاسن[2]. كما أن له شرحاً لشعر أبي تمام .

ولذلك فقد عد أبو الريحان البيروني أديباً بارعاً ولغوياً متمكناً بسبب كثرة تصانيفه ، وتنوعها ، وأسلوبها الذي كتب به البيروني[3].

ويبدو أن البيروني قد عانى مما يعانيه الكثير من العلماء والخواص من نظرة إلى المذهب والمحاسبة[4]عليه ، فلما استولى السلطان محمود على خوارزم قبض على أبي الريحان وعلى أستاذه الشيخ عبد الصمد الذي اتهم بالكفر والقرمطة وقتل على ذلك ، وهم أن يفعل ذلك بالبيروني

---

(١)= ياقوت : معجم الأدباء : ١٨٢/١٧ .
(٢)- ياقوت : معجم الأدباء : ١٨٥/١٧ .
(٣)- مجلة التراث العربي : العددان ٥ - ٦ / ٩ ٢٢٣ .
(٤)- البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ٧٣ و ١٠٢ .
ومجلة التراث العربي : العددان ٥-٦ /ص ٢١٧ .

" الفــردوســـــي "

هو حسن (وقيل منصور) بن محمد - أبو القاسم الطوسي[1] ولد في مدينة طوس قرب مشهد ، حوالي سنة (٩٣٤م) ، ولقب بالفردوسي ، ولعله جاءه هذا اللقب من غياض ضيعته وفراديسها.

كان والده يشغل منصباً إدارياً في بلاط السامانيين ، وكان فقيراً ، خلف لولده بيتناً في بُزاعة بالقرب من طوس .

ويقال إنه لما ولد الفردوسي رآه أبوه في نومه على سطح عالٍ متجهاً تلقاء القبلة ، ينادي ويسمع رجع صوته من كل جانب ، فذهب إلى الشيخ نجيب الدين وقص عليه الرؤيا ، ففسرها له أن الفردوسي سيكون فصيحاً ، ويُسمع صوته في كل أرجاء العالم ، ويتلقاها الناس بالقبول ، فإن صحت هذه الرواية يكون الشيخ قد فسر الرؤية ، ووافق قوله قدراً ، إذ بلغ الفردوسي من الشهرة مكاناً عظيماً .

---

(١)- ترجمة في حاجي خليفة : كشف الظنون : ١٠٢٥/٢ .
والفردوسي : الشاهنامة : ٤٨- ٥١ ، ترجمتها نثراً الفتح بن علي البنداري ، وحققها عبد الوهاب عزام - ط . مصورة عن طهران - ١٩٧٠).
وول ديورانت : قصة الحضارة ، عصر الإيمان ، ج٢ مج٤/ ص ٢٣٤- ٢٣٥ .
ابن الأثير : المثل السائر : ١٢/٤ .
المسعودي : التنبيه والإشراف : ١٠٤ .
والبيروني : الآثار الباقية ٩٩ .

فلما بلغ الفردوسي سن التعلم اشتغل بالعلم ، وعكف على قراءة الكتب ، حتى فاق أقرانه.

وقد نشأ الفردوسي فقيراً ، ثم هرب إلى غزنة من ظلم والي طوس ، وأخذ يرتزق هناك من إنشاء الشعر حتى ذاع بين الناس ووصل إلى السلطان محمود الغزنوي(1).

وكان أبو القاسم يقضي فراغه في البحث عن الآثار القديمة فاسترعى كتاب (الخداينامة) انتباهه ، فقرر أن يحول قصصه النثرية إلى شعر ، وسمى كتابه الشاهنامة ، أي كتاب الملوك ،فصار هذا الكتاب ملحمة الفرس القومية.

وأتم الفردوسي ملحمته على صورتها الأولى بعد خمس وعشرين سنة من العمل المتواصل ،وسافر إلى غزنة وفي نيته أن يهدي عمله إلى السلطان محمود الغزنوي . ويصف الفردوسي كتابه الذي قام بنظمه بقوله : وكان من آثار الغابرين ، كتاب مملوء بالقصص ، تقسمته أيدي الموابذة ، وحرص كل عاقل على قطعة منه ، فدعا إليه كل موبذ قد وعى آثاره من هذا الكتاب .

وجمع في الشاه نامة تاريخ الفرس القدماء ، ونجد هذه القصص في كتب فهلوية وفارسية متأخره ، مثل قصة دخول الشطرنج إلى إيران ، التي يظن أنها كتبت في زمن العصر الإسلامي ، لذا لايستبعد أن تكون هذه القصص زيدت عند جمع الكتاب ولم تكن في أصل الكتاب خداي نامة .

---

(1)- الفردوسي : الشاهنامة : ٢٩،٤١-٤٢، و ٣٧-٣٨ .
ول ديورانت : قصة الحضارة مج٤/ج٢ /ص ٢٣٦- ٢٣٧.

ويبدو أنه ألف الشاهنامه في بداية أمره لرجل اسمه منصور بن عبد الرزاق الطوسي الذي ولي خراسان للسامانيين ،وجعله الأمير منصور بن نوح قائداً لخراسان سنة ٣٥١هـ[1].

وقد أشرنا من قبل إلى أن الأمراء السامانيين كانوا يشجعون التيار الفارسي ، ولذلك صار الفردوسي على رأس أدبائهم وشعرائهم.

ويؤكد لنا أحد شعراء الفرس القدماء أنه كان في غزنة حينها أربع مئة شاعر لايفارقون بلاط السلطان ، ومع ذلك استطاع الفردوسي أن يحظى باهتمام الوزير ومحبته حيث قدمه إلى السلطان .

وفي الأخبار ما يشير إلى أن السلطان محموداً هيأ للشاعر الفردوسي مسكناً مريحاً في قصره ، وأغدق عليه المال والهدايا ، وظل الفردوسي يشتغل زمناً طويلاً في نظم الشاهنامه حتى بلغت (٦٠٠٠٠) ستين ألف بيت ، ثم قدم عمله إلى السلطان محمود ، فأعجب به ، وأراد أن يكافىء صاحبه ، ولكن بعض الحساد استكثروا العطاء ، وقالوا للأمير إن الفردوسي زنديق شيعي ومعتزلي ، فقلل عندها الأمير من عطائه ، مما أغضب الشاعر وجعله يأخذ جائزته ويوزعها على العمال مثل خادم حمام وبائع شراب ثم فر إلى هراة ، واختفى ستة أشهر عند وراق ، لأنه يعرف أن السلطان سينتقم من تصرفه . وفعلاً عندما علم السلطان محمود بما فعله الفردوسي في تبديد جائزته ، أرسل عماله للقبض على الفردوسي ، فلم يفلحوا ، ولجأ الفردوسي بعدها إلى شهريار أمير طبرستان ، ونظم قصيدة يهجو فيها محموداً هجاءً لاذعاً ،وخشي شهريار من غضب السلطان عليه ، فاشترى القصيدة منه بمئة ألف درهم وأتلفها[2].

---

(١)- البيروني : الآثار الباقية : ٣٨ و ٩٩ .
- الفردوسي : الشاهنامه : ٣٥ .

(٢)- ول ديورانت : قصة الحضارة ،عصر الإيمان مج٤/ج٢/ص ٢٣٥- ٢٣٦ .
والفردوسي : الشاهنامة : ٣٨ .

وشاع أمر الفردوسي وما ألمّ به من غضب السلطان ، وأرسل والي قهستان وراءه ، وكان معجباً بشعره ، وثناه عن هجاء السلطان، وحاول أن يصلح بينهما ، فكتب إلى السلطان في أمره ، مما جعل السلطان يغضب عليه وهو كذلك .

وأثناء هرب الفردوسي إلى مازندان أصلح الشاهنامة ،والحق بها مديحاً لوالي مازندان ، فسر الوالي به ، وبالغ في إكرامه ، لكنه خشي من إبقائه عنده وأمره بالرحيل(١).

وانتقل الفردوسي إلى بغداد ، وكتب هناك قصة شعرية طويلة هي قصة (يوسف وزليخا) ، ثم عاد إلى طوس وهو شيخ في السادسة والسبعين من العمر ، وفي طريقه توفي ، فحمل إلى داره حيث دفن في بستان له ، ولايزال قبره موضع احترام وإجلال من الناس إلى اليوم.(٢)

وبعد وفاته عرضت جائزته على أخته ، فرفضت أن تأخذها وأخبرتهم أنه كان يحلم في بناء سد على النهر ، فصرفوها في بناء ذلك السد .

---

(١)- الفردوسي : الشاهنامه : ٥٩ .

(٢)- الفردوسي : الشاهنامة : ٤٦ و ٦٧ .

ول ديورانت : قصة الحضارة : مج٤ /ج٢/ص٢٣٦ ،
وقيل أنه توفي سنة ٤١١ هـ أو ٤١٦ هـ . .

ومع كل ماتقدم فإنه ليس بين أيدينا أخبار كثيرة ومفصلة عن نشأة الفردوسي ، والغريب أن معظم كتب تراجم الرجال العربية ليس فيها ذكر له ، ولذلك فإننا نحاول تقدير أخباره تقديراً، والظاهر أنه تتلمذ على علماء عصره فأخذ عنهم الكثير ، ويقال إنه كان دهقاناً ، ومع ذلك لم يكن غنياً فهو من الدهاقين الفقراء.

ويظهر أن تاريخ الفرس قد شغل الفردوسي منذ صباه مع أنه لم يكن له اطلاع واسع على التاريخ والجغرافيا ، ولعل اهتمامه هذا بتاريخ الفرس هو الذي حمل المؤرخين العرب على إهمال ذكره.

وهناك رواية تشير إلى أن الفردوسي كان يحب الجلوس على جدول يرفد نهر طوس ، ويأنس بمنظر الماء الجاري ، ويغتم كلما طغى السيل فجرف السد ، ولذلك نذر كل مايحصل عليه من مال من أجل بناء هذا السد ، ولم يستطع ذلك في حياته ، ولكن أنشئ من ماله بعد وفاته كما مر قبل قليل[1].

بعد هذا العرض لحياة الفردوسي نتبين أنه كان شاعراً وأديباً عظيما من أدباء وشعراء الدولة السامانية .

وتعتبر الشاهنامة أهم أعماله ، وسبب شهرته ، وهي عبارة عن ستين الف بيت تتضمن قصص وأخبار الفرس ،ولكن ابن الأثير يشير إلى أن الشاه نامة لاتبلغ ستين الفاً ، ولكن ناظمها سوغ لنفسه أن يذكر هذا الرقم بعد أن جاوز في نظمه الخمسين ألف ، فهي بين الخمسين والستين الفاً ،والكتاب مطبوع ومترجم اليوم ،وربما زيد فيه ماليس منه[2].

---

(١)- الفردوسي : الشاهنامة : ٤٩-٥٠ .
ول ديورانت : قصة الحضارة : مج٤/ج٢/ص٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢)- الفردوسي : الشاهنامة : ٧٠-٧١ .

وللشاه نامة مكانة عظيمة عند الفرس ، فهي سجل لتاريخهم ، وأناشيد مجدهم[1] ، وديوان لغتهم الذي ينشدونه في المحافل ويطرب له الجاهل والعالم ، وهذا ماحدا بابن الأثير لتسمية هذا الكتاب (قرآن القوم)[2].

وقد أعجب نولدكه بالشاه نامة ، وشاركه في هذا الإعجاب أدباء الشرق والغرب على السواء ، باستثناء براون الذي كان له رأي مغاير أحياناً .

وحقا فإن الشاه نامة تعد من أعظم الأعمال في الآداب العالمية[3] من حيث حجمها ، ومضمونها ، وربما ضاهت الألياذة والأوديسة في هذا المجال .

ويقول البيروني عن الشاه نامة : " ووجدنا تواريخ هذا القسم الثاني في كتاب شاه نامة المعمول لأبي منصور بن عبد الرزاق الطوسي .....فلما سمع به شرع يؤلف من ذلك كتاباً عظيماً[4].

وحركة الترجمة لم تقتصر على الفرس وحدهم بل عُني العرب بنقل أخبار الفرس منذ أول عهدهم بالترجمة ، ويقول المسعودي في التنبيه والإشراف عن الكتاب الذي رآه في إصطخر مشتملاً على تاريخ

---

(١)- ويل ديورانت : قصة الحضارة : مج٤ /ج٢/ص٢٣٦ .

(٢)- ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٢/٤ .

(٣)- ويل ديورانت : قصة الحضارة : مج/٤/ج٢/ص٢٣٦ .

(٤)- البيروني : الآثار الباقية : ٩٩ .

ملوك الفرس : " وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك الفرس للنصف الثاني من جمادى الآخرة سنة ١١٣هـ ، ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان عن الفارسية إلى العربية [(١)] " .

ويروي صاحب الفهرست أن جبلة بن سالم كاتب هشام بن عبد الملك ترجم كتاب إسفنديار ورستم ،ومثله ابن المقفع الذي ترجم خداي نامة وكتباً أخرى[(٢)].

وبذلك يكون الفردوسي أحد أبرز شعراء الدولة السامانية كما أنه واحد من الذين أسهموا في حركة إحياء اللغة الفارسية والثقافة الفارسية ، وهو أحد العظماء في تاريخ الحضارة الإنسانية من خلال ماقدمه من أعمال وفي مقدمتها الشاهنامه .

---

(١)- المسعودي : التنبيه والإشراف ١٠٤ .

(٢) - ابن النديم : الفهرست : ٨-١٠ .

الفردوسي : الشاه نامة : ٣٢-٣٤ .

وعبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية : ٩-١١ .

" الخوارزمـــــــي "

أبـو بكـر محمـد بن العباس الخوارزمـي ،الأديـب والشاعـر ،واللغوي والعالم المشهور(١).

ولـد فـي خوارزم ونشأ فيها ، أبوه من خوارزم ، وأمه مـن طبرستان ، وهـي أخت المؤرخ الكبيـر ابـن جرير الطبـري ، ولذلك يقـال فـي نسبته أيضاً (الطبرخزي) نسبة إلى الإقليمين .

فـارق الخوارزمـي وطنـه شابا وتنقـل فـي البلاد ،فذهب إلـى العـراق ، والشام ، وأخذ عن علمائها ، كما قصد نيسابـور وسجـستـان والتقـى فـي ترحالـه الـوزراء والأمـراء والعلمـاء وكانـت لـه مواقـف متباينـة ممن يلاقيـه ، ولاسيما الوزراء والأمراء .

فقـد ورد علـى بخـارى حاضرة السامانيين ، وصحب الوزير أبـا علـي البلعمـي ، فلـم يحمـد صحبـته ولذلك فارقه وهجاه بقوله :

إن ذا البلعمي والعين غين   وهو عار على الزمان وشيـن
إن يكن جاهلا بخفي حنيـن   فهو الحق والزمان حنيـن

---

(١)- ترجمته عند : ابن الأثير : الكامل ١٠١/٩ .
السيوطي : بغية الوعاة : ٥١ .
الصدفي : الوافي بالوفيات ١٩١/٣ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ١٠٥/٣ .
ياقوت : معجم الأدباء : ١٠١/١ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٤٠٠/٤ .
الثعالبي : يتمية الدهر : ١١٤/٤ .
الزركلي : الأعلام : ١٨٣/٦ .
ويل ديورانت : قصة الحضارة : مج٤/ج١٨٠/٢-١٨١ .

ثم غادر بخارى إلى نيسابور ، فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد ابن علي الميكالي ، وأكثر من مدحه ، كما التقى أبا الحسن القزويني وأبا منصور البغوي ، ثم ذهب إلى الأمير أحمد ومدحه ، وكانت علاقته بهؤلاء حسنة.

وفي نيسابور التقى واليها أبا الحسن طاهر بن محمد ،ومدحه، وتقرب إليه ، ثم هجاه ، فحبسه ، وطالت مدة سجنه ، فأرسل قصيدة إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي يقول فيها :

كتابي أبا نصر إليك وحالتي	كحال فريس في مخالب ضيغم
وقعت بفخ الخوف في يد طاهر	وقوع سليك في حبائل خثعم (١)

كذلك التقى الحاجب (تاش) ، ولم يستحسن صحبته ،فأطلق لسانه في هجائه ، فحبسه أيضا ، وحاول الخوارزمي الخلاص من سجنه بشتى الوسائل ، حتى إنه جعل مئتي ألف درهم جزاءً لمن يعينه في الخروج من سجنه ، ثم تمكن من الهرب إلى جرجان حيث أقام هناك.

وفي هذه الفترة اتفق أن قُتل الوزير أبو الحسن العتبي الساماني ، وتولى مكانه أبو الحسن المزني الذي كان من أكثر الناس حُباً للخوارزمي وتقديراً له ، فاستدعاه وأكرمه ، واستعاد من نيسابور ما أخذ منه ، فتحسنت أحواله ،وكتب الكثير من مؤلفاته ونظم العديد من القصائد .

---

(١)- الثعالبي : يتيمة الدهر : ٢٠٥/٥ - ٢٠٦ .
الخوارزمي : مفاتيح العلوم : ٦-٧ .
وخثعم : قبيلة عربية كان السليك الصعلوك ،يغزوها ،ثم أسرته .

ومن الذين التقاهم الخوارزمي ومدحهم الصاحب بن عباد في أصبهان الذي أحسن وفادة الخوارزمي عليه ، ثم انتقل إلى شيراز قاصداً عضد الدولة ، وكان الخوارزمي من المتعصبين لآل بويه ، لذلك تحسنت أحواله عند عضد الدولة الذي أغدق عليه الأموال والهدايا فصار من ذوي اليسار(١).

والتقى في آخر أيامه بديع الزمان الهمذاني الشاب النابغ صاحب النثر والشعر والعبقرية الفذة ، وجرت بينهما مناظرة في مجلس السلطان ، ظهر خلالها تفوق بديع الزمان على الخوارزمي في كل القضايا التي طرحت ، فعظم الأمر كثيراً على الخوارزمي وحمله في نفسه ، ويبدو أن بعض الحاضرين قد أعانو بديع الزمان ومالوا إليه وقدموه على نظيره ، فوجد الخوارزمي وحشة واعتبر ذلك ضرباً من الهوان ، فحمل الأمر في نفسه واغتم لما آل إليه أمره ، ولم يطل به الوقت حتى توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة للهجرة . وقد رثاه الهمذاني فيها بشيء من التشفي فقال:

حنانيك من نفس خافت	ولبيك عن كمد ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا	ولست بسمعه الصامت
تحملت فيك من الحزن ما	تحمله ابنك من صامت
يقولون انت به شامت	فقلت الثرى بفم الشامت

وكان الخوارزمي أديباً بليغاً ،وشاعراً فصيحاً ، وعالماً أريباً ، حسن المظهر ، ذا عبارة سليمة يتسم بالجدية وجمال العشرة ، وقد خلده ديوان شعره ورسائله . وتميز أسلوبه بكثرة العبارات التي سارت مسير الأمثال ، كقوله : الشكر على قدر الإحسان . والسلع بإزاء الأثمان

---

(١)- الثعالبي : يتيمة الدهر : ٢٠٨/٤- ٢٠٩ .
ومجلة التراث العربي : وزارة الثقافة - دمشق .

والاذكار حيث التناسي ، والتقاضي حيث التقاصي ٠النفس مائلة إلى أشكالها والطير واقعة على أمثالها ٠ الأيام مرآة الرجال ٠والأطوار معيار النقص فيهم والكمال ٠ العشرة مجاملة لامعاملة ، والمجاملة لاتسع الاستقصاء والكشف ولاتحتمل الحساب والصرف[1].

ويعد الخوارزمي وبحق أحد فرائد الدهر ، وهو صورة مشرقة من صور الازدهار الحضاري والثقافي الذي كان واضحاً في الدولة السامانية٠

وهناك عالم آخر يعرف بالخوارزمي غير الذي نحن بصدد الحديث عنه ، وهو محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ، صاحب كتاب مفاتيح العلوم وهو معاصر لأبي بكر محمد بن العباس ،وتوفي سنة٣٨٧هـ[2].

---

(١)- الثعالبي : يتمية الدهر :١٩٤/٤ ٠
وبل ديورانت : قصة الحضارة : مج٤/ج٢/ص١٨٠ - ١٨١٠
(٢)- انظر : حاجي خليفة : كشف الظنون : ١٧٥٦/٢ ٠
المقريزي : الخطط : ٢٥٨/١ ٠
والزركلي : الأعلام : ٣١٢/٥ ٠

" الإسكافي "

أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري(١).

أديب بليغ ومترسل عالم بالكتابة السلطانية .

نشأ في نيسابور ،وتتلمذ على علمائها ، وتأدب عند مؤدب بها يعرف بالحسن بن مهرجان ، وهو من مشاهير نيسابور في التأديب فاخذ عنه أسرار التأديب والتدريس والتدرج في التخريج.

كما أنه تتلمذعلى أبي علي الصاغاني وأخذ عنه ، وصار من خلصائه . وعمل في بعض الدواوين ، فانتشر ذكره ، وعلت منزلته بين الناس ، وطلبه الكبراء.

وكان الأمير الحميد نوح بن نصر الساماني قد قام بحملة على نيسابور ، وأخذ بعض الأسرى ، وكان الإسكافي أحد هؤلاء الأسرى . فأراد الأمير الحميد أن يستكشف طوية نفس الإسكافي ومدى علاقته مع الصاغاني فارسل إليه رسالة باسم الصاغاني يعده بمنصب والخلاص من السجن ،فوقع عليها الاسكافي بالآية : (ربِّ السجن أحبُّ اليَّ مما يدعونني إليه)(٢) فاعجب به الأمير ،وأمر بإطلاقه ،وحسن موقعه في نفسه ، وخلع عليه الهدايا والأموال ، وجعله في ديوان الرسائل خليفة لأبي الحسين بن العميد والد

---

(١) - الثعالبي : يتيمة الدهر : ٩٥/٤ .
والحموي (ياقوت) معجم الأدباء : ١٥٧/١٤ .

(٢)- سورة يوسف .

أبي الفضل بن العميد الكاتب والأديب المعروف . واستمر في خدمة الحميد والكتابة له مدة حكمه.

ولما انقضت أيامه ، وملك بعده عبد الحميد ، أقره على ديوان الرسائل ، وزاد في مرتبته وظل في خدمته حتى توفي في زمنه (١).

قال عنه الثعالبي : " لسان خراسان وعزتها ، وعينها وواحدها ، وأوحدها في الكتابة والبلاغة ، ومن لم يخرج مثله في البراعة والصناعة.. منقطع القرين ، وواسطة عقد الفضل ، ونادرة الزمان ، وبكر الفلك(٢).

ومن طريق أخباره التي تدل على نباهته ومقدرته ما أورده ياقوت في ترجمته إذ قال : " يحكى أن الحميد أمره ذات يوم بكتب كتاب إلى بعض الأطراف ، وركب متصيداً ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك لمجلس أنس عقده بين إخوان جمعهم عنده ، فحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمرة باستصحاب الكتاب الذي رسم له كتابته ليعرضه عليه ،ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ، ومعه طومار (أوراق) بياض أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له ، وقعد بالبعد عنه فقرأ عليه كتابا طويلاً سديداً بليغاً انشاه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، وارتضاه الحميد ، وهو يحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه ،وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ماقرأه ،وأصدره على الرسم في أمثاله (٣).

---

(١)- الثعالبي : يتمية الدهر : ٩٩/٤ .

(٢)- المصدر السابق : ٩٥/٤- ٩٦ .

(٣)- ياقوت : معجم الأدباء : ١٦٠/١٤-١٦١ .

إن هذا الخبر وأمثاله يدل على المنزلة الكبيرة التي وصل إليها الإسكافي في بلاط الدولة السامانية من جانب ، وعلى مقدرته على الكتابة وبلاغته وحسن تصرفه في فنون القول ، حتى صار أحد أدباء وكتاب الدولة السامانية والخلافة العربية الإسلامية المشهورين، وشبه بالجاحظ في نثره[1] ورسائله ،وكان له شعراً لم يبلغ به مبلغ النثر في الجودة .

ولما توفي الإسكافي رثاه الأدباء والشعراء ، وبينوا منزلته ، ومن ذلك قول الشاعر الهرثمي الأبيوردي :

ألم تر ديوان الرسائل عطلت	لفقدانه أقلامه ودفاتره
ليبك عليه خطه وبيانه	فذا مات واشيه وذا مات ساحره [2]

وهكذا كان الإسكافي أحد أعلام الفكر في الدولة السامانية وواحداً من نماذج الرقي الحضاري لهذه الدولة التي أسهمت في تقدم العلوم كلها في جميع فنونها.

---

(١)- الثعالبي : يتيمة الدهر : ٤/٩٨

(٢)- ياقوت : معجم الأدباء : ٤/ ١٦٠- ١٦١.

" أبو زيد البلخي "

أحمد بن سهل أبو زيد البلخي أحد علماء الإسلام الأفذاذ في زمن الدولة السامانية (١).

ولد في بلخ ،ونشأ فيها ، وكان مكباً على الدرس والتحصيل ، فاجتمع في صدره علم كثير متنوع في فنون المعرفة ، يشهد له بذلك مصنفاته التي وصلت إلينا أخبارها . قال ياقوت : " كان فاضلاً ، قائما بجميع العلوم القديمة والحديثة ، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه (٢)" .

وكان لأبي زيد صلة مع وزراء الدولة السامانية وعلى الأخص محمد بن أحمد الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني ، وكان الجيهاني يكثر من إكرام البلخي وتسيير الأموال إليه ، ولكنه حرمه من ذلك لما سمع ببعض تآليفه التي تخالف مذهبه . وكذلك فعل معظم الكبراء الذين كانوا يصلون البلخي ، فإنهم عندما وقفوا على مؤلفاته التي جمع فيها بين الفلسفة والشريعة تخلوا عنه ومنعوا عطاياهم عنه .

---

(١)- ياقوت : معجم الأدباء : ٦٤/٣ .
ابن النديم : الفهرست : الفن الثاني من المقالة الثالثة .
والزركلي : الأعلام : ١٣٤/١ .

(٢) - ياقوت : معجم الأدباء : ٦٤/٣- ٦٥ .

وقد انتقل البلخي إلى العراق ليأخذ عن علمائها ، فأخذ عن أبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي علوماً جمة " وتعمق في علم الفلسفة ، وهجم على أسرار علم التنجيم والهيئة ، وبرز في علم الطب والطبائع ، وبحث عن أصول الدين أتم البحث وأبعد استقصاء ، حتى قاده ذلك إلى الحيرة ، وزل به عن النهج الأوضح(١).

ويبدو أن غزارة معلوماته وكثرة تفكره وتدبره قد قاده إلى تلك الحيرة ، ولذلك مزج بين الشريعة والفلسفة وهذا مالم يكن يرضي أهل ذلك الزمان ، فوقفوا منه مواقف العداء والتنكر لما يكتب ،مع أنه كان صحيح العقيدة ، تقياً مؤمناً. قال ياقوت : " كان حسن الاعتقاد ، ومن حسن اعتقاده إنه كان لايثبت من علم النجوم الأحكام ، بل كان ايثبت مايدل عليه الحسبان " . وقال احمد بن محمد البزار إمام بلخ ومفتيها عن البلخي : " إنه كان قويم المذهب ، حسن الاعتقاد ، لم يعرف بشيء في ديانته كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة ، وكل من حضر من الفضلاء والأماثل أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء(٢).

وبلغ أبو زيد البلخي منزلة عظيمة في صناعة الكلام وعلمه ، واشتهر بذلك في زمانه حتى قيل فيه : " اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة : الجاحظ ،وعلي بن عبيدة اللطفي ، وأبو زيد البلخي(٣)".

وقد بلغ أمير بخارى خبر أبي زيد وعظم علم ، وغزارة ثقافته ، ورجاحة عقله ، فاستدعاه إليه ليكرمه ،ولكن أبا زيد امتنع من عبور النهر إليه ، وظل في بخارى حتى وافته منيته سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة للهجرة.

---

(١)- ياقوت : معجم الأدباء : ٧٣/٣.

(٢) - ياقوت : معجم الأدباء : ٧٤/٣-٧٥.

(٣)- ياقوت : معجم الأدباء : ٧٨/٣.

وقد خلف أبو زيد عدداً كبيراً من المصنفات، قيل نحو سبعين مصنفاً[1]، فكان " أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون[2].

ومن مؤلفاته : (كتاب القرابين والذبائح) و (كتاب أقسام العلوم) و (شرائع الأديان) و (اختيارات السير) و (السياسة الكبير) ، و (فضل صناعة الكتابة) و (مصالح الأبدان والأنفس) و (كتاب صناعة الشعر) و (فضيلة علم الأخبار) و (كتاب النحو والتصريف) و (كتاب رسالة حدود الفلسفة) و (كتاب مايصح من أحكام النجوم) و (كتاب فضيلة علوم الرياضيات) و (الأسماء والكنى والألقاب) .

وقد سبق علماء البلدان في الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض في كتابه : " صور الأقاليم الإسلامية[3]" .

ويلاحظ الباحث من خلال أسماء مؤلفاته مدى تنوع معرفته ، وعمق إسهامه في الحركة الثقافية التي ازدهرت في بلاد ماوراء النهر في زمن الدولة السامانية . ومما يؤسف له أن مؤلفات هذا العالم الكبير مازالت مخطوطة وكثير منها مفقود ، وبين أيدينا فقط كتاب (البدء والتاريخ) المنسوب له .

---

(١)- ياقوت : معجم الادباء : ٨١/٣ .
والزركلي : الأعلام : ١٣٤/١ .

(٢)- الزركلي : الأعلام / ١٣٤/١ .

من كل ماتقدم يتبين لنا أن الدولة السامانية قد أسهمت إسهاماً واضحاً في الحضارة الإنسانية ، والثقافة بشكل عام ، ومن خلال كثير من الظواهر .

ففي الجانب العمراني اعتنى السامانيون ببناء القلاع، والقصور، حتى غدت مدنهم متميزة بذلك ، ولاسيما أنه كان يقوم على أمور البلاد كبار الأغنياء والتجار الذين أكثروا من عمارة القصور والبيوت ذات البناء المتميز.

أما الصناعات فقد ظهرت صناعات تتناسب مع منتجات البلاد السامانية وطبيعة مواردها ، وقد لاحظنا من قبل أن السامانيين اعتنوا بصناعة الورق التي أخذوها عن الصينيين ثم المصريين ، وطوروها حتى اشتهروا بصناعتها ، كذلك اشتهروا بصناعة الأواني التي أخذوها عن الصين ، إضافة إلى صناعة الألبسة والأقمشة التي كان يتسابق الأمراء إلى شرائها واقتنائها.

وكانت بلاد السامانيين مركزاً خصباً لتلاقح الأفكار وتلاقي الثقافات المختلفة القديمة والحديثة ، وقد أدى ذلك إلى ظهور عدد من الفرق والمعتقدات الجديدة إضافة إلى عودة العقائد القديمة إلى الظهور كالزرداشية والمانوية ، ومع ذلك فقد ظلت غالبية سكان بلاد ماوراء النهر على الإسلام الصحيح ، وقام عدد من أمراء السامانيين بالقضاء على بعض الحركات المناهضة للإسلام ، وأسهموا في بناء المساجد ، وظهر عدد من العلماء والفقهاء والقضاة كإسماعيل البخاري وغيره ممن يشهد لهم بالعلم والفضل .

وفي مجالات الثقافة والأدب والعلوم ظهر عدد من العلماء والأدباء والشعراء الذين مازال الناس إلى يومنا هذا يشهدون لهم بالعلم والمعرفة، ومازالت كتبهم وآراؤهم موضع احترام وتقدير لدى الباحثين.

وقد وقفنا عند بعض أعلام الفكر والأدب الذين ظهروا في الدولة السامانية لندلل على بعض جوانب الازدهار الثقافي عصرئذٍ ، وهؤلاء العلماء نموذج لعدد كبير غيرهم من العلماء والأدباء والفقهاء والفلاسفة والشعراء الذين عاشوا في ظل الدولة السامانية ، أو كان للسامانيين أثر في أعمالهم من خلال تشجيعهم لهم ، إذ عرف عن أمراء السامانيين حبهم للعلم وتكريمهم لأهله ، وحرصهم على كل عالم.

ولو شئنا أن نذكر كل العلماء الذين ظهروا في الدولة السامانية ، والذين أُسهموا في ازدهار الحركة الثقافية والحضارية لاحتجنا إلى بحث كبير وزمن طويل ، ولما استطعنا أن نفي بحقهم ، فهناك أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب ، وأبوه أبو بكر ، والحراني اللحام علي بن الحسن ، وابن مطران ،والجيهاني ،والبلعمي ،والعتبي ، وغيرهم الكثير ،ولكن ضربنا بمن ذكرنا مثلا لندلل على الأثر الكبير للسامانيين في النهضة العلمية في ظل دولتهم في بلاد ماوراء النهر ، وقد لاحظنا أن أثر هذه النهضة لم يقتصر على السامانيين ، ولا على عصرهم فحسب ، بل إن العلوم التي ظهرت والنظريات التي طرحت أصبحت جزءاً بارزاً من جوانب الحضارة الانسانية ، فآراء ابن سينا في الطب مازالت موضع تقدير الباحثين واحترامهم حتى يومنا هذا ، وظلت كتبه في الطب تدرس في جامعات أوربة حتى القرن العشرين.

وكذلك الكثير مما جاء في الفلك ، أو الهندسة ، أو اللغة ،أو البناء والعمران ، وقد أشرنا إلى أن البلخي سبق جميع علماء الإسلام إلى وضع صورة للأرض ، فكان سباقا إلى ذلك في علم الجغرافيا . وبذلك نلاحظ أن الدولة السامانية قدمت للبشرية جمعاء عطاءات حضارية متنوعة وكثيرة مازالت موضع اهتمام الباحثين والدارسين في تاريخ الحضارة الإنسانية.

" الخاتمة "

تبين لنا كيف أن الفتوحات العربية الإسلامية التي انطلقت منذ بداية الدعوة الجديدة شمالاً وشرقاً وغرباً استطاعت أن تفتح الكثير من البلدان وتنشر الدين الجديد بين شعوب تلك البلدان .

وما إن انتهت الخلافة الأموية حتى كانت الدولة الجديدة قد اتسعت رقعتها ووصلت إلى حدود الصين وأواسط آسيا والهند والسند شرقاً ، وإلى جنوب فرنسة غرباً . وكانت الدولة في أوج قوتها ولذلك فرضت سيطرتها وهيبتها على جميع المناطق المفتوحة ، وظل الأمر كذلك حتى بدايات الخلافة العباسية ولكن ما كاد القرن الثاني للهجرة يشارف على الانقضاء حتى بدأت تظهر في الخلافة العباسية الفتن والثورات والحركات الاستقلالية للنيل من الخلافة أو الانفصال عنها ، وهذا أدى إلى ظهور دول جديدة ضمن الخلافة المترامية الأطراف ، وهذه الدول بعضها يعلن خروجه على الخليفة وطاعته ، وبعضها يعلن ولاءه وبقاءه تحت ظل الخلافة العباسية .

وضمن هذه الظروف بدأت الدولة السامانية بالظهور ، وقد أشرنا في البحث إلى أصل هذه الدولة التي تنتمي إلى أحد القادة الساسانيين وهو بهرام جور ، واستمرت سلالته تحكم الناس بالوراثة حتى الفتح الإسلامي حيث دخلت هذه الأسرة وغيرها في الدين الجديد وبقي بعض رجالها ، كغيرهم من الأسر الحاكمة التي أسلمت في الحكم وإدارة أمور الناس .

وقد أشرنا إلى أن سامان خداة أعجب بشخصية أسد بن عبدالله القسري وفروسيته وأخلاقه ، لذلك سمى أحد أولاده أسداً ، تيمناً بالعربي المسلم ، ثم أنجب أسد أربعة بنهن هم نوح وأحمد ويحيى والياس .

وكان لأسد وأولاده مواقف طيبة مع العباسيين في حروبهم ضد الخارجين على الدولة في شرق إيران وبلاد خراسان وما وراء النهر ، إذ وقفوا إلى جانب العباسيين وساندونهم وقاتلوا أعداءهم وأخضعوا رافع بن الليث لحكم الخليفة هارون الرشيد ، فعلت منزلتهم في نفس الخليفة وأولاده . ولذلك ما أن تسلم المامون الخلافة حتى أمر بأن عامله على خراسان بأن يولي أولاد أسد بن سامان على مدن المنطقة . ولذلك يعد هذا الأمر بداية ظهور الدولة السامانية للوجود ، إلا أن ظهورها كدولة لها شانها وجيشها وتنظيمها ومكانتها المتميزة كان مع تسلم الأمير إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني السلطة في بخارى سنة ستين ومئتين للهجرة (٨٧٣م).

فعلى رقعة كبيرة من الأرض تمتد في ماوراء النهر وبخارى وخراسان وأحيانا مناطق أخرى بنى اسماعيل دولته الجديدة . وقد وقفنا في بداية البحث عند الطبيعة الجغرافية والمناخية لتلك المناطق بشيء من التفصيل في الفصل الأول .

وكان الأمير اسماعيل بن أحمد " ملكاً جديراً بالملك ، ورجلاً عاقلاً عادلاً رحيماً ، صاحب رأي وتدبير ، يظهر الطاعة دائماً للخلفاء ، ويرى متابعتهم واجبة لازمة[1]" . ولذلك استطاع أن

---

(١)- النرشخي : تاريخ بخارى : ١٠٧.

يستميل الناس إليه ، وتقرب إليهم فأنشأ الدولة السامانية وأسس قوتها ودعائمها ، ثم خلفه من بعده أبناؤه وأحفاده ، إذ أصبح الحكم في الدولة السامانية وراثياً ، ولكن خلفاءه لم يكونوا يتمتعون بما تمتع به اسماعيل من شعبية وحسن تدبير وسياسة ، ولذلك رأينا كيف أن الدولة السامانية بدأت تتعرض لكثير من الفتن والاضطرابات ومحاولة القضاء عليها من قبل بعض الثائرين أو من الدول التي نشأت إلى جانبها كالدولة الصفارية .

وقد لاحظنا أن ضعف بعض الأمراء السامانيين كان يحملهم على الاعتماد على عناصر أجنبية أحياناً ، وعلى بعض القادة العسكريين الذين كانوا من الترك أحياناً ومماليك أحياناً أخرى ، ولم يكن لهؤلاء القادة من هم سوى جمع المال وتوسيع الأملاك ، وهذا ما أدى إلى نقمة عامة في نفوس الناس كانت تؤدي أحيانا إلى الحرب وإثارة القلاقل . كما أن ذلك كان يؤدي أحيانا إلى اقتتال الأمراء الحاكمين فيما بينهم أحياناً .

وتعرضت الدولة السامانية إلى أخطار خارجية كان أهمها المواجهات بينها وبين الصفاريين ، فقد نشأت الدولة الصفارية في سجستان وكان ليعقوب بن الليث وأخيه عمرو بن الليث من بعده أطماع توسعية لاتقف عند حد بسط السلطة على شرق إيران ، بل القضاء على الدولة السامانية التي تعتبر تابعة للخلافة العباسية ثم القضاء على الخلافة ومركزها في بغداد .

وقد أشرنا إلى علاقة السامانيين بالصفاريين ، ولاحظنا أن هذه العلاقة كانت علاقة عداء وحرب ، ورأينا أنها علاقة صراع من أجل الوجود ، إذ وقفت الدولة السامانية في وجه أطماع الصفاريين من أجل المحافظة على بقائها ، واستطاع السامانيون أن يقضوا في النتيجة على الصفاريين وأطماعهم.

كذلك بينت الدراسة علاقة السامانيين بالصين والهند ، ولاحظنا أن العلاقة بينهم وبين هاتين الدولتين اقتصرت على التبادل التجاري ومقايضة المحاصيل بين السكان ، وانتقال الرعاة عبر الحدود ، ولم ينشأ أي عداء يذكر بين السامانيين والصين والهند حتى أواخر الحكم الساماني إذ بدأ يظهر لدى الصينيين فئات قوية تبحث عن مكان لها في المنطقة .

ووقف البحث عند الجهاز الإداري والتنظيم العسكري للدولة السامانية وأوضحنا أن الأمير الساماني هو الحاكم المطلق للدولة . يعاونه عدد من الوزراء والقادة والولاة وغيرهم ممن لاشأن لهم أمامه ، وكانت تتراوح مراكز هؤلاء قوة وضعفاً واضمحلالاً بالنظر إلى قوة الأمير أو ضعفه . ولاحظنا أن السامانيين أسسوا جيشاً قوياً استطاع الحفاظ على أمن الدولة الداخلي والخارجي ، وأن يكون رديفاً لجيش الخلافة في بغداد .

وحظيت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بعناية خاصة ، استطعنا من خلالها أن نبين طبقات الشعب في الدولة السامانية وتقاليدهم الاجتماعية ، وماقيل في فضائلهم وطبائعهم وعاداتهم سواء على مستوى الخاصة من الناس أم على مستوى العامة .

وعرج البحث على المعتقدات السائدة والمذاهب والفرق التي نشأت في ظل الدولة السامانية . ومع أن السامانيين لم يخالفوا ماكان عليه عامة الناس في الخلافة العباسية في المعتقد ،فإن دولتهم وما جاورها ضمت عدداً من الفئات والفرق والمذاهب ، فظهر هناك المبيضة ، إضافة إلى البوذية والزرداشتية والمزدكية ، هذه الفرق التي انتشرت بكثرة في شرق الخلافة العباسية من مناطق إيران وغيرها ، إضافة إلى الفرق الباطنية

والشيعية وغيرها ، ولاننسى أن الدعوة العباسية في أساسها انطلقت من هذه المناطق التي كانت تعد بيئة صالحة لكل الفرق المناوئة منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى مابعد الدولة السامانية .

ثم انتقل الحديث إلى التجارة والصناعة والزراعة ، عمد الاقتصاد لأي دولة ، وتبين أن الطبيعة الجغرافية للدولة السامانية والمناخ قد ساعد على تحسن أوضاع الزراعة فيها ، وتنوع المحاصيل وزيادة الانتاج مما جعل الدولة السامانية مكتفية ذاتياً من الانتاج الزراعي وقادرة على تصدير الفائض عنها ، مما نشط الحركة التجارية بين أقاليم الدولة ومدنها وقراها من جانب وبين الدولة وجيرانها ولاسيما الصين من جانب آخر . وقد غلب على البضائع التجارية صفة الانتاج الزراعي والحيواني ، إضافة إلى بعض الصناعات .

وأوضحت الدراسة غنى الدولة السامانية بالمعادن المختلفة والأحجار الكريمة مما كان له في نشأة عدد من الصناعات المعدنية الخفيفة كالسلاح وغيره ، إضافة إلى الصناعات التي قامت على الإنتاج الزراعي والحيواني وفي مقدمتها الورق والأقمشة ، ولاحظنا كيف أن السامانيين تأثروا في صناعاتهم بالصين من جانب وبالصناعة المصرية من جانب آخر.

وكانت نهاية المطاف عند العطاءات الحضارية والفكرية للدولة السامانية ، وقد تبين أن السامانيين اتصفوا بشكل عام بحبهم للعلم والعلماء ، وتشجيعهم على ذلك مما ساعد على ازدهار الحركة الثقافية عامة في ظل تلك الدولة فظهر عدد من العلماء الكبار والأدباء والشعراء والأطباء والفلاسفة والفقهاء والنحويين وغيرهم ممن كان لهم أثر واضح في النهضة العلمية والثقافية للدولة السامانية خاصة

وللخلافة العباسية والحضارة الإنسانية عامة ، ويكفي أن نذكر من أعلام الدولة السامانية الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب والفلسفة والفلك والأدب ، والخوارزمي في الرياضيات والفلك والأدب عامة واللغة . والبلخي ،وأبو القاسم الإسكافي النيسابوري وأبو الحسن اللحام الحراني ، والفردوسي في التاريخ . وكل هؤلاء لم يقف أثرهم الحضاري والثقافي عند حدود الدولة السامانية ولا الخلافة العباسية ، بل امتد ليشمل دولاً كثيرة واستمر قروناً من الزمن نبراساً لعلوم الأمم المختلفة .

ولاحظنا كيف أن حركة نهضة جديدة وعودة إلى الأصول كانت قد ظهرت في زمن الدولة السامانية وشارك في هذه الحركة السامانيون أنفسهم ، وكانت الغاية إعادة الحياة للغة الفارسية وللحضارة الفارسية القديمة . وقد انتشرت هذه الحركة بين عدد كبير من الناس وماكادت الدولة السامانية تشارف على نهايتها حتى كانت هذه الحركة قد لاقت رواجا وانتشاراً بين الناس حتى غلبت أو كادت لغة الخلافة العباسية العربية .

وهكذا فإن السامانيين استطاعوا أن يؤسسوا دولة قوية لهم في ظل الخلافة العباسية ، ظاهرها مرتبط بالخلافة ، وباطنها مستقل عنها ، واستطاعوا أن يؤثروا في مجريات الأمور السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية على نطاق دولتهم والدول المجاورة والخلافة العباسية عامة ، والحضارة الإنسانية على مر قرون من الزمن ،ودامت هذه الدولة قرابة قرنين من الزمن ، فإذا نظرنا في بدايتها إلى سامان فإن الدولة السامانية تبلغ نحو قرنين أو يزيد ، وإذا نظرنا إلى مؤسسها

الفعلي وبانيها اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان فإن مدتها تبلغ (١٢٩) تسعة وعشرين ومئة سنة ، فقد أشرنا إلى أن اسماعيل دخل بخارى وأسس الدولة السامانية سنة (٢٦٠هـ) ، وسقطت هذه الدولة أمام إيلك خان سنة تسع وثمانين وثلاث مئة للهجرة (٩٩٨م) .

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

" فهرس المصادر والمراجع "

*- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)

- الكامل في التاريخ : نشر المطبعة المنيرية - القاهرة - ١٣٥٧ هـ .

*- ابن الأثير (ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد)

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : تح .د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة . دار نهضة مصر - القاهرة.

*- الإدريسي (محمد بن أحمد بن عبدالله)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : المكتبة الثقافية الدينية ط. القاهرة - ١٩٨٩.

*- أرمينوس فامبري :

- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر : ترجمة د. أحمد محمود الساداتي . شركة الإعلانات الشرقية- القاهرة - ١٩٦٥

*- الإصطخري : (إبراهيم بن محمد)

- المسالك والممالك : ليدن - ١٩٢٧

*- الأصفهاني (حمزة بن الحسن)

- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : دار مكتبة الحياة - بيروت ط. مصورة

*- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم السعدي)

- عيون الأنبياء في بناء طبقات الأطباء : تح . نزار رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت .

*- ابن الأعثم الكوفي (أحمد) الفتوح ط. بيروت ١٩٩٢.

*- بروكلمان (كارل)

- تاريخ الشعوب الإسلامية : ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي دار العلم للملايين - بيروت - ط. ثا - ١٩٧٩.

*- البلاذري (أحمد بن يحيى)

- فتوح البلدان : راجعه رضوان رضوان - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

* - البيروني (أبو الريحان)

- الآثار الباقية عن القرون الخالية : ليبزيغ ١٨٧٨ م.

* - البيهقي (محمد بن حسن)

- تاريخ البيهقي : مترجم - القاهرة - بلا تاريخ - مكتبة الأنجلو المصرية

* - البيهقي (ظهير الدين)

- تاريخ حكماء الإسلام : ط . دمشق - مجمع اللغة العربية

* - الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)

- خاص الخاص : قدم له حسن الأمين - دار مكتبة الحياة - بيروت

- لطائف المعارف : تح . إبراهيم الأبياري - والصيرفي

دار إحياء الكتب العربية - بيروت .

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تح. محمد محيي الدين عبد الحميد

مصر - بولاق - ١٢٧٥ هـ .

* - ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي)

المنتظم في تاريخ الأمم: دار الثقافة - بيروت .

* - حاجي خليفة

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مكتبة المثنى - بغداد

طبعة مصورة في بيروت .

* - الحموي (ياقوت) :

- معجم الأدباء المعروف باسم إرشاد الأريب لمعرفة الأديب : تح.مرجليوت

القاهرة - المطبعة الهندية - ط . م ١٩٢٥م.

- معجم البلدان : دار صادر - بيروت

* - الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري)

- الروض المعطار في خبر الأقطار : تح د . إحسان عباس

مكتبة لبنان - بيروت ط . ثا ١٩٨٤.

* - ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)

- صورة الأرض : دار مكتبة الحياة - بيروت

* - ابن خرداذبة (أبوعبيدالله بن عبدالله)
- المسالك والممالك : مكتبة المثنى - بغداد - طبعة مصورة

* - ابن خلدون (عبد الرحمن)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : دار الكتاب اللبناني - بيروت -١٩٥٨م

* - ابن خلكان (أحمد بن محمد بن خلكان)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تح .د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

* - الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف)
- مفاتيح العلوم : تح .إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* - خواندمير (غياث الدين بن همام الدين)
- دستور الوزراء : ترجمة د. حرب أمين سليمان - الهيئة العامة للكتابة القاهرة - ١٨٩٠.

* - دنلوب (د. م)
- تاريخ يهود الخزر : ترجمة د . سهيل زكار - دار الفكر - بيروت

* - الدينوري (أحمد بن داود)
- الأخبار الطوال : القاهرة - ١٩٦٠م طبعة مصورة

* - الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)
- سير أعلام النبلاء : تحقيق مجموعة من المحققين - بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨١م.
- العبر في خبر من غبر : تح . د.صلاح الدين المنجد - الكويت - سلسلة التراث العربي - ١٩٨٤م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ط.مصورة - بيروت

* - ابن رسته (أحمد بن عمر)
- الأعلاق النفيسة : مكتبة المثنى - بغداد - طبعة مصورة

* - الزركلي (خير الدين)

- الأعلام : (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط .رابعة ١٩٧٩م.

* - زكـــار (د. سهيل)

- أخبار القرامطة : تحقيق - دار حسان - دمشق - ط .ثا - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- الحروب الصليبية : دار حسان - دمشق ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

* - السمعاني (عبد الكريم بن محمد)

- الأنساب : تح : عدد من المحققين - نشره امين دمج - بيروت .

* -ابن سينا (الحسين بن عبدالله ة

الاشارات والتنبيهات .

ابن سينا الالهيات ج١ /ج٢ ط . القاهرة (١٩٦٠ - ١٩٦١)

ابن سينا - النفس : ٢/١ ط .القاهرة ١٩٧٤

* - الشهرستاني (أبو الفتح محمد)

- الملل والنحل ،القاهرة ١٩٤٨.

* - الصفدي (خليل بن أيبك) :

- الوافي بالوفيات : تح . عدد من المحققين - النشرات الإسلامية - بيروت

* - الطبري : (محمد بن جرير)

- تاريخ الرسل والملوك : تح . محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف القاهـــــرة.

* - ابن العديم (عمر بن أحمـــد)

- بغية الطلب في تاريخ حلب : تح د . سهيل زكار - دمشق ١٩٨٨م

* - ابن العماد (عبد الحي بن العماد الحنبلي)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : دار المسيرة - بيروت - ط . ثا ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م - طبعة مصورة.

* - عماش (صالح مهـــدي)

قتيبة بن مسلم الباهلـــي ط . دمشـــق

* - الفاخوري (حنا)

- تاريخ الفلسفة العربية ط . القاهرة ١٩٧٠

- الفلسفة الإسلامية والنهضة الاوربية ،في أثر العرب في النهضة ، ط . القاهرة ١٩٧٠.

* - فاسيلي (فلاديميروفتش بارتولد)
- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي : ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

* - الفردوسي (أبو القاسم) :
- الشاهنامة : ترجمة الفتح بن علي البنداري . عبد الوهاب عزام ، ط . مصورة - طهران ١٩٧٠م.

* - ابن الفقيه (أحمد بن إبراهيم الهمذاني)
- مختصر البلدان : مكتبة المثنى بغداد - والخانجي القاهرة - مصورة عن ليدن - ١٣٠٢ هـ .

* - فيلفرد مادیلونغ :
- أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان - النشرات الإسلامية بيروت - ١٩٨٧م.

* - القزويني (عبد الكريم بن محمد الرافعي)
- التدوين في أخبار قزوين - تح. عزيزعبدالله العطاردي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

* - ابن كثير (اسماعيل بن كثير)
- البداية والنهاية : مكتبة المعارف - بيروت - طبعة مصورة

* - الكرديزي (عبد الحي)
- زين الأخبار : تعريب محمد بن تاويت - مط . محمد الخامس - فاس المغرب - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

* - المسعودي (علي بن الحسين) :
- التنبيه والإشراف : دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨١م
- مروج الذهب ومعادن الجوهر : تح .محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . طبعة مصورة .

* - المقدسي (محمد بن أحمد)

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : مط . بريل - ليدن - ط . ثا ١٩٠٦ م .

* - ابن النديم (محمد بن أبي يعقوب)

- الفهرست : طهران - ١٩٧١ م

* - النرشخي (محمد بن جعفر)

- تاريخ بخارى : تعريب وتحقيق د . أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله الطرازي . دار المعارف بمصر - سلسلة ذخائر العرب (٤٠).

* - نظام الملك :

سياسة نامة : الترجمة العربية ط . بيروت - دار القدس

* - ول ديورانت

- قصة الحضارة (عصر الإيمان) : ترجمة محمد بدران - الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

* - اليعقوبي (أبو علي أحمد بن عمر)

- البلدان : مع كتاب ابن رسته (الأعلاق النفيسة)

- التاريخ : ط . بيروت - دار صادر - ١٩٦٠

الدوريـــــات

- مجلة التراث العربي / وزارة الثقافة / دمشق / العددات ٥ - ٦

" المراجع الاجنبية "

- A History of China from the Earliest Times to the present Day. By: Ederhard Wolfram, London 1967 .

- The Ghaznavids. The Empire in Afghanistan and Eastern Iran. 994 - 1040. By: Glifford Edmend Bosworth, Lecturer in Arabic University of St. Andrews, Edinburgh, 1963. at the University Press.

******
**
*

المحتـــــوى

INTRODUCTION

This thesis is concerned with the study of the Samanide State, which emerged under the rule of the Abbaside Caliphate at its eastern side on the territories beyond the River, Khorasan and, at certain times, Sejistan, and a number of other territories and regions.

This State emerged in the second half of the third century after Hijra (260 A.H./874 A.D.) and continued for about thirty years until it fell under the raids and attacks of the Turks in 389 A.H. (998 A.D.) at the hands of a leader known as Elik Khan.

The Samanides belonged to the families ruling in the territories beyond the River in the Pre-Islam period. They claimed to belong to the Sassanide Behram bin Jobain.

With the advent of Islam, the Islamic conquest armies reached beyond the River, and the Samanides' grandfather, Saman, was converted to Islam by Assad bin Abdullah Al-Qasri, who kept him commander of his territories. Things remained in the same fashion until Ismail bin Ahmad bin Assad bin Saman established the Samanide State in Bokhara in 260 AH (874 AD).

Outwardly, the Samanides were dependent on the Abbaside Caliphate, declaring their allegiance to the Caliph in Baghdad, but in reality they had established an independent state with its independent army, systems and civilization.

The Samanide State is considered to be one of the important states in history because of its being both a dependency of the Caliphate, and an actually independent state. It had a major role in kindling the spirit of Persian nationalism among the people there. It also had its apparent influence on the current events and in human civilization in general.

Since the Samainite State did not win the attention of the Arab researchers, and did not have its merit in study and research either, I had the desire to get engaged in the study of its history, and shed some light on a brilliant side of the history of the Islamic Arab Caliphate in an area remote from the Caliphate centre. I was aware of the risks of engaging in this kind of research because of the roughness of its approaches and the difficulty of its handling. This is because of many things, one of which is the scarcity of reference resources dealing with the history of this State. The research is made even harder by the time and geographical remoteness of the region, and its location within provinces which have their own private names, and their inhabitants have their own names too. One needs a lot of time and effort to familiarize oneself with these names because of their strangeness and the difficulty of their pronunciations for the outsider.

But all the above did not discourage me from taking the ambitious attempt to present an ample study of the history of the Samanides and the affairs of their State from beginning to end. And this research paper is the outcome of this attempt.

The research study had necessitated that I should make the research paper in eight chapters preceded by an introduction dealing with the research and its resources.

In Chapter One I tried to present a geographical demonstration of the domains of the Samanide State. I talked about the nature of Khorasan, Bokhara and the territories beyond the River, Sejistan, Ghazna and others. I also mentioned the waters, rivers amd mountains that existed there, and then what has been said praisingly or discreditably about these provinces in the works of early geographers, such as Al-Maqdisi, Ibn Hawqal, Al-Istakhri, and others.

I tried to formulate a conception of the State's borders, and was confronted with great difficulty, especially in regard to the northern borders.

In Chapter Two I talked about the phases of the Islamic conquest of the countries beyond the River, and demonstrated the aims of the conquest, its beginning and methods, and the leaders who took part in it, in addition to the covenants and armistices between the conquerors and the armies confronting them until the completion of military operations under the leadership of Qutaiba Ibn Muslim Al-Bahili. It was necessary to hint at some of the actions performed by the conquerors, such as the building of mosques, castles and fortresses, granting pardon to the populace, and the distribution of the spoils, etc. During the research, it was necessary to stop at

some of the disputes arising sometimes between the conquest leaders and their soldiers or the "walis", and the effect of this on the course of events. It was also necessary to stop at the most important convictions that prevailed in the community, and the political discord that confronted the conquest armies.

Chapter Three was dedicated to talking about the origins of the Samanide dynasty, its establishment, and the stages of its history till its independence in ruling over the territories beyond the River. I hinted at the Samanides' belonging to the Sassanide Prince Birham Jobain. Then the commandership went to his grandsons Saman and his son Assad and his grandsons who upheld the pillars of the Samanide State as long as it remained in existence.

Then I enumerated the Samanide princes and talked in some detail about their tidings and affairs and the incidents that took place in their time.

In Chapter Four I exposed the phases of the political history of the Samanide Dynasty, and the relations established between them and the Saffarides, and the bloody wars that took place. I indicated the general conditions that beset the origin and rise of the Samanides and that qualified Prince Ismail to establish the State; and then I mentioned what happened with the Tahirides, Gharnawides, Saffarides, Turks and others.

In this Chapter I dealt with the most dangerous uprisings, especially the Shiite ones, that confronted the Tahirides and kept them busy, and continued up to the time of the Samanides. Among these uprisings were the Kharijite Movement in Sejistan and the Shiite Movement in Tabaristan.

I dedicated Chapter Five for discussing the administrative system and military organisation of the Samanide State. I have seen that the State system is divided into two sections: The Court and the Diwan. I talked about the court and its functions, and made known the arrangement of those functions starting from the absolute sovereign, the Prince, and ending with the soldiers and public employees. Then I stopped at the Diwans that were known at that time and talked about their names, their functions, and the names of their employees. It was revealed that there were certain numbers of families that were assigned with one of the State's posts. There were families engaged only with the ministereal posts, and others were engaged only with a certain diwan, and so on.

In Chapter Six I stopped at the social and economic statuses of the Samanide State. It was revealed that agriculture, as well as industry and trade, flourished under the Samanide rule, and the State augmented its revenues from land taxes (kharaj) that came in.

Each one of these activities was given some time to bring out its aspects and importance. Agriculture was aided in its flourishing and development by the abundance of water and the

fertility of the land and the availability of manpowers. Industry found a wide scope in the available minerals and animals, as well as the agricultural and animal produce. This made the industry characterized by these materials, and the prosperity of agriculture and industry led to the activity of both the home and foreign trading movement.

Chapter Seven was dedicated to talk about the Samanide State's foreign relations. It was necessary in this Chapter to assign a special section to talk about the relations of the Samanides with the neighbouring Tahirides and Saffarides, and the bloody wars and battles that took place between them and eventually led to the fall of the Saffaride State at the hands of the Samanides; and another section was set aside to discuss the relations of the Samanides with China and India which were rather calm and avoided conflicts and wars and led to the establishment of good trading relations.

Chapter Eight was dedicated to talk about the most important intellectual and civilizational contributions of the Samanide State. In it I showed the prosperity of the cultural movement under the Samanide State, and the encouragement given by the Samanide princes to scholars, scientists and poets, inciting them to seek learning, which led to the emergence of a good number of scientists, physicians, philosophers, jurists, linguists and grammarians, and others who became famous far and wide, and had their influence on the entire process of world civilization. On top of the list were Avicenna, Al-Khawarizmi,

Al-Firdawsi, Al-Balkhi, Abul-Qasim Al-Iskafi Al-Naisabouri, Abul-Hasan Ali bin Al-Hasan Al-Lahham Al-Harrani, and others.

It was also necessary to hint at the architectural movement which accompanied the Samanide State and which was indicative of the far-reaching scope of cultural and civilizational development of that state.

I concluded the reasearch paper with a brief synopsis of the most important steps of the study and its results, and organized technical indexes of the study.

From the beginning I indicated that I would try to indulge in the depth of this research, and do admit here that I spared no effort on my part, and did not slack during the course of the work despite its difficulty and ruggedness. I did my best to present a sufficient and comprehensive and accurate study of the history of the Samanide State. If I have been successful in this, let be a very modest effort to be added to others of the same kind in the course of historical research. And if I have not been successful, my only excuse will be that I have been well-intentioned and have done my utmost, and no effort has been spared on my part. I have big aid in the verdit of the committee of referees for completion and promotion of this research.

In this instance, I should extend my due gratitude to my supervising professor Dr Suheil Zakkar, who provided me with all due care and allowed me a lot of his precious time, guiding

my steps throughout the research until it reached its present form. To him I give my heartfelt thanks, and pray to God that He may keep him a treasure for learning and the learned.

****